

عُمانُ عبرِ التاريخ

تأليف

الفقيه الفاضل الشيخ

سالم بن حمود بن شامس السيابي

الجزء الثالث

الطبعة الرابعة

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

کتابخانه عمومی

مکتبہ

پبلسکال لائبریری

پبلسکال لائبریری

کتابخانه

پبلسکال لائبریری

1735-1775



مؤلف الكتاب



1914

إمامة الإمام الخليل بن شاذان

اعلم أن الإمام الخليل بن شاذان بن الصلت بن مالك بن بلعرب الخروصي ، أحد الأئمة الأجلاء في عمان ، واليه ينتسب آل الخليل الذين بعمان ، والى جده الصلت ينتسب صلوت بنى خروص ، وأبوه الشيخ شاذان بن الصلت من أهل العلم والفضل ، وأخوه محمد بن الصلت كذلك ، وهؤلاء عائلة بارزة بالفضل والعلم والتقوى في عمان ، والله في خلقه أسرار والخلق معادن • الحديث •

واعلم أن القرن الثالث الهجري ابتداءً يحوادث متعددة ، منها الإمامة المستضعفة وما صار عليها من أهل عمان فيما بينهم ، وإمامة الإمام سعيد ابن عبد الله الرحيلي ، وبأمراء بنى العباس الذين صاروا الإمامة وقضوا عليها من عهد يوسف بن وجيه وبنى مكرم وغيرهم من البويهيين الى القرامطة المعروفين في التاريخ ، وإمامة الإمام راشد بن الوليد ، وتسلط أمراء بنى العباس عليه ، واحتلوا إمامته وتولوا أمر عمان الى تمام القرن الرابع ، وهم فيها الآمرون الناهون لا يردهم راد ولا يصدهم صاد ، وفي ذلك العهد صارت عمان دار كفر ونفاق ، لانطماس العدل ، واختفاء آثار المسلمين باندراس معالم الدين ، ويتسلط الجبابرة الظالمين ، الذين هم أعداء الدين والوطن والجنسية عقوبة لأهل عمان على تضييعهم الأمر منذ الإمام الصلت ، الى أن وقعت الطامة الكبرى بتضييع إمامة راشد بن الوليد ، فكانت عاقبة ذلك الأمر الوبال والخذلان ، مع تلاعب بالإمامة في عهد إمامة الأئمة المستضعفين ، وكل ذلك إضاعة للدين وتضييع لمنهج المسلمين ، حتى بويح للإمام الخليل بن شاذان بن الصلت بن مالك بن بلعرب الخروصي •

قال الإمام رحمه الله : بويح له بالإمامة بعد راشد بن الوليد بزمان طويل ، تجبر فيه السلطان على أهل عمان ، وسامهم سوء العذاب بما بدلوا من نعمة الله ولعدم وفائهم بعهد الله ، حين خذلوا الإمام راشد بن الوليد وظاهروا عليه عدوه ، ومن أعان ظلما سلطه الله عليه ، أى ليزوق وبال أمره ، ولا يخفى العهد الذى بين الإمامين راشد بن الوليد ، والخليل ابن شاذان ، وعمان تترجح ثقلا بوطأة الجورة الظلمة المفسدين للدنيا والدين ، المتسلطين على بيضة المسلمين ، فان ذلك القرن قام فى أوله الامام سعيد بن عبد الله الرحيلي ، فجمع الشمل ولم الشعث وأيد الحق الذى يدعو اليه المسلمون ، ورفع مستوى أهل الايمان ، حتى قضى الله عليه بصناقى من أعمال الرستاق وقبره بها ، ثم قام على أثره الامام الراشد بن الوليد ، فانقلب عليه أهل عمان بغير جرم ارتكبه ، ولا حدث اقترفه ، ولا شقاق أوقعه ، ولكن ابتلاه الله بذلك ، وعسى أن تحبوا ، وعسى أن تكرهوا ، وكل شئ بيد الله •

قال الامام : وبقي أهل عمان يكابدون النكال تحت قهر الجبابرة من بنى سامة وغيرهم ، حتى عقدوا الامامة على المخليل بن شاذان فى سنة سبع وأربعمائة ، وفى بعض الكتب فى سنة بضع وأربعمائة ، فسار فيهم سيرة حسنة جميلة ، ودفع عنهم الجبابرة وأمنت بعدله البلاد ، واستراحت فى ظله العباد ، ودانت له الممالك ، ووفدت اليه الوفود لظهور العدل ، وانتشار الفضل ، وقام الخليل بواجبات الأمة فى حلها وترحالها ، ودافع الخصوم وصارع الجبابرة ، وجاهد فى الله حق جهاده ، وانتشر له صيت شاع فى الجزيرة الى اليمن ، وحضرموت ونحوها ، وقامت امامته على أعمدة العدالة والانصاف والمساواة بين المسلمين •

ووفد عليه الامام أبو اسحاق ابراهيم بن قيس بن سليمان الخضرمي ، من أرض حضرموت مستنجدا به ومستعينا بالمسلمين على حرب أهل بلاده الخارجين عن طاعته فى حضرموت واليمن ، فأمدّه الإمام

الخلييل بالمسال والرجال ، حتى وطد به دعائم ملكه في تلك الأطراف
اليمانية ، وفيه يقول من قصيدة :

وذكر امام شعاع في الناس ذكره
وطلب الثنا فيه الخلييل بن شاذان

الى آخر القصيدة • وقال في أخرى :

وارموا بنا نحو الامام المرتضى
المفزع المأوى لكل دخيل

ذاك الذي جلى عماناً بعدما
وأراهم غيم الطغي بذيول

الى آخر ما قال فيها من الثناء والمدح والاستنهاض ، حتى مكنه
الله من عدوه وأثبت به قواعد دينه ، ودوخ به أعادييه ، وبعد ذلك أرسل
الى الامام يحدثه عن واقعه وعمّا صار اليه أمره بقوله :

سل الوفد عنى يا امام ألم أكن
تسريلت يوم الروع ثوب العزائم

وهل كان همى غير ما كنت ذاكرا
وهل نمت عن طرف الجواد وصارمى

الى أن قال :

سل الخطبا لما دعوا لك جهرة
على رغم أهل الجور عند التصادم

وسل عرب البيداء هلا أذقتهم
عشية خانوا العهد سم الأرقام

قوله : عرب البيداء أراد بهم البدو خاصة وهم نهد وعقيل ، وها هنا
يخبره بلسان المقال عن حقيقة الحال فيقول :

وأما نواحي حضرموت فإنها
بحول إلهي طوع أمرى كخاتمي

فاستقر الأمر للإمام الحضرمي البطل المقدم في أرض حضرموت
بهمة الامام الجليل الخليل بن شاذان رحمه الله .

وكان للإمام الخليل وزير يتولى مهمات دولته ويقوم بواجباته في
حضوره وغيبته اسمه محمد بن صلاح ، وهو يناصر الامام الحضرمي .
قال صاحب المعالم : ولم يجد أبو اسحاق في حضرموت من يناصره في صد
غارات القرامطة ، فالتجأ الى الخليل بن شاذان الاباضي امام عمان طالبا
منه النجدة ، وقدم اليه قصيدة جاء فيها يشكو اليه الحال الذي هم فيه :

يا خير خل خربت أوطاننا
واستعبد السفهاء كل نبيل

يا خير خل لم نطق دفع الأذى
عن أخذ مكنون وجذ نخيل

يا خير خل أصبحت أسواقنا
أسواق سحت واعتداء محول

يا خير خل قد غلبنا فانتصر
وانظر لنا بالرأى عزم أصيل

وجاء في قصيدة أخرى يذكر ما نال من الامام الخليل رحمه الله
وما وفقه الله له من النصر فيقول :

وجدت له بالعدر بسطاً وجادلي
بما فيه نصر لا عدته المكارم
فها أنا ذا بالمال والبيض والقنا
على حزموت بالسلامة قادم
سلا تخبرا عني اذا صرت نحوها
وناديت في الإخوان أين اللهم

قال : وعاد أبو اسحاق الى حزموت بعد أن أمده الخليل بن شاذان
بالمال والسلاح ، قال : وقد استطاع بهذه المعونة أن يجمع حوله جنودا
وأئصارا فرق بهم أعداءه ، حتى لم تبق منهم سوى طوائف ، التجأت
الى القرى الواقعة بأطراف البلاد ، قال : وفي هذا يقول أبو اسحاق
من قصيدة أرسلها الى الخليل إمام عمان ، مع وفد وجهه اليه عقب
انتهاء الحرب يخبره فيها بما تم له من النصر ، وهي القصيدة التي
أشرنا اليها ومنها قوله :

سل الوفد عني يا إمام ألم أكن
تسريلت يوم الروع ثوب العزائم

الى آخر ما جاء فيها ، وفيها يشير أيضا الى الصليحي أحد حكام
اليمن في ذلك العهد إذ يقول :

ولم يبق لي إلا الصليحي قائماً
وها هو أيضاً مسعده غير قائم

الى أن قال يذكر منه :

إذا وفده ولى الى مصر رائداً
مضى وفدنا قصداً لخير المعالم

يعنى عمان أى اذا ولى وفد الصليحي الى مصر مضى وفدنا الى
عمان ، فهو يستنجد بمصر فنحن نستنجد بعمان •

قال : إن الخليل أمده مرة بالمال فقط ومرة أخرى بالمال والرجال ،
فهذا يدل على ترده على الامام المذكور فى تقويم واصلاح شئونه ،
وكان يفتخر بذلك ويهدد به الخصم ويعلن بذلك فى الجامع • قال : ويزعم
الشيخ سليمان البارونى أن أبا اسحاق أقام عاملاً بخضرموت للخليل بن
شاذان مدة حياته ، فلما نصب راشد بن سعيد اماماً بعمان بعد الخليل
بقي عاملاً على حاله وله مع الامام راشد قصائد يعترف له فيها بالولاء ،
منها قصيدته التى أرسلها يعرض فيها للامام راشد النجدة فى حربته
مع نهد وعقيل حيث يقول :

إياضية زهر كرام أفاضل
مناقبهم فى كل سامى علا تبدو

وأنت لنا من بعدهم صرت قيما
حمولا لتقل الخطب يورى بك الزند

وللامام الخليل رحمه الله فضائل أعمال وجلائل خصال أولاده الله
عز وجل إياها ، وقد ساد الخليل عمان سيادة ازدهرت بها البلاد ،
ونشط فيها الرشاد ، وارتفعت به فيها رعوس الأمجاد ، وكان علماء
المسلمين بعمان أنصار الإمام الخليل ، وأعوان السيد الخليل ، وكانوا
لا يداهنون اماماً ولا سلطاناً اذا خالف الحق ، ففى يوم الثلاثاء لعشر

ليال من شهر رمضان سنة تسع وأربعمائة ، أى بعد وقوع البيعة للإمام الخليل بسنتين ، أنكر العلماء بعض الأشياء في عهد هذا الامام النبيل ، فاجتمعوا ضحوة نهار الثلاثاء من اليوم المذكور ، وهم موسى بن أحمد ، وأحمد بن محمد ، والحسن بن أحمد ، وعمر بن محمد ، وراشد بن محمد ومن معهم من إخوانهم المسلمين ، ونظروا فيما استكروا وكتبوا فيما أنكروا كتابا الى وزير الامام محمد بن صلحام قالوا فيه كلاما طويلا من جملة :
:

وبعد هذا فنحب أن يقف الأخ على طرف من الأمور التى تجرى في بلادنا من القائمين بها ، أى من طرف الامام المتولين لأمرها ، من تركهم اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآثار المسلمين وسيرهم في الرعية بغير الحق ، حتى كثرت المناكر ، ومات الحق وأهله ، وارتفع الباطل وحزبه ، وصار أهل الحق لا يقدرون على الأمر بالمعروف ، ولا النهى عن المنكر ، لأن المنكر ابتلى به من تسمى بالحق بلسانه ، ويخالف ذلك بأفعاله ، وقد خشينا من ذلك زوال النعم وتغيير الحال ، وقد كتبنا للإمام نصره الله عام أول كتابا مترجما له فيه ما كنا نتوقعه من هذه الأشياء ، ولم نرد بذلك إلا نصيحة له ، وخروجا مما يجب علينا مما تعبدنا الله به ، فرجع الجواب الينا على غير ما كنا نرجوه ، وأنزلنا في ذلك بمنزلة التهمة ، فلما رأينا ذلك توسعنا بالسكوت ، لأنه يوجد عن بعضهم أنه قال : اذا كان الذى ينكر المنكر لا يقبل منه ويستخف به لم يكن عليه ، أن يعرض نفسه للاستخفاف أو نحو هذا من اللفظ ، وهنا أقوام ممن قد عرفوا بكثير المناكر ، صاروا يكتبون الامام نصره الله رقعة بعد أخرى ، ويزينون فعل من قد ساعدهم على منكرهم ويقولون غير الحق ، ويشهدون بالباطل (ستكتب شهادتهم ويسألون) كل هذا خشية أن يولى عليهم من يثمد عليهم ويمنعهم من المناكر التى قد شهروا

بها ، ويصيروا هم وغيرهم من الرعية سواء ، فإنما هم يرجعون على الامام في كتبهم بغير الحق ، وقد آمنوا ألا يبيح عن أفعالهم ، ولا يسأل عن صحة قولهم ، ولو كان الامام نصره الله ينظر في هذه الأمور وصحتها ، ويسأل عن حقا وباطلها ، وصحيحها وسقيمها ، فضر أهل الباطل باطلهم عنده ، ونفع أهل الحق حقهم عنده ، لما اجتراً أحد أن يكتب اليه الكذب ، ويتقول على لسان الرعية ما لم يكن ، ولكان هذا الباب قد انغلق ، ولم يتجاسر أحد أن يكتب اليه إلا الحق .

ولما ضاقت أنفسنا من هذه الأمور التي شرحناها ووصفناها ، رأينا اطلاع الأخ العزيز أدام الله أنسنا به على ما عندنا ، وشرح ما نحن فيه لعلنا أنه ممن يغضب للحق ولا يرضى الباطل ، فإن رأى أن يطلع الامام نصره الله على ما ذكرنا وشرحنا ، فإننا لم نذكر له ما عندنا إلا اختصاراً ، ولو ذهبنا نصف كل ما نراه ونعانيه من هذه الأمور لم تبلغ كل ذلك ، إلا أننا نكل أمورنا الى الله ، ثم رأى الأخ فيما كتبنا اليه ورد جوابنا مما نستدل به منه على وصول كتابنا اليه ، وما يقتضيه رأيه في ذلك إن شاء الله والسلام عليه من جماعتنا ، ويسلم منا على الشيخ أبي الحسن على بن راشد ، متعنا الله ببقائه ، والحمد لله وصلى الله على رسوله محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً .

قال الامام رحمه الله : ولم نظفر بجواب هذا الكتاب ، غير اني وجدت جواباً من أبي على الحسن بن أحمد النزواني وهو فيما أحسب قاضي الامام الخليل رحمهما الله تعالى ، كتبه أبو على جواباً في مثل هذه القضية : قال رحمه الله تعالى : فهمت ما كتب به الشيخان في مال المشايخ ، وتعدى من تعدى فيه وترك المنع من الإمام نصره الله ، قال الإمام : ما ولى عليها محمد بن حمزة ، ولا أمره بقبض الصدقات منها ، وانما سألته بعض أهلها أن يكون معهم للأنس وللانكار فيما قدر على

انكاره ، والمعروف من آثار المسلمين أن الإمام اذا كان في حال المحاربة ، ولم نستول على المصر أنه مخير في الأحكام ، إن شاء حكم وإن شاء ترك الحكم ، حتى يفرغ من محاربة عدوه ، وقول ليس له ذلك وليس عليه أيضاً ، ولا يضيق على الإمام ما وسع له المسلمون ، إلا أن الذي نختاره له ونحبه له ألا يدع شيئاً من الأحكام ، ولا من الانكار مع القدرة عليه ، وهما قد عرفنا ما جرى في مال بنى زياد بسمو نزوى من الخراب، وأخذ الدواب واتلافها واتلاف الثمار في أيام الإمام ، فما عاب أحد على الإمام حتى سهل الله وتبين للوالى للنظر في ذلك ، ومنع عنه ، وكان لم يزل يجرى فيه الخراب مرة بعد أخرى ، الى أن كان أيام دهمان ، ومنع عنه ، وكان جرى في المال الذى تركه على في السر ما جرى ، ومنع الوارث وهو يصيح ويستغيث ، فما عيب على الإمام ذلك ، وليس أريد بهذا احتجاجاً من الظلمة إلا أنى أذكرهما ما يعرفانه لئلا يتوهما في الإمام غير ما هو عليه ، وهؤلاء المشايخ حرسهم الله ، لو وصلوا الى ما لهم وقاموا فبيده لكان كل من قدر على معونتهم بالحق من إمامهم أو غيره أعانهم •

وهذا يدل أن هناك أهواء ومناقسات ، ولعل ذلك بين بعض الزعماء وأهل العلم بحسب المفهوم من سياق الكلام الذى تقدم من المشايخ الأولين ، وفي الكلام الأخير ما هو من نوعه وهو واضح • ولم يكن الإمام رحمه الله ممن لا يقبل أقوال أهل العلم ، ولا ممن لا يقبل النصح حاشاه ، بل هو أحفى بذلك وأولى يرى ما لا يراه غيره ، ولعل له عذراً وأنت تلومه ، وعلى كل حال إن الإمام رحمه الله مبتلى بأمور الأمة ، وعليه الصبر على ما يرى ويسمع •

قال الإمام أبو اسحاق رحمه الله :

من شاء يعلم ما كانت أوائلنا
فيه فسيرتنا تكفيه برهاننا

هذا الخليل إمام المسلمين حكمت
أنوار سيرته في العدل نيراننا

والمراد قوة الاضاءة فكأنها نيران تشعل لا ناراً فقط ، وذلك كناية
عن قوة الاشتعال وقوة الاضاءة تجوزاً عما لا يخفى ، ويليه قوله :

يا أيها العلم العدل الذي كملت
له الخصال مروءات وإيماننا

انى أجبك والرحمن يعلمه
حب احتساب الى ذى اللطول قربانا

ومنها :

حتى عبرت اليك البحر منتصراً
أيام عدت بما أوليت جذلانا

ومنها :

إن الذى عمرت صنعاء دولته
بالفسق أصبح من مولاي فزعانا

هذه هي حالة الإمام الجليل الخليل بن شاذان رحمه الله ، ومضت

أيامه على هذا المنهج الكريم والصراف المستقيم ، ولم تعرف له سوءة تذكر إلا ما أشسار اليه مقال أولئك الأثسايخ الذي أوردناه لك عنهم ، وله فيه عذر ، وعذر عند الله وعند عباده .

قال ابن رزيق : ولما ركدت زعازع بغي الخلفاء العباسيين عن عمان ، وانقطعت مادتهم عنها بالبغى والعدوان ، عقد أكابر عمان الإمامة على الخليل بن شاذان ، فسار سيرة العدل والانصاف ، واتبع أثر السلف الصالح ، وأقر عيون الرعية ، وجعل الفقير والغنى بالسوية ، والضعيف والقوى فى اتخاذ القضايا الحكيمة ، وصارت بعدله أرض عمان فى أمان واطمئنان ، وقطع شقشقة لبغاة ، وجدع أنفا شماء من الطغاة ، فعاش حميداً ومات كريماً ، وكانت دولته على الأشهر سبع عشرة سنة لأنه مات سنة ٣٢٥ على التحرى ، وبعده بويغ راشد بن سعيد ، وعاش الى عام خمس وأربعين ، ومن هنا صار لابن رزيق الغلط فى مدة إمامة الإمام الخليل بن شاذان ، إذ قال كانت مدة إمامته خمساً وأربعين سنة ، وذلك أن راشد بن سعيد مات سنة ٣٤٥ ، وكان بويغ سنة العشرين بعد ثلاثمائة ، وكان الزعماء الذين تسلطوا على الخلافة العباسية جعلوا التنكيل بأهل عمان كالمفروض عليهم ، ونظر الى ما قاله ابن رزيق ، ولما ركدت زعازع بغي الخلفاء العباسيين عن عمان ، اشارة الى أن زعازع رياحهم لا تزال تعصف بعمان وتسفى عليها من غبار الطغيان ، ولما كانت المزعامة العباسية ، مسيطرة على عمان فى هذا العهد منذ انمحت دولة الإمام راشد بن الوليد ، وسقطت عمان فى الضيغ ، وصارت دار كفر ونفاق منذ ذلك العهد كما قدمنا ، ولما هانت وطأة المبغى وتراخت المزعامة العباسية عن عمان ، وظلت عمان واهية الارادة ، هامة الأهمية ، وقد خدمت فى ذلك الحال نار المبغى ، وهانت الأمور ، قام أهل العلم ورجال الحق كعادتهم عند طول القرص ، فبايعوا الإمام الخليل بن شاذان ، وقاموا لآحياء معالم الدين والايمان ، واخمدوا ما أثاره أهل المبغى واعادة الحق الى مجاريه ، فقام الإمام المذكور بواجبه

امتثالاً لأمر ربه ، واتباعاً لسلفه الصالح ، وشاع أمره وظهر صيته ، جهزت له البغاة قوتها لكسر هذه الإمامة الخليلية ، وهدم مبانيها القوية ، فجاءت جيوشها بقيادة أركان حربها من الترك العتاة •

قال الإمام رحمه الله : وخرجت الترك على عمان أيام الخليل بن شاذان • قال : ولعل هؤلاء كانوا جند بنى العباس ، فإنهم قد استخدموا الترك وغلبوا على أمرهم حتى صارت الدولة اليهم ، وصار بنو العباس آلة في أيديهم ، فخرجوا على عمان وأسروا الخليل بن شاذان •

ونصب أهل عمان بعد أسره محمد بن علي إماماً ، ثم إن الترك ردوا الخليل الى هنا انتهى ذكر هؤلاء الترك وفعلمهم في عمان ، فاذا نحن بحثنا التاريخ سائلين : متى كان أسر الخليل ؟ وفي أي بلد أسر ؟ وعلى أي صفة كان أسره (١) فان قوله : فخرجوا على عمان ، وأسروا الخليل ، لا نرى لنا فيه جواباً ، ولا يكفيننا إذ لا نرى فيه صواباً عن بحثنا ، فهو كلام أشبه بمقطع الرأس أو منهار الأساس ، فإن للتاريخ حقوقاً يجب أن تراعى ، وهي كشف غموضه اذا أمكن ، واستخراج وجوهه في فلسفة أدبية لا يجهلها إلا الأغبياء ، فإن أسر الخليل وهو إمام في قومه فهو كلام أشبه بمقطع الرأس أو منهار الأساس ، فإن للتاريخ حقوقاً يمكن أسره على هدوء كما يفهم من التاريخ الذي بين أيدينا ؟ أم كان بعد حرب غلب فيها وذلك غير مستنكر ؟ أم نادوه فأجابهم وخاطبوه فأذعن لهم فقادوه سامعاً مطيعاً للأمر ؟ لا نظن ذلك ، وأين ترك جنده وكيف حكم بيعته ؟ وعهد الله في الأعناق وأين عمدة أمره الذين أقاموه إماماً للفلاس ، وبايعوه على أقوى أساس ؟ لم يذكر التاريخ الذي بين أيدينا شيئاً مما نشير اليه ، ولا يكفيننا ذلك عنه ولا يشفى غليل البحث على هذا الوضع منه ، لكن الأمر يحتمل أحد شيئين :

(١) لم نتلق جواباً •

أما الأول فإنه لابد هناك من وقوع حرب انتصر فيها البغاة ، وبذلك قضوا على الإمام وأخذوه أسيراً ، وهذا من الجائز والممكن ، وأنه لابد أن يكون ذلك مذكوراً في التاريخ ، كما ذكروا حادثة الإمام عزان ابن تميم ، وأنه لما قتل قطع رأسه ، وحمل الى بغداد ، ولكن التاريخ ضاع فلم يوجد ، وهذا عذر لكنه أوهم من بيت العنكبوت ، لأنه شبيهة بالمستحيل أن يقع مثل ذلك وينطمس ذكره بتاتاً ، فلا يوجد له إشارة فضلاً عن ذكر جلي يحسن السكوت عليه •

وأما ثانياً فإن يقال انه لما شاع خروج الترك على الإمام المذكور ، فر عنه جنده كما فروا عن راشد بن الوليد ، إما طمعا في دولة السلطان الخارج ، وإما خوفاً منه واستشعاراً للغلبة ورهباً من شماتة الأعداء ، ولعل هذا أقرب الى الصحة وأوضح في المقام ، فإن الجنود العراقية مازالت تغزو عمان أيام ضعفها ، وقد وقع الإمام الراشد بن الوليد من نوع ما نتكلم نحن هنا عنه ، فأصبح الإمام خائفاً يترقب ، حتى آل به الأمر أن أصبح مفقوداً من بيته ، فلعل قضية الخليل بن شاذان من هذا النوع ، ولما رأى العجز أخذ بالرخصة واستسلم للأسر ، وهما أمران أحلاهما مر ، ولكن اذا ابتلى المرء أخذ بالمكن ، والأمر لله عز وجل •

ولعل أيضاً لما دخل الترك عمان ، وجدوا الإمام الخليل فريداً ذليلاً بترك قومه له فقبضوا عليه راغماً ، وقادوه أسيراً ، ثم لما لم يروا لديه أمراً هاماً يعرقل مساعيهم ، وعمان اذا أرادوها وجدوها رهن أياديهم ، فلذلك قالوا للخليل : رُح الى بلادك وأولادك ، مانين عليه بذلك ، لكن هذا يبعده أيضاً اجتماع العمانيين بعده حالاً على بيعة لمحمد بن علي إماماً بعمان ، ولعل الخارج لم ير صلاحاً له في عمان ، لأنها ضعفت في ذلك الحال ، الى أقصى حدود الضعف عن الدفاع للغزاة ،

(م ٢ - عمان عبر التاريخ ج ٣)

إذ المال فيها قليل ، وقد مزقتها الأعداء وذهب الخير منها ، فلعله خرج عنها تاركاً لها ، ولما علم العمانيون ذلك بايعوا محمد بن علي ولم يذكروه ممن ولا من أي البلاد ، ثم لما رجع الخليل بن شاذان رجع إليه أهل عمان ، وأعادوا الإمامة له في تأمر جرى بينهم لرعايته الإصلاح لهم ، ولعل الخليل أيضاً علم من الغزاة الترك لعمان لعدم الإصلاح لهم فيها ، وإلا فكيف يقبل أن يعود إماماً لعمان ؟ وقد رأى وسمع ما ساءه من العدو الخارج ، وأنه ربما خرج غداً أيضاً أمر أشكل تحقيقه ونظر صعب تدقيقه ، وعمل ابتلى به قوم ، وحوادث وقعت أردنا أن نفهمها لنعمل فيها بعد العلم بها بما يجب علينا ، وإذا ألقينا نظرة الى قوة الغازي ، وضعف أهل عمان فلن يقبل الإمام أن يعود إماماً لأهل عمان ، بعد ما صار عليه ما صار بين أظهرهم ، ولا يرضى أن يكون كمن سبق إذا جاء السلطان دخل بيته واختفى ، وإذا خرج السلطان برز الى الناس ونادى أنا إمامكم هلموا نحوى ، هذه الاحتمالات نحررها للاشكال الذي أدى إليه الحال من أمر الإمام الخليل بن شاذان ، وأسره بعمان بين الأنصار والأعداء ، والأقارب والإخوان ، ولم يذكروا سبب ذلك والله أعلم بما هناك .

وأنه يفهم من قولهم خروج الترك على عمان ، خروج تركيا الدولة المعروفة وليس كذلك ، وإنما هم على الصحيح قواد جيوش الدولة العباسية ، الذين تولوا الأمر على بني العباس ، فأطلقوا عليهم اسم السلطنة ثم الحقوه بعد ذلك بمعناها تقيية لهم ، إذا أصبحوا يتلاعبون بهم تلاعب الصولجان بالكرة ، ولم يبق لبني العباس حتى الاسم عقوبة على تضييعهم أوامر ربهم وتعلقهم بالهوى ، واتباعهم لكل من غوى وأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

المسلمون يأترون بعد رجوع الخليل الى عمان

لما تحقق رجوع الإمام الخليل الى عمان سالماً نظر المسلمون في القضية ومن هو الأولى بالإمامة ، فرأى فريق من المسلمين أن الإمام الأول حكمه حكم المفقود اذا رجع الى زوجته ، وقد تزوجت بعده أن له الخيار ، اذا أرادها ينزل عنها الثاني ، وتعود الى زوجها الأول ، وإلا فله أقل الصداقين وذلك للترغيب في العودة اليها وكذلك الإمامة اذا أرادها الإمام الغائب عنها رجعت اليه بذلك العقد الأول •

قال الإمام : تنصيب أهل عمان من بعد أسره محمد بن علي إماماً ، ثم إن الترك ردوا الخليل ، ومال الناس اليه بحبهم له ، وورغبتهم فيه لعدله ، أى كان محبوباً فيهم مقبولاً لديهم ، فيقال : إن الإمام محمد بن علي اعتزل الأمر بنفسه ، ورد الأمر الى المسلمين فردوا الإمامة الى الخليل بعد خلاف وقع في المسألة أيهما الإمام • فقال بعضهم : إن عقد الأول سابق وأنه هو الإمام أى مع وجوده ، وقال آخرون : إن الأول زالت إمامته حين صار في يد العدو ، وإن عقد الثاني هو الثابت • قال الأولون : بل الإمام الأول يكون في حكم المفقود الذي حكم بفقده ، وتمت أيام مدة فقده واعتدت امرأته وتزوجت ، فإنه إن رجع بعد ذلك خير بين امرأته وبين أقل الصداقين ، فأيهما اختار كان له ، فلولا أن تزويجه سابق ثابت ما كان له التخيير ، فالإمام اذا أسر ثم رجع يكون مثل ذلك •

قال الإمام السالمى رحمه الله : والذي أقوله إن الإمامة قد تتول بالعبز عن القيام بها ، لأنها أحوال منوطة بقدره القائم ، فاذا زالت المقدرة فالمسلمين أن يقدموا غيره ، فاذا قدموا غيره كان هو الإمام • قلت : ذلك دليل على أن إمامة الأول تتول بالعبز عن القيام بها ، قال : وليس لهم أن يتركوا عقده لرجوع الأول اليهم بعد أن عقدوا له بوجه

صحيح ، فأما لو انتظروا رجوعه كان لهم ذلك جائزا ، وحين اعتزل الإمام الثاني اختيارا وقيل المسلمون منه ذلك ارتفعت المنونة وانتفى الخلاف ، لأن للإمام أن يعتزل عن مشورة المسلمين إذا قبلوا منه ذلك ، ورجوا أن غيره أعز وأقوى على الأمر ، وأصلح للدولة ، لأن المقصود بالذات صلاح المسلمين ، وقد قيل إن الإمام الجندي بن مسعود رحمه الله ، اعتزل مرتين ، وما كاد في الثانية أن يرجع إلا بشق الأنفس حين لم يجد عذرا من المسلمين .

ويفهم من الأحوال أن الإمام الخليل كان صاحب أخلاق واسعة ، وعواطف جامعة ، أخذت من قلوب الأمة مأخذها ، ولولا ذلك لما أرادوا الرجوع إليه ، وقد وجدوا الخلاص منه بقهر العدو الدايم له ، وانحلال أمره بذلك لكن العواطف الجميلة لها فعل جذاب لنفوس صفوة الأمة ، ولم لا وأخلاق الصلت عرفها الكل في عمان .

وفاة الإمام الخليل بن شاذان رحمه الله

لما كان لا بد منه محتوماً على الانسان ، وكان الإمام الخليل بن شاذان ممن عاش في أيامه كلها مشغولاً بأمور المسلمين ، معنى بحقوق رب العالمين ، وقد مرت عليه شدائد في حياته ، منها أسره في أيدي عدوه ، وزوال الأمر عنه بذلك حتى قاسى من ذلك .

قال الإمام : كان في إمامته مشكوراً وصار سجل الثناء عليه من بعده منشوراً ، توفاه الله الى رحمته ورضوانه في أول سنة ٤٢٥ (١) على التحري ، إذ ليس نص صريح في تحقيق حياته وموته ، وبالأخص في قضية أسره كما قدمت ذلك ، فإن اهمال التاريخ وعدم النشر للمؤرخ يقضى بذلك والعلم عند الله .

(١) هنا اشكال كبير في التاريخ فان الامام الخليل توفي سنة ٤٢٥ .

إمامة الإمام راشد بن سعيد اليعمدي

وأنه كان إماماً شاعراً
مجاهداً في البر والبحار

كان الإمام راشد بن سعيد رحمه الله من أهل سونى بايعه المسلمون بالإمامة في سنة ٤٤٥ خمس وأربعين وأربعمائة على أثر موت الإمام الخليل ابن شاذان بن الصلت ، وكلاهما من عنصر واحد ، ويحسب ظاهر التاريخ العماني أن الزعامة العراقية تأخر رائدها عن عمان ، وذلك بعد رجوع الإمام الخليل بن شاذان رحمه الله ، وكان ذلك في عهد المكتفى بالله العباسي ، وكان انحطاط القوم في هذا العهد قد بلغ نهايته ، قال الخضرى في محاضراته سنة ٣٣٤ : وقد كان الخليفة المكتفى بالله ، وكان البويهيون هم السلاطين والعباسيون هم الخلفاء اسماً دون معنى . قال : كان من أهم مقاصد ابن بويه المسير الى العراق بعد الاستيلاء على واسط ، فصار أحمد بن بويه يسير الى واسط ، ثم يعود عنها حتى كاتبه قواد بغداد يطلبون اليه المسير نحوهم للاستيلاء على بغداد فوصلها في احدى عشر من جمادى سنة ٣٣٤ أربع وثلاثين وثلاثمائة ، والخليفة بها المكتفى بالله ، فقابله واحتفى به وبايعه أحمد ، وحلف كل واحد منهما لصاحبه هذا بالخلافة ، وهذا بالسلطنة ، وفي هذا اليوم شرف الخليفة بنى بويه بالألقاب ، فلقب علياً صاحب بلاد فارس عماد الدولة وهو أكبرهم ، ولقب الحسن صاحب الرأى والجبل ركن الدولة ، ولقب أحمد صاحب العراق معز الدولة ، وأمر أن تضرب ألقابهم وكناهم على النقود ، وهذا اليوم هو تاريخ الدور الثانى للخلافة العباسية ، وهو تاريخ سقوط

السلطان الحقيقي من أيديهم ، وصيرورة الخليفة منهم رئيساً دينياً لا أمر له ولا شيء ولا وزير ، وإنما له كاتب يدبر اقتطاعاته واخراجاته لا غير ، وصارت الوزارة لمعز الدولة يستتور لنفسه من يشاء ، ومعنى هذا أن الأمر اليه كله نقضاً وابطراً ، وحلاً وعقداً ، وأمرأ ونهياً ، وعليه فقد انتهت الخلافة تماماً ، وانقضى دورها ، ولكل شيء غاية ينتهي اليها (وتلك الأيام نداولها بين الناس) ظن بنو العباس أن الدنيا خلقت لهم ، والخلافة خست بهم ، والأمر اليهم وتأولوا الأحاديث ، واستدلوا بتأويلهم أن الخلافة الى آخر الدهر فيهم اليهم ، وما دروا أن الله هو السلطان الحقيقي ، وأن كل العبيد تحت قهره وتصرفه ، وأمرهم بيده ، فعاثوا في الأرض فساداً ، وفي الدين ضللاً ، وفي الأحكام جوراً ، وفي الحق باطلاً ، فسلط الله عليهم عدواً أدنوه منهم ، وقربوه بأنفسهم ، فسلطوه على الأمة ففلسط عليهم عقوبة بغيهم وفسادهم ، وتكبرهم وعنادهم .

قال الخضرى فى محاضراته : وكان يخطر ببال معز الدولة أن يزيل اسم الخلافة عنهم بل عن عامة آل العباس ويوليها علويًا لأن القوم كانوا شيعة زيدية ، وكانوا يعنقدون أن بنى العباس قد غصبوا الخلافة الى آخره ، والقوم قد انحطوا من الأمر تماماً قبل هذا التاريخ ، وتولى عليه خدامهم الذين كانوا جنوداً وضباطاً ، وأصبح اسم السلطان يعلن لهؤلاء ، واسم الخلافة لأولئك ، وكان السلطان اليه الحط والعقد وليس للخليفة إلا اسمه وهو قاعد فى لهوه وطربه ، نائماً بين قيناته وغوانيه ، متمتعا بلذاته وأغانيه ، وهكذا وهذا شاهر ، ظاهر ، ولو كنا معينين بتاريخهم لرأى الناس فيه العجب ، وذكرنا هذا توطئة لسكون الغزوات من نحوهم على عمان وعدم الاعتراض على العمانيين ،

إلا أن الخوف من غاراتهم لم يزل يطن على آذان أهل عمان ، وكان الإمام راشد بن سعيد من أجلة أئمة أهل عمان إذ كانت بيعته على الشرى ، وهذا كان دليلاً على قوة نهضته في عمان .

قال الإمام : وكان إماماً شارياً يعني راشد بن سعيد ، وكان لفظ الشرى الذى يشارى عليه هذا الإمام ، إذ كان عماله يأخذون له البيعة من الناس بهذا اللفظ ، وهو أنت قد شاريت الإمام راشد بن سعيد على طاعة الله وطاعة رسوله ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى الجهاد فى سبيل الله عز وجل ، وعلى أن عليك ما على الشراة الصادقين ، بهذا العقد الذى يعاقدون به الدجال فى الدين وهو عظيم ، فلن الشارى متجرد للموت فى سبيل الله لا يئنثى ولا يخشى فى الله لومة لائم ، أو تبنى روحه أو ينصره الله على عدوه ، وبنفس هذه البيعة اهتزت عمان هيبة له إذ كان أمره جللاً ، وبذلك اندهش البغاة فرأوا أن سيوف الإمام وحزبه مسلولة ليلاً ونهاراً ، اذا جاءهم الصريخ لبوه كالهميم العطاش ، وكالأسود الضارية ، فسكنت عمان تحت قدمه وقرت عيون أهلها بين يديه .

وفى هذا الأثناء لبته الزعامات ، وقامت قناته على الرؤوس والهجمات ، ولم تتحرك عليه فى عمان حركة ، إلا أن بعض الغزاة من بادية اليمن وهم نهد وعقيل ، كانوا يأتون أطراف عمان ، فينهبون من لاقوا من ضعفاء المسلمين فى الطرق ، وكانوا ينزلون بأطراف الأحساء ، ويناوعون الإمام عداء ، ويظاهرون عليه عدوه ، إلا أنهم لم يقدرُوا أن يقرُوا فى أرض خاصة خوفاً من هجوم الإمام عليهم ، ولما تبين للإمام رحمه الله أنهم ينزلون الأحساء ، خرج اليهم بجيش جرار ، فما شعروا إلا والإمام

راشد بن سعيد حولهم ، وسرعان ما تفرق جمعهم وتشتت شملهم ،
وتفرقوا في الأرض شاردين والرعب حولهم كما يقول المتنبي ، حتى إن
هاربهم اذا رأى غير شيء ظنه رجلا ، فانمحي فساد هؤلاء الأوغاد ،
وهم انما تحصنوا بالبعد ويظنون أن يد الإمام لا تتألمهم ، وما دروا
أنه من باع نفسه لله هان عليه كل صعب ، ورأى المرأحلى من العسل ،
وبذلك تهون عليه المصاعب ، ويتجشم الأمور راجياً عليها عند الله فوزاً
عظيماً ، وفضلاً عميماً ، وكان من الحزم بمكان ، ومن العزم في أعلاه ،
ومن الورع في منتهاه ، وزاره أبو اسحاق الحضرمي الذي زار قبله الإمام
الخليل بن شاذان ، واستنجد به كما استنجد بمن قبله وردد أصوات
الثناء عليه في الأثير المترامي ، فسير اليه من غرر شعره جواهره قائلاً
فيه ومخاطباً له :

ألا حي منها ما حوى العلم والتقى
الى همة تعلو اليها والمرام

ومن سل سيف الحق للحق داعياً
اليه مجداً قد أزاح الأثام

أما ما بنزوى قائماً قام في الورى
بعدل فاضحى الحق إذ قام قائماً

أديبا لبيباً يحمد يا غضنفرأ
من الأزرد ليثا في حمى الحرب غانما

أيا راشد انا لعورك نزدهى
بذكراكم في حصرموت تعاظما

إذا ما عماني ألم بأرضنا
أحطنا به نسأله عنكم تراحما

هنيئاً لكم أهلاً لما قد حباكم
به الله من فضل له الحمد دائماً

وما زال الإمام الحضرمي يهتف بالإمام وينادي به في الأوطان
الحضرمية والمجامع اليمانية وفي قصائده الشعرية ، ومنها قوله من قصيدة
أخرى :

وبيض بأيدينا خفاف صوارم
ثقال الطبى مشحوزة بالمبارد

معودة هتك الجماجم أظهرت
سبيل إمامينا الخليل وراشد

وقال في أخرى ويذكر فيها أحوال نهد وعقيل الذين شرد بهم الإمام
وهربوا عنه هروب النعام الجافل في الفلا ، وكناه بأبى غسان فقال :

ألا أبلغوا عنى السلام تحية
إمام عمان راشدأ أيها الوفد

وسار فيها سير المشوق المحب المغرم بمن أحب ومدح وأثنى وردد
الذكرى قائلاً :

وما كان من أبناء نهد وأختها
عقيل أولى البغى الذي شابه الحقد

لقد زال عن آرى عقيل وأختها
لنسل الفتى شاذان والديلم الرشد

أى زال عنهم الرشد إذ خاصموا الإمام فتى شاذان ومناصرتهم
للديلم أيام الخليل بن شاذان ، فردوا على أعقابهم خاسرين وقال :

كذلك نهد قد أزلت رقابها
لنصرهم الأعدا لقد عجزت نهد

لقد جمع الأقوام طراً وخالفوا
جيوش أبى غسان فاستوثق الحشد

ومضى يصف الحال التى وقع فيها أولئك الأوباش والأوغاد :

وأما للقيام بجيش عرمرم
ولم يثبتوا عند اللقاء ولا اشتدوا

ولما ترائى العسكران تدابروا
كمثل نعام شارد خلفه الأسد

فقتل منهم فى المعارك عصابة
على حنق خاضت دماءهم الفهد

فإن عدلوا عن بغيهم وتراجعوا
الى عسكر الاسلام والحق وارتدوا

فأهلا وسهلا بالعشيرة إنهم
اليكم باخلاص لرب السما أدوا

وإن هم أبوا فاستصرخونا فانتنا
قريب وما للقوم من صاحبهم بد

أى نادونا فانا معكم نجيب النداء ونرد العدا ولم نجد من ذلك بدا :

وما بين وادى حضرموت وبينكم
إذا سرکم إتياننا نحوكم بعد

أى ما بيننا ونحن فى حضرموت وبينكم وأنتم فى عمان بعد إذا أردتم
مناصرتنا لكم عليهم فانا مستعدون لها الى أن قال :

متى يأتنا منكم صريح نؤمكم
بعسكر جرار يضيق به النجد

كهولا وشبانا صباحا مساعرا
ورادا الى الهجا اذا استعصب الورد

بكل ردينى أصم ومرهف
كمثل شعاع الشمس تحفلنا الجرد

لله درك يا أبا اسحاق وأنت البطل المقدم لا يشق لك غبار ،
ولا يستطاع لك لحاق ، تجردت لله وبعث نفسك لرضاه ، والله إمامنا
الراشد اسماً ومعنى •

وكان الإمام راشد أديباً لبيباً له رقيق يدل على ملكة عالية ونفس
سامية وبلاغة فى سهولة مورد ، وعذوبة ذوق ، ودماثة خلق ونشاط
جميل ، ورأى أصيل وذكاء فاضح ، وفهم واسع ، وشعر يدل على
شعور كامل وذهن حاد ، يتجلى على نفسه الوثابة للمجد وهمته العارمة
على كل وغد منها :

لن منزل قفر تعفت جوانبه
وغيره من سافح القطر ساكبه

كان لم يكن فيه من البيض شادن
تضاحكه أترابه وتلاعبه

فأضحى أسي من بعد أن كان سلوة
تجربه أذيال خز كواعبه

انظر لطف هذه الأبيات وسلاستها وحسن التخيل فيها ، بحيث
تسلب اللب وتجذب القلب ، وتحرك الجامد وجدا وتنعش الجامد حبا
وتحيى النفوس المترمة شوقا .

وانظر الى ما يقوله في نفس القصيدة من الحكمة البليغة في عبارتها
النيعة :

من الجهل أن تعنى بأمر كفيته
وتترك ما كلفته لا تطالبه

إذا المرء لم يعرف مذاهب سعيه
لدى وعيه غالته يوما مذاهبه

ومن لم يفكر في عواقب أمره
مدى دهره صارت عقابا عواقبه

ففي هذه الأبيات من الحكمة مالا يخفى على أديب ، واسمعه يعظ :

وما هارب إلا الى الموت آيب
ولا سالب إلا وذا الدهر سالبه

لقد صدق والله في هذا كما صدق في قوله : لا إله إلا الله الى أن
قال في هذا المقام :

مدى الدهر لا ينجو من السخط والرضا
فإسقاطه قوما لقوم مواهبه

وما عاقل في الناس من راح واغتنى
بغالب في دنياه ما هو غالبه

وأجهل أهل الجهل من كان جاهلا
ولم يدر أن الجهل يهلك صاحبه

وأجهل منه جاهل ظن أنه
بصير وقد عابته جهلا عوائبه

ولا خير في خير ترى الشر بعده
ولا في أخ دبت اليك عقاربه

فقد جاء في هذه الأبيات الثمينة والكلمات الرزينة بحكمة غالية
وموعظة سامية أبرزها في قالب الأدب الصحيح ، وأخرجها من لجها الزاخر
الى الفضاء في منهجها الرجيح ، واسمه يبدى شيئا مما في نفسه
الجياشة :

ولا العيش إلا أسمر اللون عاسل
وأشقر في يوم عبوس تلاعبه

ورقن تعاطيه الحمام وفارس
تعاطيه حيناً ثم حيناً تضاربه

ذرينى وخلقى يا ابنة القوم إننى
رأيت الأذى حرباً لمن لا يحاربه

على أننى إما امرؤ ضمه الثرى
وإما فتى جلت بقوم كتائبه

وإما فتى أبكى عيون عاداته
وإما فتى تبكى عليه أقاربه

وإما فتى يقضى عليه حمامه
وإما فتى تقضى عليه كتائبه

وفى رواية قواضبه ، وانها لقنابل حماسة تحملها نفسه الحساسة
وتعرب عنها شاعريته الانسانية ، وطويته الإيمانية ، وما يجيش به
الصدر تقذفه اللسان ، وما يهتز له الجان ، يذيع به البيان والمرء بأصغريه
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واسمعه يثنى على الحضارم
إذ واعدوه القيام على نهد وعقيل اذا أراد منهم ذلك كما فى كلام الإمام
الحضرمى ، حيث يقول متى يأتنا منكم صريخ نؤمكم بعسكر جرار الخ
فقال :

وفتيان صدق من رجال حضارم
أوائلهم أعت على من تغالبه

لهم همم تلو العلى وعزائم
يصدقها فعلا كرام مناقبه

وأما إذ اشتد البلى بنفوسهم
وبالمال ما إن ضن بالمال واهبه

وأكرم بقوم قولهم هو فعلهم
ولا فعل إلا ماكرام مناسبه

واسمعه يؤنب من كان بخلاف ذلك من الرجال :

وكم قائل في قوله غير فاعل
إلا أن شر القول ما أنت كاذبه

لقد صدق والله وبهذا جاء القرآن العظيم ، وحديث النبي الكريم
وبذلك يقضى حكم المروءة في الانسانية الطيبة النزيهة ، واسمعه يعرب
عما في نفسه الصافية من الأدران الصادقة الإيمان :

ولست اهرأ يرضى سلامة نفسه
وإن يتلف الدين الذي هو طالبه

سلى هل قطعنا سببها بعد سبب
تعاوى به سيدانه وثمانبه

سل النسر هل زرنا فلم نقض حقه
وقد نشبت في لحم قوم مخالبه

فمازال يخفى الليل ما في سواده
الى أن بدت عند الصباح عجائبه

واسمعه يرثى لساقط الهمة الخامل في الأمة بقوله :

متى يكسب المعروف من كان همه
غداء يغدى أو فتاة تراقبه

أى همنه بطنه وفرجه ، بئس من كان هذا غاية مطلبه ، وفيه
يقول رحمه الله :

إذا هم صدته زواجر خوفه
وعاقتة من دون الرحيل حبايبه

قال الإمام : وإنما ذكرنا القصيدة بأسرها لسهولة موردها وعذوبة
مشربها ، وهى مع ذلك دلالة على سمو همة الإمام وغازاة فهمه ، وبعد
مرامه وحسن اقتداره .

قلت : وإمامنا السالمى رحمه الله يعشق ما كان كذلك من الشعر
ويطرب له طبعا ، فله دره من همام والله در ذلك الإمام .

وقد سكنت عمان أيام هذا الإمام الرضى الشارى الولى الذى باع
نفسه برضى الله عز و علا ، ولم يبلغنا أن قائمة قامت عليه من أهل
عمان ولا غيرهم ، وإنما انتقد بعض العلماء بعض الأثيياء رأوها تقع
فى جيوش الإمام راشد بن سعيد فاستنكروها ، وجردوا فيها سؤالا
للإمام رحمه الله ، وأرادوا أن يعلموا ما عنده فيها فأجابهم عنها على
نحو سؤالهم مع علمه بما يشيرون اليه ، وقد برح الخفا ولا حيا فى
الحق ، ولا طاعة للخوق فى معصية الخالق ، والاستكشاف تتلج به
الصدور وتصح به الأمور ، وسوف ترى ذلك قريبا إن شاء الله .
وقال شيخنا ابن جميل فيه :

والحضرى نشر الأشعارا

فى فضله ورفع المقدارا

(م ٣ - عمان عبر التاريخ ج ٣)

معناه رآه أهلا لأن يمدح وتنتشر فضائله وتذكر جمائله ، ومن مدحته الأخيار وأثنت عليه الأبرار ، كان أهلا لأن يذكر بكل جميل ، والخلق شهود الله في أرضه ، وهذه كتب من الإمام راشد بن سعيد أوردها العلماء في آثارهم ، ليؤخذ منها أحكامه وتتمم منها نواياه ، ويستدل بها على غزارة علمه ويعرف منها مبلغ حزمه ، ويستعان بها على المرشد التي تتبغى من أولياء الأمر وقادة الأمة ، وتجعلها دستورا هاما في الدين يقول على مثله هداة المسلمين ، منها ما كان بصفة فتوى من الإمام ، ومنها ما هو مرشد للولاة ، وتوصيات للقضاة ونصائح للأخصاء من الإخوان ، ودعايات الى واجبات الدين والإيمان ، ومنها تحريض للعمال على ملازمة الأعمال ، وتحذير لهم من الميل والركون الى الدنيا وأهلها من أصحاب الأموال .

قل الإمام السالى رحمه الله : وفي الأثر مما كان يبتلى به الإمام راشد بن سعيد رحمه الله ، وسئل عنه ما تقول أيها الإمام في الإمام اذا غزا قوما من أهل البغى ممن هو معروف مشهور بسفك دماء الناس ، وأخذ أموالهم مثل عقيل ونحوهم ، فوقع على بعض أصحابهم وأغار عسكره عليهم ، وقتل من قتل منهم ، وأخذوا لهم جمالا وجواليق ، ولم يمنعهم الإمام ذلك الوقت من أخذ الجمال ، لأنه كان يحفظ الأثر أنه جائز أن يستعان على البغاة بخقهم وكراهم ، وهى الخيل والابل ، فسكت عن الانكار لهذا ثم نظر واذا بعض عسكره قد جعل ما أخذه من تلك الجمال غنيمة لنفسه ، ورآهم قد حملوا عليهم حبا ، وركبوها ولم ينكر عليهم ذلك ما يلزم الإمام على هذه الصفة أيلزمه توبة وضمان ، أم توبة بغير ضمان ، أم لا يلزمه شئ من ذلك ؟ ! فأجاب الإمام رحمه الله قائلا : أما الضمان فلا يلزمه فى هذه الجمال على ما وصفت ،

ولكن عليه أن يعلم من أخذ هذه الجمال أن غنيمتها لا تجوز لهم
ويأمرهم بالتخلص منها إلى أصحابها ، وإن لم يعرفهم أو لم يعرف
أحدا منهم دان الله بالإنكار عليهم إذا عرفهم •

ومنها كتاب كتبه الإمام راشد بن سعيد رحمه الله إلى أحد عماله
وهو أبو محمد عبد الله بن سعيد وإلى منح ، قال فيه : من الإمام راشد
ابن سعيد :

سلام عليك فإنني أحمد الله ، اليك وأمر بطاعة الله ، وأوصيك وأنهاك
عن معصية الله القادر عليك ، وبعد هذا فاني أعلمك نصر الله الحق بك
أن الأطماع قد اتسعت في أموال الناس ، وجعل كل فريق من ادعى في
مال رجل دعوى طرح يده فيه ، والوجه أن تنادي في البلدان كل من
يطرح يده في مال في يد غيره يحوزه ويمنعه ويدعيه ملكا له ، فانه يعاقب
على ذلك ولا يحصل على شيء غير العقوبة ، ولا نطلب عليه البينة العادلة ،
بل يرجع في ذلك إلى قول أهل البلد ، فاعرف ذلك واعمل به ولا تقصر
فيه حتى تنحسم مادة الطمع ، وزول الظلم وينغلق هذا الباب ، ولا تؤخر
ذلك إن شاء الله •

قال الإمام السالمى رحمه الله : وهي سياسة من الإمام أى راشد بن
سعيد ونظر منه في قطع مادة الفساد جزاءه الله خيرا ، فان رأيه سديد •

وهذا كتاب من الإمام راشد بن سعيد رحمه الله ، إلى عامله أبى
المعالى محمد بن قحطان بن محمد بن القاسم ، عهدا عهد به إليه يعلمه
فيه شرائط العدل ، ويتوخى فيه مسالك الحق لديه ، ويقتى الله باريه ،

فانه هو المالك لأمره والعالم بسره وجهره ، قال فلقيته في جميع أموره التي جعلت له السبيل اليها وأوحده المدخل فيها ، على شروط يشتمل كتابي هذا عليها فأول ما ابتدأنا به بعد حد الله تعالى فيه ، وصلى الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وإنى فأوصيك يا أبا المعالي قحطان بن محمد بن أبي القاسم بطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، والانتها عما حرم الله عليك في زواجه ، والعمل بما أمرك الله به من أوامره ، فيما ساءك أو سرك ، أو نفكك أو ضرك ، وأن تأمر بالمعروف وتعمل به ، وتنتهي عن المنكر وتقف عنه ، ولتحذر من خدائع الشيطان ، وممن يؤازره على ذلك من الأعوان ، احذرهم ونفسك وهواك وشهوتك ودنياك ، فقد قال الله تعالى : (إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم) وقال : (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) ، (ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما) ، (إنما الحياة الدنيا لعبا ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) ، واذكر حق الله عليك ، واشكر نعمته لديك ، ولا تذهب بك حمية ولا تمنعك تقية أن تساوى في الحق بين وضع الناس وشريفهم ، وقويهم وضعيفهم ، وبغضهم وحببيهم ، وبعيدهم وقريبيهم ، وقد جعلت حماية صحار وما يتصل بها من العفة الى صلان اليك ، وعولت فيها عليك ، فقم فيما وليتك من ذلك حق القيام ، واستفرغ منك الطاقة والجهد التام ، وشمرفيه عن ساق الجدد ، واحسر معه عن ذراع الشدد

أى لأن صحار هى البلد المنظور اليه فى ذلك الطرق ، وخصوصا فى ذلك الوقت ، والمحذور عليه من العزاة الذين طالما هاجموه • قال : من غير أن تتعدى فى ذلك محظورا ، أو تركب فيه منكورا ، أو تعترف فيه ظلما ، أو تكسب فيه حوبا وإثما إلا ما تعتمده من منع ظالم فى حال عدوانه من غير أن تعاقبه على شىء من عصيانه ، فلترفعه الى القاضى بصحار ، أى هو الذى يفرض العقوبات ، وذلك لحفظ الوالى من التهور ، لأنه لا يؤمن من الجاهل أن يضرب من حيث يظن النفع ، أو يفسد من حيث يظن الصلاح •

قال : حتى يحكم عليه بما يلزمه من فعله ، ويعاقبه بما يستحقه على فعله • واعلم أنى لم أجعل لك شيئا من الحكومات ، ولا أمرتك بشىء من العقوبات ، بل جعلتك لحماية البلاد ، وأمرتك بالمنع عن الفساد ، ولدفع أهل الباطل عن ظلم العباد ، فلا تتعاط ما لم يؤذن لك به ، ولا تقصر عما أمرتك بفعله ، وكن للقاضى أبى سليمان مناصرا ومعاوننا ومؤازرا ، ما دام فى حكمه قائما ، فقد أوجبت له ذلك عليك ما دام فى حكمه عادلا ، وبطاعة ربه عاملا ، وأوجبت لك عليه وقبله أن يعينك على ما أهلكك له ، وأوجبت على الشراة ما أوجبت عليه إلا أن تستعين بهم فيما لا يجوز لك ولا لهم المعونة فيه ، وحجرت عليك وعليهم خذلان بعضهم لبعض فيما يجب عليكم من المعاوضة والمعاونة والمساعدة ، وفيما يعود بطاعة رب العالمين ، وفى إعزاز دولة المسلمين وكسر شوكة المعتدين ، فافهم ما ذكرته لك وتدبر فيه ولا تتجاوز حده ومعانيه ، وقد أوجبت على الشراة أن يطيعوا الشراة وغيرهم ممن تجب عليه طاعته فى طاعة الله ربهم أن يطيعوا أمرك ، ويقووا على الحق يدك ، ما كنت فى طاعة الله

داعيا ، وعن معصية الله فاهيا ، وحجرت عليهم عصيانك وخذلانك اذا استنصرت بهم على محاربة أهل الظلم ، ومن يعتمد في المسلمين بالجور والغشم ، على أن تستمل في ظعنك وإقامتك وحربك ومسالمتك للمسلمين غير ما أحل الله لك ولدولتك ، ولا تحرم غير ما حرم الله عليهم وعليك ، فان فعلت ما رسمته لك فذلك رجائي وحاجتي اليك ، وان خالفته بعمل الباطل والجور وكون الى الشئ المحرم المحجور ، فاني برىء من فعلك وأنت مأخوذ بما يجب عليك فيه في نفسك ومالك ، فانق الله في قولك وأعمالك ، واستعد به من المورطة في المهالك ، واستعنه على ما يتقرب به اليه ، واعتصم به على ما تحذره وتتقيه ، وتوكل في جميع الأمور عليه ، (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) ، (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور) والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم أ ه ه .

فترى هذا العهد العظيم من الإمام الكريم لواليه على صحارى ، فشمل القاضى والثروة الذين هناك ، وقد ربط الإمام رحمة الله بينهم بهذا الرباط الوثيق ، على هذا العهد الحقيق أن يكتب بماء الذهب ، فقد بين فيه الواجب والجائز وما ينبغي في مصالح الدين والدنيا ، وما يرام فيها بين المسلمين من الأعمال الخاصة والعامة ، فله درّ إمام يراعى أمته في بعدها وقربها ، وفي حلها وترحالها ، ويؤيدها مع الحق ويتبرأ ويتصل من أفعالها إن خالفت للحق غير مجال بها في طاعة الله وطاعة رسوله ، فالحمد لله الذى جعل في الاسلام مثل هؤلاء الأئمة الأعلام ، والهداة الكرام الذين لا يخافون في الله لومة لائم ، ولا عدل

عادل ، قربيهم الطيع لله ، المستقيم على النهج الذي عليه المسلمون ،
وبعدهم من يخالف ما عليه المؤمنون فلا عنصرية ولا عصبية ولا مذهبية
إلا الحق في كل دور من أدوار حياتهم ، فهم في سيرهم وسراهم لله وفي
الله . بمثل هؤلاء الرجال تسعد الأمة ويعلو مقامها عند الله ويجمع الله
بها الشمل .

هذه هي سيرة أئمتنا الكرام أعاد الله علينا وعلى الأمة أمثالهم .

الإمام راشد بن سعيد يقضى بفصل قضية موسى بن موسى

وراشد بن النضر والصلت بن مالك

في يوم الخميس لأربع عشرة ليلة بقين من شهر شوال سنة ٤٤٣ ثلاث وأربعين وأربعمائة ، جمع الإمام راشد بن سعيد المشايخ الذين معه ، وهم : أبو علي الحسن بن سعيد بن قريش القاضي ، وأبو عبد الله محمد بن خالد ، وأبو حمزة المختار بن عيسى القاضي ، وأبو عبد الله محمد بن تمام ، وأبو النضر راشد بن القاسم الوالي ، وأبو علي موسى بن أحمد بن محمد بن علي ، وأبو الحسن علي بن عمر ، وأبو بكر أحمد بن محمد بن أبي بكر ، وعرض عليهم رأيه في قضية الأئمة : الصلت ابن مالك ، وراشد بن النضر ، وموسى بن موسى ، وأفاد ما عنده في القضية فصلا حاسما لنزاع لم يزل بين مشايخ العلم في تلك الحادثة التي لم تنزل أحدوثة السمر ، وبها قد انشقت عصا المسلمين ، وحصل بينهم بسببها الحقد والكدر ، والإيمان يدعو الى التآلف والتآزر ، ورفض ما يفرق أمر المسلمين ، وهم جميعاً كما نص بذلك القرآن الكريم حيث يقول : (ولا تنازعوها فتفتشلوا وتذهب ريحكم) وكما نص الحديث الشريف عنه عليه الصلاة والسلام : كونوا عباد الله إخوانا وعلى الخير أعوانا في أمثاله •

قال الإمام رحمه الله في كتاب حرره فصلا للقضية المشار اليها وهو قوله : بسم الله الرحمن الرحيم ، من إمام المسلمين راشد بن سعيد ، قد اجتمعت بحمد الله ومنه كلمة عمان على أمر واحد ، ودين قيم ، وهو دين الله الذي أرسل به رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ، فمنهم من تولى الصلت بن مالك رحمه الله ، وبريء من موسى بن موسى وراشد بن النضر ، ومنهم من تولى المسلمين على ولايتهم الصلت بن مالك رحمه الله ، وبراعتهم من موسى بن موسى وراشد بن النضر ، واجتمع على

الدينونة بالسؤال فيما يجب عليهم السؤال فيه عند أهل الحق الذين يرون السؤال واجبا ، واجتمع رأيهم على أن من دان بالشك فهو هالك ، وكذلك اتفقوا على أن من علم من محدث حدثا وجهل الحكم فيه أن عليه السؤال فيه ، وأن علم الحدث والحكم كان عليه البراءة منه ، إذا كان حدثه ذلك مما يجب به البراءة من فاعله والحمد لله حق حمده ، وصلى الله على خيرته من خلفه محمد النبي وآله وسلم .

وكتب هذا الإمام راشد بن سعيد بخط يده فصدق عليه المشايخ ، ورضوا به فصلا للقضية وحجة تقضى على تلك البلية ، التي صار لها بينهم عظيم الأهمية ، إذ هي قضية دينية . قال الناقل عنهم : ولأجل هذا الكتاب غضبت الغلاة في أمر موسى بن موسى ، وراشد بن النضر ، على الإمام راشد بن سعيد غضب الخيل على اللجم ، قال : فأضرموا في أنفسهم ما أضرموا ، ولم يستطيعوا كيذا للإمام ولا إظهار عداوة ، بل انقادوا في الظاهر وأخفوا بدعتهم في أنفسهم ، كما سترى بعض كلامهم في إمامة ولده حفص بن راشد بن سعيد ، أي حين اختلف الوضع وتبدل الشخص عادوا الى ما كانوا عليه والشيطان يتلاعب بالناس تلاعب الكرة بالمولجان وقاصد الخير لا يبعث الشر ، والداعي الى الحق لا ينبغي منه السعى الى الباطل ، وموسى بن موسى وراشد بن النضر ، والصلت بن مالك ، لا يخص من جاء بعدهم شيء من أعمالهم ، والله لا يكلف قوما بأعمال غيرهم ، ولا يرضى في عباده إلا الحق ، ولا فعل هذا صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وقد وقعت بينهم فتن وحوادث ، ونزلت بينهم قضايا هامة وهي على كاهل أهلها (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ولا تسألون عما كانوا

يعملون) فما بالناس نحن كلما طال الزمان جددنا المأساة ، وأعدنا العداوات بها ، أيرضى بهذا عاقل عافاه الله من ذلك ، إن هذه لعجب .

وكان الإمام راشد بن سعيد رحمه الله يشارى الناس ، وبقي البحث هنا في هل يبقى حكم الثرى بعد موت الإمام أم لا ؟ فأفتى الشيخ أبو الحسن بن سعيد ببقاء حكم الثرى على ما كان عليه ، حتى يموت المشارى يراه عقدا على طاعة لا يصح نقضه إلا بالموت ، أى لا يرتفع عن المعاهد إلا بموته ، وربما يرى بعض العلماء أن تلك صفقة صافقها المشارى إمامه وعليه الالتزام مادام مصافقه حيا ، فإذا مات انحل ذلك لعدم المصافق ، وبهذا أفتى محمد بن خالد أحد علماء ذلك الوقت والله أعلم .

قال شيخنا ابن جميل عفا الله عنه :

ولم يزل كذلك فى الإمامه
حتى توفى بالغامه
وقبره ينزوى قد رويناه
لا أعرفن موضعه تعييناه

وتوفى الإمام راشد بن سعيد رحمه الله فى المحرم سنة ٤٤٥ بنزوى رحمه الله وقبره بها .

وهذا كتاب من الإمام راشد بن سعيد الى الشيخ موسى بن نجاد ، والى منح وأدم معا فى أحوال بعض السرايا التى سيرها الإمام المذكور فى بلاد المسلمين ، وانتقد بعض الناس منهم أحوالا ، وذكروا عنهم أعمالا ، ولا تخلو هذه الحياة من حوادث تنتقد ، وأعمال تعتمد .

قال الإمام رحمه الله على أثر ذلك : فإن كان أحد من أهل هذه السرية قد ركب جورا أو فعل فعلا منكورا فأنا برىء منه ، أى لم أأمر بفعل الجور ولا أَرْضى به ، ولا يسعنى السكوت عنه اذا قامت حجته ، قال رحمه الله : أنا برىء منه ومن فعله ، معاقب له على ذلك بعد الصحة ، منصف بما يجب فى الحق عليه ، غير راض بجهله وتعديه . وما بعثت هذه السرية إشارة للسرية التى وقع النقاش من أجلها لم أبعثهم ، حتى نهيتهم عن ظلم العباد ، أى تقدمت عليهم بذلك كما هى سيرة أئمتنا منذ الجلندى ، بل منذ أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، إذ كان يتقدم على كل السرايا تحذيرا وتنبهيا وتتصلا الى الله ، ثم الى المسلمين إخوانه حتى لا يقع عليه سوء ظن رحمهم الله وجازاهم عن الدين أفضل الجزاء ، ما كان لهم نظر فى غير المصالح الدينية ، فهم هداة الأمة الى الحق ، وهم الدعاة الى إحياء الشريعة المحمدية ، لم يغتروا بالبيضاء والصفراء وإن كثرت ، كما روى عن أبى طالب أمير المؤمنين قوله : يا بيضاء ويا صفراء لا تغرينى وغرى غيرى ، أى لست المغتر بك لا أرب لى فيك ، ولا يميل قلبى اليك ، إنما أنت فتنة فلا أفتن بك ونحوه عن أهل العلم المخلصين لله عز و علا فى المذهب .

قال الإمام راشد بن سعيد رحمه الله : وأمرتهم فى غزوتهم المشار إليها بطاعة رجل من أهل الصلاح والرشاد ، ولاجد للسرية من أمير من طرف الإمام ، هكذا قال ، فان كانوا تجاوزوا فى ذلك الى مالا يجوز لهم فعله فعليهم وزر ما فعلوه ، وضمان ما أتلّفوه على الناس وأحدثوه ، ولست بداخل معهم فى عصيان ولا مشارك لهم فى ضمان ، فان يكن أحد يدعى على أحد من أصحاب السرية حقا فليصل الى حتى أوصله الى

حقه ، وليس على علم ما غاب عنى ، ولا إنصاف من لم يطلب الإنصاف منى ، ولن تقوم الحجة على العسكر بالخط ، أى بكتاب يرسله المدعى عليهم ، بل عليه أن يحضر ، وعلى الإمام إحضار الخصوم ، ثم يترافعون اليه ، فان شاء أن يحكم بينهم حكم وإلا دفعهم الى من يراه أهلا لفصل هذه القضايا من أهل العلم .

قال رحمه الله : لا تقوم الحجة عن العسكر بالخط والقرطاس ، أى لاحتمال أشياء فى المقام كما أشرنا الى وجه من وجوها . قال : ولا الى كلام من لا يلتفت الى كلامه من الناس ، أى كذلك لا تقوم الحجة على المسلمين بكلام الغوغاء والمرجفين الذين لم يكونوا حجة فى دين الله ، كما نص على ذلك الكتاب والسنة ، قال رحمه الله : وللمسلمين بحمد الله مداخل فى العدل ومخارج من الجهل ، ينكرها من لا بصر له ولا تمييز معه ، ويعرفها من هداه الله لمعرفة ونفعه الله بها ، ومن نطق بقول لا بصر له فيه ولا يعرف حلاله من حرامه ، وقصد من لا يعرف جوره من عدله ، لم يسلم من ذلك ولو أصاب فى قوله وفعله ، أى لم تغنه إصابته تلك لأنها كانت على غير علم ، كما أشار الى ذلك حديث الربيع وغيره فى قوله عليه الصلاة والسلام ، ولو أنه أصاب الحق فى خصوص حديث من أفتى مسألة أو فسر رؤيا بغير علم الحديث ا ه . ه .

وهذا الكتاب الذى كتبه الإمام راشد بن سعيد لوالى منح ، وكتبه أيضا لوالى آدم ، وكتبه لوالى سنى ، وجعله حجة بينه وبين الولاية المذكورين فكان سدا مانعا عما قد يكون من بعض الناس الذين تأخذ بهم معرفة الجيوش ونشوة النصر ، والله الهادى للحق باذنه ، فرحم الله الإمام الراشد ورضى عنه ، وأن هذا هوسبيل أئمة الهدى

الوقاة من الردى ، والدعاة الى الاهتدا ، فان أصل قوامهم الإيمان بالله ، والإيمان يحتم عليهم الطاعة التي لا شائبة فيها ، والتباعد من أهل السوء كما يفهم من قوله عز وجل : (وليجدوا فيكم غلظة) ، والمراد بها التمسك بالأوامر الإلهية والثبات عليها في المكره والمنشط ، والعض عليها بالنواجذ . ورد من يرتد عنها اليها ، وإرغام من عاداها عليها ، ولن يقوم الاسلام الذي هو دين الله الذي فرضه على عباده ، وأراده منهم وأرشدهم اليه في الأيام الخالية ، فكان شمس الهدى العالم كله أضوا من شمس السماء التي تعرفها العوام الجهلة إلا بذلك ، وما أشرق ضوء تلك الشمس إلا وأصبح العالم كله يتلألأ نورا ، ويشرق ضياء ، ينادى بلسان الحال كل ذى نهى في الكون .

إمامة الإمام حفص بن الإمام راشد بن سعيد

قال شيخنا ابن جميل بعد ذكر راشد بن سعيد :

ونصبوا من بعده سليله
حفصا وكان في الهدى مثيله
وكان سلطان العراق نقلا
جيشا على حفص وكان اقتتلا
وانهزموا ولم يزل إماما
حتى توفي واحتسى الحماسا

والمعنى أنه لم يزل على إمامته حتى توفاه الله لا كما يقول ابن الأثير في خريطته التي يدونها بغير تحقيق ، ويعلق الأخبار متلقفا لها من ألسن الأعداء الذين لا يباليون بما يقولون ولا بما ينقلون .

لقد عرفت نسب راشد بن سعيد مما تقدم ، وهذا ولده حفص بن راشد ، وقد توفي راشد بن سعيد في سنة ٤٤٥ ، وبويع ولده هذا بعده . قال في معالم الجزيرة : وبويع بعد راشد بن سعيد ولده حفص . قال الإمام : ذكر في بعض السير أنه نصب من بعد راشد بن سعيد ولده حفص بن راشد ، قال : ولم يذكروا تاريخا لبيعته ولا لمدة إمامته ، قال : وظاهر كلام بعضهم أنه مات في الإمامة ، فانه قال مات ولم يعزله المسلمون ، قال : وكلام أبي الحسن البسياني وهو من الغلاة في أمر موسى وراشد أن بيعته عنده غير صحيحة .

قال : ولعل ذلك لسلكه طريقة والده في أمر موسى وراشد ، فإن

أبا الحسن سئل بما نصه : ما تقول أيها الشيخ في حفص بن راشد إن تاب ورجع وجددت إمامته يرجع إمام المسلمين أم لا ؟ فان عقد له من متعلمي أصحابنا وثقاتهم خمسة أنفس تتعقد له الإمامة وإن بلينا به وطلب منا النصرة والخدمة ما نعمل ، وما يكون قولنا له ؟ قال : أما العقد الأول فانه لم يصح وعلى ما ذكر بعض من دخل فيه رأيته عقدا غير ثابت ، وأمرنا مشكلا ، وقد جرى بعد العقد الذي هو غير ثابت أحكام غير جائزة ، ومشهور فسادها ، ودخل فيها من لم يكن يجوز أن يتقدم بأمرها ، ومع ذلك أيضا حدث قتل من قد علمتم فتكا بغير صحة ولا حجة علمناها ، وأوحشنا ذلك ، فقد طلب منه تصحيح ذلك الحال أصحابنا ، فلم يبينه ، وقولنا في ذلك قول المسلمين ، ونحن نتوب الى الله • وأما إن اجتمع أمر المسلمين وأهل المشورة في الدين على شيء ، ووقع التراضي على إمامته ، فبعد التوبة وإظهار ذلك والإنصاف أو حجة أي تخرجه مما يدعى جائز أن يعقد له إن تاب •

قلت : إن هذا الشيخ ينكر العقد للإمام حفص بن راشد ، ولم يبين وجه ما يقول ولا ما ينكر ، وليته بين حتى يعلم المسلمون ما عنده إن كان حقا تبعوه عليه ، وإن كان باطلا اجتنبوه معه ، حتى يعلموا من الإمام الحق الذي لا ريبه معه ، أما الحكم بالبطلان وعدم صحة العقد ليرتب عليه عدم صحة الإمامة فلا يكفي ، فانه اذا اكتفى به هو لم يكف به غيره من المسلمين ، والأمر الذي يميل اليه الجمهور أولى من الأمر الذي يتبعه الأقل خصوصا في الأمر الجامع كالإمامة ونحوها ، فانها من الأمور العامة بين المسلمين ، وليتهم لم يشقوا العصا بينهم وإخوانهم فما يقوم به بعضهم يقوم به الباقون ، وهو الذي يدعو انيه القرآن ويأمر به الرسول الأعظم صفوة آل عدنان ، ولا ينتج الافتراق

والتلاشى إلا من نوعه ، وبذلك تسقط قسوة المسلمين وتذهب هيبتهم من قلوب أعدائهم ، وبذلك يطمع فيهم من كان يخافهم ويخشاهم .

قال الإمام : وسأله آخر أى سئل الشيخ أبا الحسن فقال : أفقتنا في حفص بن راشد أكانت إمامته صحيحة أم لا ؟ وقد بايعنا له محمد بن الحسن المليانى على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله فبايعناه ، وخرجنا عندهم فلم نر من ذلك شيئاً ، وسلمنا الى الثقة من أهل دعوتنا شيئاً من الزكاة فقبضها وأنفقها ، فوقع الخوف فهرب وانتهبت فضمنها ذلك الانسان الذي قبضها ألنا من هذا براءة عند المخلوق أم لا ؟ وذلك إنا كنا دائنين بطاعته مسلمين جاهلين بالبحث عن الإمامة ، وكذلك ابتليت أنا لهم بقبض شيء من الناس بأمر أصحابه أعلى فيه ضمان أما قبض بيدي فلا ، ولكن كنت أحضر ذلك وأمر فيه ما يلزمني في ذلك ؟ بين لى رحمك الله ، هذا سؤاله وما كان ينبغي له أن يسأل عن مثل هذا وقد بايع على حق بحسب الظاهر ، ولا ينبغي له ذلك لأن هذا يكون من نوع ما نهى الله عن السؤال عنه في قوله عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) الآية ولما سأل عن هذه الأشياء أجابه الشيخ أبو الحسن بقوله : هذا أمر مستور ، وأمره كان مقبوراً أى مكتوماً في النفوس ، فلا أحب فيه ظهوراً ، وأما أنا فقد بلغت الغاية وأفصحت الأمور مع الريب الذي فيه ، وطلبت تصحيح ذلك فوجدت الأمر فيه غير ثابت في العقدة ، والعمل غير مستقيم ، ولم أكن دائناً لله بطاعتهم ، وكنت غرمت ما قبضوا منى ، وأبدلت صلاتي يوم صليت الجمعة عندهم ، وأما أنت على ما سألت فإن المستحل الدائن لله بالطاعة اذا أخطأ ثم علم بخطئه فأكثر القول أنه لا ضمان عليه ، وعليه التوبة والرجوع عن ذلك ، وأما

الشيخ لعله يعنى أبا محمد ، فرأيت يوجب الضمان على من دخل مستحلا بخلط ، وقد كلن ألزمنى ضمان ما كان أيام راشد بن الوليد ، لعل أرادوا من الذى دفعت وقبضت سوى الذى فى الاستحلال والدينونة ، والذى أحبه لك أن قدرت على الخلاص من ذلك أن تبدل مكان زكاتك وتستحل من أخذت منه شيئا إلا أن يكون رسولا لصاحب الزكاة الى الوالى ، فلا ضمان ، وأما الأحكام عند الخالق فذلك اليه ، وإنما تعبدنا بالحكم ما يعلم فى الظاهر فعلمناه والسلام •

قال الإمام رحمه الله : هذا كلام أبى الحسن البسيانى وفيه ما فيه على حفص ، وما أراه إلا من قبيل مخالفتهم فى الغلو فى أمر موسى وراشد ابن النضر ، حيث إن الإمامين لم يكونا على بدعتهم ، وكتبت بعد كلامه مسائل تشبه الرد عليه من كاتبها •

قلت : هى فى الحقيقة رد عليه لأنها تعارض مدعاة ، وتقضى بالاعتراض على ما أبداه ، وهذا مما يخل بالأمر فى الاسلام ، لأن الله يقول : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) ، وكان ينبغى الاجتماع على الأمور ودفن كل سبىء مهما أمكن ، وكفى بالمرء نبلا أن تعد معائبه ، ولا يسلم الانسان من هفوة وسقطة مهما كان ، والذى ينبغى التكاثر والتأزر وإلغاء العنصرية والعصبية فى الممكن إلا أن يكون كفرا بواحا وهوى متبعا واعجابا برأى فهناك التناصح مفروض والتجاوزا مرضى •

ومن تلك المسائل التى تشير بالرد على الشيخ أبى الحسن قوله : قال البعض إن الإمام لا يحتاج الى العقدة اذا وقع الرضا به والتسليم له ثبتت إمامته ، والمعنى أن المعتبر الرضا لا العقد ، فان وقع خمسين

مرة على غير الرضا لا يكون حجة ، الا ترى اذا كان العقد على القهر والإجبار لا يكون حجة ، وإن كان الف عقد ، أما الرضا ممن هم الحجة في الدين من علماء المسلمين وقادة المؤمنين ، فانه حجة ثابتة شرعية ، ومن ذلك إمامه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وإنما قدمه أبو بكر فقط فرضى به المسلمون وأذعنوا ، فثبتت إمامته عليهم ، ووجبت فيهم ، ولم ينكر ذلك أحد من المسلمين ، وإنما أنكر بعضهم غلظة عمر وشدته ، والقضية مشهورة بين المسلمين ، معروفة صحتها في الدين ، وبها احتج هذا القائل المعترض على هذا الشيخ الطاعن في إمامة حفص بن راشد رحمهما الله .

قال : ومن ذلك إمامة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، إنما قدمه على الإمامة للناس أبو بكر وحده رضى الله عنه ، فلما وقع التسليم والرضا بإمامته ثبتت له من غير عقدة ابنه .

قال : ومنها ما معناه أن الإمام مصدق فيما يكون فيه مؤتمنا فلا يطلب بالبينة على يد سارق قطعها ، ولا على حد أقامه ، ولا على حكم أمضاه وأنفذه ، وإنما يكون محجوجا في الأشياء التي هو والرعية فيها سواء ، مثل الحقوق التي للعباد فيها تعلق وتخرج منه مخرج الأحداث ، كما من غيره أيضا وفي هذا انتقاد واعتراض على الشيخ أبي الحسن المنتقد على الإمام الحفص ، المبتلى بأهل عمان في ذلك الزمان ، وكان أيضا الشيخ أحمد بن عمر بن أبي جابر المنحى من الغلاة في أمر موسى بن موسى ، وراشد بن النضر ، وكان يلوح بالانتقاد على حفص ابن راشد ، إذ كان يرى فيهما رأى أبيه ، وكان الغلاة يغيظون عليه غضب الخيل على اللجم .

قيل لهذا الشيخ : ما تقول في إمام غير ثابت الإمامة ألزم رجل من المسلمين المدخل عنده في أسباب ، وكان يأمره أن يكتب إطلاقات في

الجبليات ، إن كان إطلاق هذا الرجل لهذا المال على سبيل الاحتساب أنه يطلقه للفقراء وابن السبيل ، وكان اعتماد هذا الرجل على هذه النية لا يعضى أمر هذا الإمام ولا يعمل برأيه ، وإنما هو على قدر ما يرى من يستحق هذا المال لفقره لا غير ذلك ، هل يسعه ذلك ؟ قال : يسعه .
قال الشيخ يسعه ذلك على هذه الصفة ؟ قيل له : فان أمره أن يحلف له رجلا ممن يخشى منه كما يفعل الأئمة ، قال الشيخ المذكور يحلفه للمسلمين لا له ، قيل له : فان أمره أن يبائع له أحدا من الناس هل له ذلك ؟ قال الشيخ : يبائعه للحق لا له ، قيل له : فان أنفذه لغزو عدو للمسلمين أو لقمع ملامسة ؟ قال الشيخ : يكون احتسابه ذكر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فان امتنع عليه من أمره بالمعروف ونهاه عن المنكر ، وكان منكروه الذي ارتكبه عيانا كان له محاربتة إن حاربه بعد أمره له بترك المنكر الذي ارتكبه ، وإن كان على وجه التهمة له مثل قطعه الطرق والتعرض لمظالم الناس والتعدى عليهم ، ولحقه هذا القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لم يحاربه إلا بعد الاحتجاج عليه بأن المسلمين قد رأوا الامسك في الحبس على الأشياء التي قد نسبت اليك ، وشهرت عليك من المناكر ، وقصدك الى الظالم ، فان أجاب لم يكن إلا ما رآه المسلمون ، وإن امتنع عن ذلك عملوا له على الاستيثاق منه ، فان شهر السلاح وحارب على ذلك ولم يرجع الى الحق كان قصدهم في مجاهدتهم هذه على أنهم يمسونه عن الأشياء التي قد نسبت اليه من المظالم والقصد لها ، والمناكر والعمل لها ، فان تلفت نفسه في ذلك لم يكن فيه تبعة على هذه الصفة .

قيل له : فان أراد هذا الإمام الخروج الى بعض النواحي لغزو قوم ظلمة معتدين ، وطلب صحبة هذا الرجل هل يصحبه ؟ قال الشيخ : إن شرط عليه ألا يفعل ولا يقدم على شيء إلا برأيه وعرف صدقه في ذلك أنه يقبل منه ولا يغضبه في شيء جاز له الخروج معه على هذه الصفة والله أعلم اهـ .

وعلى كل حال إن محاربة البغاة وأهل الفساد في الأرض والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمور مفروضة على كل فرد من عباد الله ، ولولا ذلك لضاع الإسلام وانهد كيانه وتبعثر بنيانه ، وإذا كان هذا الإمام غير صحيح العقد في الإمامة ورضى به المسلمون ثبتت إمامته كما ثبتت إمامة غيره بغير شك ، وأى جرم اجترم حفص بن راشد حتى يفتقد عليه ، أما متابعة والده في مقاله في موسى بن موسى وراشد ابن النضر ، والصلت بن مالك ، فلم يفعل والده شيئاً يقدر في إمامته ، وقد رام الرجل أمراً يكون صالحاً أمر المسلمين جامعاً لثمتهم ، وأن تموت تلك الزعزعة العاصفة بالأمة وينقطع غبارها ، وتنطمس آثارها ، وألا تبقى تعاد طول الدهر لاثارة الشقاق وإقامة بواعث الافتراق ، ولقد أحسن فيما صنع ولكل نظره والله ولى القوفيق •

أما ذكره ابن الأثير في كامله في آخر إمامة راشد بن الوليد ، وهو يقول ذلك في إمامة حفص بن راشد المذكور ، ففيه تخطيط ، أما أولاً فقد أورده في حوادث سنة ٣٦٣ ثلاث وستين وثلاثمائة ، وأما ثانياً فلأنه ذكر خروج سلطان العراق على الإمام حفص بن راشد ، وأن حفصاً هذا جعل له أميراً اسمه ورد بن زياد ، وأن حفصاً بعد قتال سلطان العراق انهزم وفر الى اليمن فصار معلماً الى آخر ما قاله ، وكله لا أصل له في التاريخ العماني ولا غيره ، وإنما هو تلفيقات أوردها وأخالط اعتمدها أخذاً لها من ألسن العوام الذين لا يعرفون قبيلاً من دبير •

أما الحقائق العمانية التاريخية لم تذكر من هذا شيئاً أصلاً ، وقد يؤخذ من نقله أشياء • قال ابن الأثير المذكور : اجتمع بجبال عمان خلق كثير من الشراة ، واختص اسم الشراة بالإباضية وهي إحدى مزاياهم ، قال : وجعلوا لهم أميراً اسمه ورد بن زياد ، وجعلوا لهم خليفة اسمه حفص بن راشد ، فاشتدت شوكتهم • قال : فسير اليهم عضد الدولة المطهر بن عبد الله في البحر أيضاً فبلغ الى نواحي حرفان •

قلت : لم نعرف حرفان بهذا الاسم ، ولا علمنا عنها شيئاً من أعمال عمان •

قال : فأوقع بهم وأثنخ فيهم وأسر ثم سار الى دما وهي على أربعة أميال من صحار ، فقاتل من بها وأوقع بهم وقعة عظيمة قتل فيها وأسر كثيراً من رؤسائهم ، وانهزم أميرهم ورد وإمامهم حفص واتبعهم المطهر الى نزوى ، وهي قسبة تلك الجبال ، فانهزموا منه فسير اليهم العساكر فأوقعوا بهم وقعة أتت على باقيهم ، وقتل ورد وانهزم حفص وفر الى اليمن فصار معلماً •

وجاء عنه أيضاً : أن الخوارج يعنى المسلمين في حوادث سنة ٤٤٢ قال : في هذه السنة استولى الخوارج يعنى المسلمين يبنزهم بذلك إن لم يكن جاهلاً بالأصل وإلا فكيف يطلق على المسلمين الخوارج ، ولا يطلق ذلك على غيرهم ، وإذا سميناهم لأجل التمييز فقط إباضية ، من أين وجد الإباضية خوارج إلا إن كان يعنى خوارج عن الباطل ! فأهلاً وسهلاً ، ولكن ما أراه أراد ذلك قال : استولوا على مدينة تلك الولاية ، وأراد بذلك نزوى إذ هي عاصمة الداخلية • قال : وسبب ذلك أن صاحبها الأمير أبا المظفر بن الملك أبى كاليجار ، كان مقيماً بها ومعه خادم له ، قد استولى على الأمور وحكم على البلاد ، وأساء السيرة في أهلها فأخذ أموالهم فنفروا منه وأبغضوه ، وعرف انسان من الخوارج يقال له ابن راشد الحال فجمع من عنده منهم وقصدوا المدينة ، فخرج اليه الأمير أبو المظفر في عساكره ، فالتقوا واقتتلوا فانهزمت الخوارج وعادوا الى موضعهم ، وأقام ابن راشد مدة يجمع ويحتشد ، ثم سار ثانياً وقاتله الديلم ، وكان الديلم هم جند الأمير أبى المظفر المذكور ، ولا شك أنهم سيطروا على بنى العباس في عراقهم ، فكانوا جنداً ، صاروا أمراء على الأمة ، وأنه أهل البلد لسوء سيرة الديلم فيهم ، فانهزم الديلم وملك بن راشد البلد ، وقتل الخادم وكثيراً

من الديلم ، وقبض على الأمير ابن المظفر وسيره الى جباله مستظهاً عليه
وسجن معه كل من خط بقلم من الديلم وأصحاب الأعمال ، وخرّب دار
الإمارة ، وقال : هذه أحق دار بالخراب ، وأظهر العدل وأسقط المكوس ،
واقصر على ربع عشر ما يرد اليهم ، وخطب لنفسه وتلقب بالراشد
بالله ، ولبس الصوف وبنى موضعاً على شبه مسجد ، قال وقد كان
هذا الرجل تحرك أيام أبى القاسم بن مكرم ، فسير اليه أبو القاسم
من منعه وحصره ، وأزال طمعه هذا كلامه والله أعلم بصحته ا ه .

وعليه فماذا يؤخذ منه فانه قال أولاً : إن حفص بن راشد انهزم
الى اليمن وصار معلماً ، وهنا يقول خلاف ذلك كما تراه ، أما تخريبه
دار إمارة الظالم فصوابه ظاهر ، وقوله • أظهر العدل فالعدل هو
أنشودة أئمتنا رحمهم الله ، وأما قوله : وأسقط المكوس واقصر على
أخذ ربع العشر ما يرد اليهم ، يعنى بذلك ما يؤخذ في الجمارك
من أموال البحر الواردة للتجارة ، وهو صواب وهل يبعد الصواب عن
الإباضية فيما حرم الله وما أحل ؟ لا والله انهم أحق بذلك من غيرهم ،
ولذلك ينصبون الأئمة ويتجشمون المصابب المهمة ، وهذا هو بغية
الاسلام من رجاله الكرام ، وأما قوله : وبنى شبه مسجد لا نعرفه في
أصحابنا فضلاً عن أئمتنا ، اللهم إلا أن يكون موضعاً خصمه لصلاته
حيث لا يمكنه الخروج الى المسجد لأجل الحزم كصلاة الأئمة في غرفة
الصلاة بنزوى ، وبالرستاق وجبرين وهكذا ، وأما قوله : وخطب لنفسه ،
فعلى كل حال اذا كان هو الإمام لابد أن يخطب لنفسه ، لأنه
الإمام أو يخطب له غيره بأمره • وقوله : ولبس الصوف لم يختص
أئمتنا بحمد الله بلباس مخصوص ، يكون شعاراً لهم ، وإنما يلبسون
ذلك زهداً وقناعة كما كان على ذلك الصحابة رضوان الله عليهم ، وأئمتنا
مازالوا ولن يزالوا على طريقة الصحابة في كل جيل ، من رآهم نادى
بأعلى صوته هؤلاء الصحابة ، أو من أراد أن ينظر الى الصحابة فليُنظر

الى أئمة الإباضية ، وهذا لايزال يردده الأجانب ، وسمعناه منهم
والحمد لله •

قال العلامة أبو اسحاق الإطفيشى قوله : وتلقب بالراشد بالله الى
آخره ، هذا اللقب وأمثاله لم تكن الأئمة من أصحابنا تلقب به في قطر
من أقطار الإمامة في المشرق أو المغرب ، وهذا من تخطيط مؤرخى قومنا ،
وانظر الى قوله : وبنى موضعاً على شكل مسجد ، فإنه تعبير سخيف ،
فيه شيء من التهكم لتستدل على مقصد هذا وأمثاله في حق من يخالفهم ،
ولتكن على بينة من أنهم حتى في الحقائق الواضحة المشتركة ، لا يعبرون
عنها تعبيراً صحيحاً اذا ساء لهم الهوى ، وإلا وأى غضاضة لو قال بنى
مسجداً وكان هذا يرى أن الإمام ثار على خليفته في زعمه ، وقد لفق
كلامه هذا ليبنى عليه زعمه ، ولكن تعبيره الأخير كشف مراميه وأبدى
عواره ، والإمام قائم بأمر الله تعالى تبعاً لنفسه من الأئمة ، فهم
ينتخبون إماماً بعد إمام اذا مات منهم سيد قام سيد ، والحقائق لا ينكرها
إلا عديم البصيرة ، واذا أنت أضفت الى قول ابن الأثير قيل وانهمز ،
حفص الى اليمن فصار معلماً ، فهو أسطورة ، ومؤرخو عمان أثبتوا أن
الإمام حفص مات في إمامته دون خلاف كما لديك اليقين في الحكم على
هذا التشويه التاريخي ا ه •

وقد قدمت لك التحقيق عن مقاصد هؤلاء المؤرخين ، وقد وجهنا
كلامه على أحسن الوجوه اللائقة ! هذا ما قاله المذكورون ، وفي
ابن رزيق قال : ثم عقد بالإمامة بعده أى بعد راشد بن سعيد على ولده
حفص بن راشد بن سعيد ، فسلك نهج السلف الصالح في سيرته الحميدة ،
فما لبث فيها إلا يسيراً الى أن توفاه الله ا ه •

وهذا يدل على أن الإمام حفص لم يطل عهد إمامته ، والتحقيق لم
نتمكن منه وعمى إن شاء الله أن ندركه ففرغه للاطلاع ، ومن المستنتج
المفهوم من المقام أن الإمام حفص بن راشد عاش زمانا واسعا في إمامته
لا كما يقول ابن رزيق فإنه تولى الأمر وقام عليه الأعداء من زعماء السلطنة
العباسية كما تردد المقال عنه في ذلك ، وصار وما صار بينه وجيوش
السلطنة المشار إليها •

إمامة راشد بن علي من أئمة الطائفة النزوانية

قال ابن رزيق في سيرته : ثم عقد بعده أي بعد حفص بن راشد علي راشد بن علي ، فان كانت هذه البعدية تاريخية فذاك ، وإن كانت وقتية احتملت الفراغ في الوقت ، وظاهر الكلام دال على أن راشد بن علي بويج بعد حفص بن راشد وهو الواضح ، قال : فحمدته الخاصة والعامه وسارسيرة العدل وقمع البغي والظلامه .

قال الإمام رحمه الله : ولم أجد تاريخا لوقت بيعته ولا عرفت نسبه ، غير أن الأحوال تقتضى أنه بويج بعد حفص بن راشد ، وعلى ذلك ترتيب السير أي لم يكن مانع بعد الإمام حفص بن راشد من إعادة الإمامة ، والعمانيون لا يرون لهم قرارا إلا تحت ظل الإمامة لما فيها من الاستقامة في الأمة ، ومالديها من العدل والمساواة ، وما تدعو اليه من الإنصاف بين الناس ، فلذلك ترى أهل اذا قامت الإمامة كانوا أعوانها وأنصارها ؟ ورأيتهم تحت أجنحتها مسرورين بوجودها ؟ واذا زالت تضاءلوا وانضوا في بيوتهم مختلفين حتى اذا رأوا الفرصة لها بروزا من مخابئهم ، وخرجوا من أكواخهم منادين لإخوانهم ، ناشرين لأعلامهم مؤيدين لإمامهم ، جامعين لأمتهم تحت ظل عدلهم ، وحسن الظن فيما قاموا له على أحسن التوجيهات التي تليق في الدين ، وعلى أحسن المقاصد في المسلمين .

قال الإمام رحمه الله : ووجدت تاريخا لتوبته الآتى ذكرها قريبا ، أي فيستفاد منه وقت إمامته ، قال إنها كانت أي توبته في سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ، فيكون على هذا هو علي أثر حفص بن راشد كما أشار الى ذلك ابن رزيق ، لأن راشد بن سعيد رحمه الله توفي في سنة

خمس وأربعين وأربعمائة ، وبويع بعده لولده حفص ، ثم بويع بعد حفص بن راشد للإمام راشد بن علي المذكور . قال : فحمدته الأمة وشكرته الرعية ، وقام منار العدل . قلت إنما بويع لذلك وطلب منه هذا ومثله وهو حقيق لأن يكون كذلك ، والأوجب عزله واقامة من يقوم بذلك عنه ، وقوى ساعد هذا الإمام وعلا صوته في عمان ، وطال عمره في الإمامة وهو الذي قتل القاضي نجاد بن موسى أحد الخارجين عليه في سنة ٤٩٦ في ذي القعدة لأحوال اقتضاها الحال ، والله أعلم بمن هو المحق ومن هو المبطل ، ولم نكلف علم ما غاب عنا ، وبحسب الظاهر أن الإمام راشد بن علي لما قامت إمامته بعمان واشتدت صولته في الأوطان ، وصفا له الجو من عمال بنى العباس الذين طالما آذوا أئمة عمان ، وطالما قادوا عمان بسلاسل الجور ، وقد عرفت ذلك مما مضى ، وهذا الإمام اذا سلم من أعداء عمان لا ينبغي أن يسلم من أهل عمان ليأخذ قسطا مما أخذ إخوانه الذين تولوا الأمور قبله ، وصارعتهم الليالي والأيام ، وقد عاش الإمام راشد بن علي في الإمامة عهدا واسعا فانه مات في سنة ٥١٣ ثلاث عشرة وخمسمائة فيكون قد عاش قريبا من ثلاثين سنة تقريبا .

خروج الاعيان على الإمام راشد بن علي

لما قام عمود إمامة الإمام راشد بن علي انبعث عرق الشقاق ، ونبض داعي الافتراق ، ونفخ الشيطان في الناس نفخته التي أثارت إحساس فريق منهم ، وما كانت لهم أفكار تردعهم عن شق العصا بينهم وإمامهم ، وأن ينضموا حول إمامته شادين عضده ومؤيدين دولته ، داعين الله للتوفيق على طاعته ، وأن يصرف عنهم معرفة الجيوش الأجنبية ، بل قام هؤلاء الأعيان المنظور اليهم في عمان ، وهم نجاد بن موسى بن ابراهيم والقاضي أبو بكر أحمد بن عمر بن أبي جابر المنحى ، ومن معهم من حزبهم وأهل طاعتهم ، خرجوا على الإمام راشد بن علي لعزله عن الإمامة .

قال الإمام : وخرجت على الإمام المفرقة الرستاقية يريدون عزله ، ورؤساؤهم يومئذ القاضي نجاد بن موسى والقاضي أبو بكر وهو أحمد بن عمر أبي جابر المنحى ، خرجوا الى الرستاق في ذى القعدة سنة ٤٩٦ ست وتسعين وأربعمائة فلم نجد ذكرا لما كان بينهم ، قال الإمام : غير أنى وجدت تاريخا قال : فيه خرج نجاد بن موسى مغلوبا مطرودا ليلة الاثنين من سنة اثنتى عشرة وخمسمائة ، ولم يذكر أين كان الاجتماع للنقاش والمناظرة ، ولعله كان في الرستاق وخرج القاضي المذكور وهو رئيس الجماعة القائمين ، ورجع الى نزوى وعلى أثر خروجهم من الرستاق الى نزوى لحق بهم الإمام راشد بن علي ، ولعله لما خرج القاضي مغلوبا رأى له الإمام حركة فتنة عليه ، فعاجله بالقتل فإن هذا القاضي قتل في هذه الأثناء ، قتله الإمام راشد بن علي ، قال الإمام رحمه الله وقتل أى القاضي يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رجب سنة ٥١٣ ثلاث عشرة وخمسمائة ، فكان بين خروجهم على الإمام وبين قتل القاضي المذكور سبعة عشر عاما ، وسبعة أشهر وبعض الأيام ، وهذا يدل على أن الأحوال بين الإمام راشد بن علي وبين هذا الحزب الخارج توترت ومازالت ترداد توترا حتى آلت على وقوع القتل بينهم ،

وكان الإمام أمر على القاضي من يقتله فقتله أنصار المذكور ، كما يشير الى هذه الأحوال كلامهم عنها ، وهذا الذي نحن نلوم عليه فان الاحتمال في الممكن الذي يكون له محتمل في الدين ، ويسع المسلمين السكوت بل في السكوت عنه إطفاء لثائرتة وإخماد لحرارة النفوس من جهته :

وما مضى قبلك لو بساعة

دعه فليس البحث عنه طاعه

وكان قتل القاضي الإمام في نزوى ، فخرج الإمام من نزوى على قتل القاضي في تلك السنة ليلة الجمعة لأربع ليال بقين من شهر شوال ، وتوفي الإمام راشد بن علي بعد ذلك ببسير في هذه السنة ، وهي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ، والى الله المصير والأمر اليه ، وهو العالم بأحوال عبادہ .

قالوا إن موسى بن نجاد عاش ستا وخمسين سنة ، وما مات حتى قتل ممن قتل أباه ثمانية عشر رجلا ممن يدعى السيادة ، وكان الإمام راشد بن علي من بني خروص ، فان هذا الوقت وقت سيادة أئمة بني خروص ، فانه منذ الوارث بن كعب الى هذا الوقت لم يكن إمام بعمان إلا منهم ، إلا ما كان من إقامة عبد الملك بن حميد ، وإمامة سعيد ابن عبد الله الرحيلي رحمهم الله ، فلذلك يدعى لهم السيادة ، فان الدولة اذا حلت في قوم رأوا أنهم هم السادة للأمة ، وكان القاضي المذكور له أتباع من نسبه ذكر منهم الإمام ولده موسى بن نجاد الذي قام بعد أبيه يأخذ ثاره ممن قتله ، ومنهم ولده كهلان بن موسى ، ومنهم ولده معمر ابن كهلان ، وكان لهم أتباع وأنصار يؤيدونهم ويقومون معهم ، وبذلك استطاع موسى بن نجاد قتل القوم الذين اشتركوا في قتل أبيه حتى قتل منهم ثمانية عشر رجلا ، وهذه عاقبة الشقاق والافتراق ، ونعوذ بالله منه ونسأله عز وجل جمع الشمل تحت راية العدل .

وهذه رسالة بعث بها الشيخ القاضى أبو عبد الله محمد بن عيسى السرى رحمه الله ، الى الإمام راشد بن على ينصحه بها ، ويشترط عليه فيها ، ويدلى بما عنده من الصراحة للإمام فيما يجب الدخول فيه من أمور المسلمين ، وما لا ينبغى نورها ليؤخذ منها المغزى الذى عليه الإمام المذكور وأصحابه ، وما يجب لهم وعليهم ، قال فيها :

أما بعد : فاذا طلبتم منى الاجتماع والألفة ، وبذلتكم من أنفسكم قبول النصيحة فانى راغب فى مقاربتكم وموافقكم ، وكاره لمباعدكم ومفارقتكم ، غير أنه لا يصلح اجتماع على غير طاعة الله ، وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام ، فانه جعل فى طاعته المحبة والاجتماع والألفة ، وجعل فى معصيته العداوة والبغضاء والفرقة ، فان أردتم منى اجتماعا فى الظاهر ، فانى لا يمكننى من ذلك غير ما أنا فاعل ، وإن أردتم اتفاقاً فى الظاهر والباطن ، فحتى أرى منكم غير ما أنتم عليه والله لا يستحى من الحق •

وكان هذا الشيخ ينكر على الإمام ومن معه الأحوال التى هم عليها كما يدل كلامه على ذلك • قال : ولا دهان فى الدين ، ونحن غدا مسئول بعضنا عن بعض ، وقد قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين أو الأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى إن تعدلوا أو تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً) ، وقد أنزل الله كتابه وأرسل رسوله وأوضح دينه ، ولا جهل ولا تجاهل فى الاسلام ، وقد تقدم من المسلمين خلفاء وقضاة وأئمة وولاة ، أخبارهم شاهرة وسيرتهم معروفة ظاهرة ، فمن اتبع سبيلهم اهتدى ، ومن خالفهم ضل وغوى ، وقد قيل اتبعوا ولا تتبدعوا ، وقيل شر الأمور محدثاتها ، وقبل كل شىء اذا ذهب منه شىء ذهب كله • قلت : هذا مبنى على أصل المذهب الصحيح أن الدين لا يتجزأ ، بل اذا ذهب بعضه ذهب كله ، ويدل عليه الحديث :

لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن • الحديث بخلاف بقية الأسماء التى لها أجزاء أو تجوز تجزئتها ، فما بقى منها له حكمه قطعا • قال :
والمسئء مخذول والله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون •

فأول ما اشترطه عليكم أن تتصحن وتعرفون عيوبى : وأن تقبلوا نصائح المسلمين ولا تردوا الحق على من جاءكم به بعيدا كان أو قريبا ، بغيبضا كان أو حبيبا ، وأن تتوبوا الى الله من جميع ذنوبكم ، وتتقوه عز وجل فى سركم وجهركم من العمل بطاعته ، وأداء لفرائضه واجتنابا لجميع محارمه ، واقتداء بالسلف الصالح من المسلمين مع الورع الصادق ، والوقوف عن كل شبهة وألا تعملوا عملا إلا بحجة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والانتفاء عنه والموالاتة لله والمعاداة فيه ، ومشورة المسلمين أهل العلم والورع فيما يعود عليكم من الأمور ، وقد قال الله تعالى : (وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله) ولا تقتدوا برأيكم ولا تعجلوا فى أموركم ، ثم حسن الرأفة بالرعية عامة ، وبأهل الصلاح خاصة والرفق بهم والعدل فيهم ، وأن يتفقد الإمام أمر رعيته وقضاته وعماله ، وإن اطلع على جور من عامل له أو غيره أنكر عليه ، وقام فى ذلك بما يلزمه ولا تطلبوا العلو والرفعة فى الدنيا ، ولا تستنكفوا ولا ترفعوا أنفسكم عن أدنى منازل الدين ، ولا يكون القاضى إما أن يعطى الأمر كله وإلا غضب وجذب يده ووقف عما يلزمه ، فإن من كانت هذه صفته لم يجز تفويض أمور المسلمين اليه ، إذ ليس ذلك من صفات المسلمين ، فإن ولى الإمام واليا على بلد بمشورة غيره من المسلمين لا يغضب ، وإن كان القاضى وال على بلد فعزله الإمام بغير رأيه لم يغضب ، ولم يقف عما يلزمه ولم يترك ما يجب عليه ، وكذلك غير هذا من جميع الأمور ، وأن تقتدوا بمن سبقكم من أئمة المسلمين وقضاتهم وولاتهم ، وأن تتبعوا سبيلهم وأن تهتدوا بهداهم ، فقد قال الله تعالى : (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساعت مصيرا) ، وألا يخلف القاضى الناس لنفسه بما يحلف به الإمام ، فإن هذا لا يعلم

أن أحدا سبق إليه من ولاة المسلمين وقضاتهم وأن تردوا الخيل التي أخذت من الرعية .

هنا يتجلى بعض ما في نفس هذا الشيخ من الأمور التي ينتقدها ، فكأن هناك أشياء شاع معهم أمرها ، ولا ريب فإن الناس لا يخلون من الأحوال يخالف ظاهرها باطنها وربما شاعت عليهم على غير وجهها لللازم لها ، وربما كان لها في الحق مخرج ، وربما كان للإمام فيها عذر ، ولكل مقام مقال . قال : ومع ردها عليهم أى الخليل لا يجبرهم القاضى على الخروج معه لغزو ولا غيره ، إلا أن يتفق للإمام الخروج بنفسه من أمر يجب عليهم الخروج معه ، ولا يكون لهم عذر في ذلك ، وأن تتصفوا الناس في معاملتكم ومدايناتكم ، فإن كان لأحد عليكم حق فلا تمطلوه ليرضى بدون حقه تقية أو ضرورة ، أو تلجئوه الى أخذ شىء من العروض ، حتى يأخذها بأكثر من قيمتها في البلد ، ولا تبيعوا ولا تشتروا لأنفسكم إلا أن توكلوا في ذلك غيركم من الرعية ، ممن هو غير داخل في حرمة وأمره ، ولا يعلم أن المشتري لكم ، ولا تقبلوا من الرعية الهدايا والعطايا ، وأن تمنعوا خدمكم وأصحابكم من ذلك ، ولا تقبلوا من الناس أموالهم على وجه ، ولا ترسلوا اليهم في ذلك إلا أن يفتبرعوا هم من تلقاء أنفسهم ، أو يشير بعضهم الى بعض من غير رسالة منكم ، ولا تتحملوا الديون إلا من ضرورة في نفقة أو كسوة أو تقووا أمر المسلمين ، ولا تبذروا أموال المسلمين ، حين يحتاجوا الى أموال الرعية ، وتأخذوا منهم على وجه القرض أو المداينة أو المعونة ، وتحتجوا أنكم فعلتم ذلك ضرورة أو حاجة ، فليس هذا مما يوجد لكم عذرا في أخذ أموال الرعية ، وأن ترفعوا الطمع فيما لا يجب لكم على الرعية ، وأن تسوا في الحق بين البعيد والقريب والبغيض والحبيب ، ولا تصفحوا عن أحد وتأمنوه ثم تأخذوه وتعاقبوه بعد الصفح والأمان ، ولا تخرجوا الى النواحي والبلدان بعسكر لا تضبطونهم ولا تشدونهم عن الظلم والفساد ، ولا تلتزموا الناس ما لا يلزمهم من الخروج ، بل تعذروا من

له عذر من مرض أو غيره ، ولا تفوضوا أمرا يجرح الناس الى العرفاء والجهال فيبيعدوا ، وتأخذوا الرشاء منهم ، ولا تجبروا الناس على الخروج بلا زاد اتكالا على الضيافة من عند الناس ، ولا يجبروهم على الرباط بلا نفقة ، ولا تستفتحوا بلدا من بلدان أهل القبلة ، وأنتم لا تقدرون أن تتولوا عليها وتحموها وتأخذوها من ظالم وتسلموها الى ظالم ، وأن تبذلوا الإنصاف لأهل السر والسنينة من حرق منازلهم وخراب أموالهم .

وهذه أيضا مما نفس الشيخ تنتقده عليهم وتتخرج منه صرح به الآن ، وكان هناك أحداثا واقعة منهم لم نقف على تاريخها إلا ما نفهمه من كلام شيخنا هذا رحمه الله ، ولا نعلم عذر المسلمين فيها ولا مقالهم عنها ، فالله أعلم بها .

قال : وتعرفونهم عنها وأنكم أيضا تعرفون جميع النواحي التي تجرى فيها الأحداث من عسكريكم وأصحابكم ، وتظهروا اليهم الإنصاف حتى يعلموا أن الحق مبذول عندكم لمن طلبه ، والباطل مردود على من فعله ، ولا تخرجوا اليهم بعسكر تفعلوا عنده مثل ما فعل عسكريكم الأول ، واذا شكت الرعية عاملا من عمالكم ، وطلبت عزله عنهم أن تعزلوه عنهم ولا تكلفوهم عليه البينة ، وأن تردوا مكاتباتكم الى ما كان عليه مكاتبات من سبقكم من المسلمين ، وأن تفوا بعهدكم ووعدكم ، وقد قال الله تعالى : (وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا) ولا تكتبوا لأحد رقاعا خالية فارغة ، فإن ذلك يخرج مخرج السخرية والهزل ، وقد قال تعالى : (لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم) ، ولا تفوضوا الى أحد الحكم بين الناس ، ولو كان لكم وليا حتى يكون ممن يبصر الحق ، ويعرف وجه الحكم ، ولا تولوا واليا على بلد ولا على حرب ولو كان لكم وليا حتى يكون عالما بعدل ما تولونه عليه ، ولا تأخذوا الزكاة من الناس بالقييد والحبس على التهم ، ولا تقولوا لمن نتهمونه

بكتمان الزكاة إننا لا نقبل منك إلا بكذا وكذا ، وهذا كأنه حكم ، ولا يجوز الحكم مع المسلمين بالتهمة ، وألا تبعثوا في طلب الزكاة من الناس غير الثقة لتوكلوهم في تسليمها اليكم ، فإنه قيل إن هذا لا يجوز ، وألا تزيدوا على خدمكم فيما تعطونهم من أجره خدمتهم خلاف سعر البلد ، ولا تأخذوا اعطياتكم بغير حساب ، فإن هذا لا يفعله صاحب دين ولا دنيا إلا ما شاء الله ، وألا تكتبوا الى ولا تكتم وأمنائكم رقاعا لا يجوز لهم أن يعملوا بها وألا تنفوا المسلمين ولا تعاقبوهم بالتهم والظنون ، فإن العدول لا تهمة عليهم ، وإن عاقبتم أحدا من المسلمين فعرفوه الخطأ الذى أوجب عقوبته عندكم ، وإن بلغكم عن أحد من أهل الصلاح ما تكرهونه فلا تعجلوا في عقوبته حتى تظهر الحجة عليه عند المسلمين ، وألا تعرضوا لأحد في فعل منكر تأويلا منكم أنكم لم تأمروا تصریحا لم يلزمكم في التعريض ، بل قد قيل إن التعريض يقوم مقام الأمر الصريح ، وألا تعملوا بالآحاد من الأخبار التى لا عمل عليها عند المسلمين ، وأن تقربوا أهل الصلاح وتدنوهم من أنفسكم ، وتبعدوا أهل الجهل والسفل ، وتزلوا كلا واحد منهم حيث أنزل نفسه ، وأن تعتذروا الى من لحقه منكم جفاء من المسلمين ، وأن ترجعوا في العبدۃ التى اشتريت من عند أبى الفرج والبيت الذى اشتري من عند موسى الفرقانى الى قول المسلمين ، وما يوجب الحق في ذلك •

وهذه النقطة الثالثة التى يعرب انتقاد الشيخ أبى عبد الله لها ، قال : وأن ترجعوا في حكم المال الذى يمنح الى قول المسلمين ، ولا يستبد القاضى فيه برأيه دون المسلمين ، وألا تعرضوا من عند أبى العرب بن أبى جابر شيئا من ماله بقرض ولا معونة ولا عارية ، ولا تمنعوا ورثة ابراهيم بن عبد الله من مالهم بغير حجة ولا حكم ، فانا لا نعلم أن في ذلك جوازا ، واذا سألكم أحد حاجة فإما : نعم منجزة وإما لا مريجة — أى إما وعد صادق وإما نفى كذلك ، فإن خلف الوعد نفاق

ومطل الوعد تنغيص • قال : فإن المماطلة عند الوعد تنغيص وتتكيد ، والمماطلة مع الحرمان تخزية وهزل ، وكلا الحالين مذموم عند نوى الدين ، وإنما يفعل ذلك من هانت عليه نفسه ودينه وعرضه ، والمعنى أن ذلك من الأخلاق المستترلة التي نهى الشارع عنها ، فلا يرضى بها إلا أهل الدنيا ، ولا يرضى بها المسلمون •

فإن قلت : إن ذلك من خدمكم وأصحابكم ، فلو علموا منكم الكراهية لم يتجرعوا على ما تكرهونه إلا ما شاء الله ، فأما إذا كانوا لا يتقربون بذلك إليكم فإن عاره وإثمه راجعان إليكم ، ولا تحرموا الفقراء والمساكين هذا المال ، فإن لهم فيه سهما ، ولا تقفوا في شيء يلزمكم وتزيلوا عن أنفسكم إثم العذر في التخلف في العهد والوعد والتهمة بذلك ، وأن تؤمنوا من خوفتم من المسلمين ، وتردوهم الى منازلهم ، فإن قلت قد بذلتهم لهم الأمان ، فلم يثقوا بأمانكم فلا أرى هذا يسقط به حجة عنكم ، ولا يوجب به عند المسلمين عذركم ، إذ كانوا قد عرفوا منكم الرجوع في عهدكم ووعدكم ، بعد بذل الإمام خطة لهم بالأمان ، وخافوه أن يفعلوا منهم من بعد كما فعلتم من قبل ، وأن تبدوا الإنصاف لأهل السر في تلك الأحداث الشاهرة ، وتفعلوا كما يوجد عن محمد بن محبوب رحمه الله أنه كتب به الى بعض الأئمة ، عليك اظهار الانكار في ذلك والطلب لمن فعله حتى يعلم الناس أن من فعل ذلك فإن الحق معروف ، وأنت مؤثره على ما سواه وتظهر الدعاء الى الإنصاف حتى تبسط لطالب الحق بلسانه ، وأنا أشير عليكم في الأحداث التي جرت في السر وغيرها من النواحي والبلدان ، وجميع الأحداث التي تجرى من عساكركم وأصحابكم ورعييتكم حتى يظهر عند الناس أنكم أنكرتم الباطل ولم ترضوا به ولم تواطئوا عليه ، ولم تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتزيلوا عن أنفسكم الأوهام الفاسدة ، فأما إذا كنتم تتنادون بنخوينهم وتظهرون الغضب على من تتهمون أنه أراد أن يكتب الى الإمام ، ويعلمه بما يجرى من الأحداث فكيف يتجاسر الضعيف والمظلوم

أن يرفعوا اليكم وينتصفوا ممن ظلمهم ، وإياكم والتقم على الأمور
بعير حجه ولا برهان ، وإياكم وسوء التأويل فإنه روى عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال : أخوف ما أخافه على أمتي ثلاثا : ذلة العلماء ،
وحيل الحكماء ، وسوء التأويل • فانظروا لانفسكم وسلوا المسلمين
عما يجب عليكم ويلزمكم اتباع كتاب ربكم وسنة نبيكم ، وآثار الصالحين
قبلكم ، ولا تميلوا بالناس يمينا وشمالا ، واحذروا يوما حذرکم الله
إياه فقال في محكم كتابه : (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى
كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) •

وأنا استغفر الله مما خالفت فيه الحق والصواب ، وصلى الله على
سيدنا محمد وآله وسلم تسليما •

والإمام أراه ضعيف المعرفة قليل العلم والبصيرة ، ولا أرى له أن
يولى واليا ولا ينصب قاضيا ولا ينفق من مال المسلمين الى أحد من
الناس ، ولا يفعل شيئا من هذه الأمور الا بمشورة المسلمين أهل العلم
والورع ، ممن يكون له حجة في ذلك ، وليس كل المسلمين يكون حجة في
هذا ، وإنما الحجة هو الفقيه ، وهو الذى يجتمع له حالان : العلم والورع ،
فإن فعل شيئا من هذه الأمور ببصر نفسه أو بمشورة من لا يكون
حجة له في ذلك ، فإنى أخاف ألا يجوز له ولا يسعه ولا يجوز لمن دخل
معه في ذلك ولا يسعه ، وإن كان الإمام ضعيف المعرفة قليل العلم
والبصيرة لا يعرف المشورة ، ولا يهتدى لها ولا يعقلها فأخاف ألا يثبت
له عقد ولا يجوز للمسلمين أن يجعلوه إماما ، ولو كان لهم وليا وسلوا
المسلمين عن ذلك ، ولا تأخذوا منه إلا ما وافق الحق الصواب ، وأنا
أستغفر الله من كل خطأ كان منى في هذا الكتاب وغيره ، وصلى الله
على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا •

انتهى كلام الشيخ أبى عبد الله محمد بن عيسى رحمه الله ، ويستقاد

من كتابه وقوع أحداث من الإمام وجيشه وأعوانه ، كما نص عليها الشيخ وكأنها واقعة لا محالة ، وما وقع من الجيش فهو من جملة ما يعد على إمامه إلا ما خرج منه بحجة صحيحة ، وكان الإمام كما يقول الشيخ السرى أنه قليل العلم ضعيف المعرفة ، ولعلمهم لم يروا غيره أصلح منه إذ ذاك ولكل زمان رجال ، ولكل إمام أعمال ، ولعله له عذرا وأنت تلومه ، فهذا الكلام ظاهره مسوق الى الإمام من هذا الشيخ احتجاجا عليه ، ولم نعرف عذر الإمام فيه ولا عذر أصحابه الموجه اليهم فيه الخطاب ، ولا بد لهم من جواب ، ولا بد إما أن يكون حقا أو صوابا لهم فيه العذر أولا ، ولعل توبة الإمام الآتى ذكرها كانت لأجل هذه الأحداث التى ذكرها هذا الشيخ الزاهد الرضى رحمه الله وجزاه عن الاسلام خيرا ، وهو الواضح فانهم حرروها على رأى الشيخ أبى على الحسن بن أحمد ابن نصر الهجارى ، قرر فيها ما يجب على الإمام أن يتوب منه وأن ينشر توبته منه للاطلاع عليها من أهل العلم الذين فى نفوسهم اشمئزاز من وقوع ما وقع ، وأرادوا بذلك إظهار الإمام بالدينونة فيما يلزمه أن يدين لله فيه عند المسلمين ، فإنه ابتلى بأمر المسلمين ، ولما ابتلى بقى فى حيرة من الأمر الذى دخل فيه بعير علم ، والإمامة أمرها عظيم وخطبها جسيم ، وللمسلمين أن يقعدوا الفضول اذا تحققت المصلحة فى تقديمه ، كنتقديمهم للإمام عزان بن قيس رحمه الله ، مع أن المتقدمين له كلهم أعلم منه ، إلا أن أحوالا أخرى أهلته للتقديم ، وأجلته للمقام الكريم ، وكذلك تقديمهم للإمام سالم بن راشد بن سليمان الخروصى فى عصرنا ، فإن فى الجماعة من هو أعلم منه ، ولكن لكل مقال ، ولكل زمان رجال ، وكل يصلح لشيء لا يصح له غيره ، والمسلمون مكلفون بالقيام بأمر الدين ابتلاء من الله الذى يعلم الفساد من المصلح والله ولى التوفيق •

بسم الله الرحمن الرحيم : توبة الإمام راشد بن على ، عمل القاضى أبى على الحسن بن أحمد بن نصر الهجارى ، أى رتبها له على هذا الوضع لينشرها بين المسلمين ، معترفا بما جاء فيها من اعتراف ، وإذعان

وخضوع وانقياد للمسلمين بحسب ما جاء فيها من الأقوال ، والرجوع المطلوب من الإمام على أثر تلك القضايا التي وقعت ، وعدت على الإمام ، والحقيقة ليست التوبة عملا صناعيا ولا قولاً مسطوراً ، بل هي رجوع قلبي وخضوع إذني ، واعتراف نفسي يتجلى على لسان التائب نطقاً ، وعلى هيئته صفة وعلى جميع جوارحه خضوعاً وانقياداً لله وللمسلمين ، الى ما يعدونه عليه مخالفاً للحق ، ومبائناً لمذهب المسلمين ، وهذه التوبة التي يصنعها هذا الشيخ أبو علي الحسن بن أحمد لإمامه راشد بن علي ليقبل المسلمون منه ، وأن يرفضوا الحرج عليه ويكون عندهم بالمنزلة المرضية المقبولة في دين المسلمين ، لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والمعترف بما عليه تنصلاً لا يطالب بضده في الحكم ولكل حالة حكمها ولكل قضية مقامها •

وهذا نص التوبة المشار إليها يقول فيها بعد البسمة والحمد له :

أنا أستغفر الله وتائب اليه من جميع ذنوبي كلها قليلها وكثيرها ، صغيرها وكبيرها ، ظاهرها وباطنها ، ما علمت منها وما لم أعلم ، كان ذلك مني على العلم أو الجهل أو الخطأ أو النسيان ، أو التدين أو الاستحلال ، أو التحريم ، كنت متأولاً فيه أو دائئاً به بلساني ، أو اعتقدته بقلبي ، وتائب الى الله تعالى من السيرة التي سرتها بغير العدل مخالفة للحق ، ومن كل خطأ مني في إلزام أهل النواحي الخروج منها ، ومن ترك النكير على نجاد بن موسى بعد علمي بسيرته ، ونجاد هذا هو الذي قتله هذا الإمام ، وكأنه وقع منه أمر أنكره المسلمون ، استوجب به القتل فقتل كما سبق ذكره ، وكأنه أي القاضي المذكور سار سيرة غير مرضية ، ولكن لم يبين الإمام حقيقتها ، وكان يتولاه فندم على ولايته ، وتاب منها ، وكان ولاه الأمور وهو يرى أحداثه ، وهذا الشيخ الذي عمل هذه التوبة للإمام معه على أحداث نجاد بن موسى ، وهذه الأمور هي التي أنكرها الشيخ محمد بن عيسى السري في كتابه

المتقدم ، قال الإمام في توبته : ومن ترك النكير على نجاد بن موسى بعد علمى بالسيرة التى سارها مخالفة للحق والعدل ، ومن ولايتى له على ذلك وتوليتى إياه بعد علمى بأحداثه وفعله ، ومن الجبايات التى أمرت بها وجببت بغير حق ، وأنفقت فى غير أهلها ومستحقها ومن العقوبات التى عاقبت بها بغير الحق ، وتعديت فيها غير الواجب ، أو أمرت بذلك من فعله ومن إخلافى لكل وعد ولم أوف به ، ورجعت عنه ، ومن كل عهد عاهدته ثم نقضته ، ومن تقصيرى عن القيام بما يلزمنى من الحق والعدل ، ودائن لله تعالى بما لزمنى فى الأحداث التى أحدثت فى القرى على أهل القبلة من الخراب والحرق ، وأخذ الأموال وعقر الدواب والأحداث فى تخريبها وما جرى من العساكر التى أخرجتها ومن كل حرب حاربتها ، وسفكت الدماء فيها بأمرى وملزم نفسى بذلك ، وما لزمنى من حق وضمان ودية وأرش وغير ذلك ، فأنا دائن لله بالخروج منه ، وقابل قول المسلمين ، وراجع الى قولهم ، وقابل نصيحتهم ، نادم على ما سلف منى فى نفى أحد من المسلمين ، أو عقوبته بغيره يلزمه ، ومعتقد أنى لا أرجع الى ذنب ، وإن علمت بذنب بعد هذه التوبة فهو داخل فى هذه التوبة ، وهذه التوبة لازمة لى الى الممات ومن كل تولية وال وليته ، ولم يكن أن أوليه ، شهد الله وكفى به شهيدا ومن حضر من المسلمين •

وكانت هذه التوبة من الإمام راشد بن على بحضرة القاضى أبى عبد الله محمد بن عيسى السرى رحمه الله ، والقاضى أبى على الحسن بن أحمد بن نصر الهجارى ، والشيخ أبى بكر بن عمر بن أبى جابر ، وأخيه أبى جابر محمد بن عمرو بن أبى جابر ، وعلى بن داود ، وعبد الله ابن اسحاق المنقالى وغيرهم من المسلمين ، وكانت هذه الشهادة يوم الاثنين لإحدى عشر ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة ٧٢٢ هـ اثنتين وسبعين وأربعمائة •

هذا تمام هذه التوبة المحررة باسم الإمام راشد بن على المنشورة

بين أهل العلم من أهل زمانه ، وهى ثمرة ذلك الكتاب الذى حرره ذلك الشيخ السرى رحمه الله وهى جامعة لكل ما يتعلق بأمر الدنيا والدين ، وعسى أن يكون مقتضاها من الإمام المدعو لها من صميم القلب وخالص الإيمان ، والله يتولى من عباد الصالحين ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له .

ولم نجد للإمام اعترافا بذنب خاص وتوبته تتناول كل ما يلزم ، والله الموفق للخير وحده ، وقد عرفت ما ندد به الشيخ السرى محمد بن عيسى على الإمام ، الله فى خلقه صنائن والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

ولما بلغت هذه التوبة الى الشيخ المذكور ، وعرف مقتضاها ، أجب الإمام بقوله فيها إذ سأله الإمام عن ذلك قال :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من القاضى أبى عبد الله محمد بن عيسى رحمه الله ، الى الإمام راشد بن على ، فيما سأله عنه من هذه التوبة ، وما رد عليه فيها ، سألت عن التوبة التى دعاك الجماعة اليها والى الكتاب الذى كتبوه لك فيها ، فاعلم أنى نظرت فى ذلك على قدر ضعفى وقلة بصيرتى ، فرأيت الكتاب يشتمل على معان كثيرة يطول شرحها ، غير أنى أذكر لك من ذلك ما يسر الله ، والله أسأله التوفيق لذلك ، أما توبتك من السيرة التى سرتها بغير العدل مخالفة للحق ، فإن كان ذلك قد جرى منك على الاستحلال والتصويب لنفسك ، فلا أرى هذه التوبة تكفيك ولا تصح لك ، ولا يقبلها المسلمون منك حتى تفسر ذلك تفسيرا غير هذا ، وتتوب منه بعينه على التفسير ، وإن كان منك على التحريم والتعمد لمخالفة الحق عند فعلك فما كان فيها من تلف نفس أو مال ، فعليك الضمان والخالص من حقوق العباد فى الأموال مع التوبة ، إن كان ذلك منك جهلا بحرمة ، وظنا منك أنه واسع لك من غير تعمد للحرام ،

ولا قصدا منك لمخالفة الحق والاستحلال لذلك بديانة وتأويل ، فقد يوجد مثل هذا يخرج مخرج التحريم ، وقد تقدم القول في المحرم ، وما يلزمه في الأموال والأنفس والخلاص من ذلك ، وأما توبتك من الجبايات التي أمرت بها وجببت بغير الحق ، وأنفقت على غير أهلها ومستحقيها ، فالأمر فيه على نحو ما تقدم من الكلام في المحرم والمستحل ، فإن كان ذلك على وجه الاستحلال لما حرم الله فلا أراك تتكفى بهذه التوبة ، ولا يصح ذلك حتى تفسر تفسيراً غير هذا ، وتتوب منه بعينه على للتفسير ، وإن كان منك على وجه التحريم ، فقد تقدم الكلام في المحرم ، وعليك الخلاص من جميع ما أتلفته من الأموال والأنفس ، وإن كان ذلك على وجه العمى والظن أنه واسع لك ، فقد تقدم القول في ذلك أنه يخرج مخرج التحريم ، وأما توبتك من العقوبات التي عاقبت بها بغير الحق ، فإنها تجرى مجرى ما تقدم من القول به والجواب واحد ، وأما توبتك من كل حرب حاربتها ، وسفكت الدماء فيها بأمرك فإن كنت حاربت حرباً بعد حرب منها ما هو بالحق وما هو بالباطل ، فتبت من جميع ذلك فلا يجوز لك أن تتوب من الحق ، وعليك التوبة من توبتك من الحق ، وعليك التوبة أيضاً من الحرب التي حاربتها بالباطل ، وإن كان على الاستحلال فقد تقدم الكلام في المستحل ، وإن كان على التحريم فقد تقدم الكلام أيضاً في المحرم وما يلزم في ذلك من الضمان في الأموال والأنفس ، وإن كنت مخطئاً في جميع محاربتك من أول الأمر إلى آخره فقد أصبت في التوبة منها ، وأما الضمان فهو على ما تقدم فيه الكلام من المستحل والمحرم وأما توبتك من ولايتك لصاحبك ، فإن كنت علمت منه حالاً تحرم به ولايته عليك أو توليته على أول وجه لا يجوز لك أن تتولاه عليه ، فقد أصبت من توبتك في ولايته ، وإن كنت توليته من أول وجه يجوز لك ولايته عليه ولم تعلم عنه حدثاً مكفراً ، فقد

أخطأت في توبتك من ولايته بغير حجة ، و عليك أن تتوب من توبتك من ولايته ، وإن كان قد صح عندك عليه حدث مكفر بشهرة لا دافع لها أو شهادة عدلين مع تفسير الحدث ، أو شهادة عالين بالحدث بتفسير أو بغير تفسير ، أو شاهدت أنت منه حدثا مكفرا ، أو أقر عندك بذلك وتوليته من بعد ، فقد أصبت في توبتك من ولايته على هذا الوجه ، ولكن استتبه من ذلك فإن تاب وكان مستحلا ، فقد قيل إنه يرجع الى حالته الأولى من الولاية ولا نعلم في ذلك اختلافا ، وإن كان محرما ففي أكثر القول أن يرجع الى ولايته الأولى ، وقيل فيه قول آخر ولا أرى لك أن تهمل أمره ، ولا أن تترك استتباته ، ولا الإنكار عليه إذا قدرت على ذلك ، فإن لم تفعل ولم تستتبه فأخاف أن تكون أتيت خلاف ما عليه أهل الحق والعدل من المسلمين ، وأما توبتك من تولتك إياه بعد علمك في أحداثه وفعله ، فإن كنت علمت منه حدثا مكفرا ووليته على ذلك الرعية فجار عليهم في أنفسهم وأموالهم ، وأنت محرمة لذلك فأخاف عليك ضمان ذلك في أحداثه ، إن أتلقت شيئا من أموال الناس وأنفسهم ، وإن كنت مستحلا لذلك فقد تقدم من الكلام في المستحل والمحرمة والجاهل ما فيه كفاية إن شاء الله تعالى ، وأما قولك وملزم نفسك ملزم للعباد من حق وضمان ودية وأرش ، وأنت دائن بالخلاص منه فهذا هو الصواب ، إذا صدقته بفعل وقيل لخلاص نفسك لحقوق الله وحقوق العباد ، وأما القول وحده بلا فعل ولا قيام ولا اجتهاد في خلاص النفس ، فما النفع في ذلك فقد قيل لا ينفذ الحق إلا بإنفاذه ، وقد قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولون ما لا تفعلون) وإن كنت محقا في هذه الفصول كلها والمعاني التي دعاك الجماعة الى التوبة منها ، ولم يكن منك خطأ في الظاهر ، ولا في الباطن فتبت من الحق ليرضوا عنك ، فلم يكن لهم أن يدعوك الى التوبة من

الحق ، ولا كل أن تجيبهم الى أن تتوب من الحق ، فاذا فعلتم ذلك جميعا كان ذلك عليك وعليهم التوبة ، ولو أن الجماعة عند استتابتهم لك سلخوا بك مسلكا غير هذا الذى حملوك وحملوا أنفسهم عليه ، ربما كان أسلم لك ولهم وأخف وأسهل عليك وعليهم ، ولا مخافتى لا يسعنى المسكوت ولا التغافل عن جوابك ، فيما سألتنى عنه لم أذكر لك شيئا من هذا ، ولكنك سألتنى عما يلزمك فى تلك التوبة ، فاستصعبت الإمساك عن رد جوابك ، فقد ذكرت لك ما قد ذكرته على قدر ضعفى وقتلة بصيرتى ، فإن كان حقا فهو من الله فخذ به ، وإن كان فيه مخالفة للحق فلا تأخذ به ، وأنا أستغفر الله من كل من خالفت فيه الحق والصواب ، وصلى الله على رسوله محمد النبى وآله وسلم تسليما •

انتهى كلام القاضى أبى عبد الله محمد بن عيسى السرى رحمه الله تعالى ولم نجد جوابا لكلامه ، وما ندرى ماذا كان بعد هذه النصائح البليغة الصادرة عن الصدق الإخلاص ، غير أنى وجدت أنه قتل رحمه الله فى نزوى فى موضع على طريق مساجد العباد ، غربى المقبرة الكبيرة تمر على حضيرة غلافقة ، ولم يسموا قاتله ولم يؤرخ وقت ذلك ، وهذا دأب الأمة هذا داع للحق صادع به وهذا مضاد له معاد لأهله ، لا يبالي بما يلاقى • وإن قتل العلماء عند الله عز وجل عظيم ، يهدم كيان الدين ولكن الحظوظ الإلهية لا تقوت أهلها مهما كانوا وأفضل موته بموتها العبد الصالح القتل فى طاعة الله عز وجل ، فإن للشهيد منزلة يغبطه عليها حتى النبيون عليهم الصلاة والسلام ، نسأل الله الفوز بأعلى المنازل عند الله والتوفيق لما يحبه الله ويرضاه •

إمامة الإمام عامر بن راشد بن الوليد الخروصي رحمه الله

كان هذا الإمام عامر بن راشد من أفاضل الأئمة ومن أختيار الأمة لكن لضياع التاريخ العماني الذي طال ما تكلمنا عنه في هذا التاريخ ، وطال ما ضاعت منه حقائق يأسف عليها العاقل ، ويرثى اللبيب لها ، ضاعت عنا مهام هذا التاريخ ، فإن التاريخ كما قلنا عنه حافظ أعمال الأمة صالحها ، وطالحها ، وديوان جامع لما مضت به الأجيال ، وما وقعت فيها من أعمال •

قال الإمام : عقدت له الإمامة سنة ٧٤٦ ست وسبعين وأربعمائة • قلت : هذا الوقت هو وقت إمامة راشد بن علي المتقدم ، وقد توفي سنة ٥١٣ ، اللهم إلا أن يكون الغلط في تاريخ بيعة الإمام راشد بن علي أو بيعة الإمام حفص بن راشد ، فإن والده راشد بن سعيد رحمه الله توفي سنة ٤٤٥ ، وبويج ولده حفص بن راشد بعده ، وعند بعض أهل التاريخ أن حفص بن راشد لم يطل عهد إمامته ، بل هو عند بعضهم عاش في الإمامة فقط سنة واحدة ، لكنه لم يظهر له تحقيق •

قال الإمام نقلا عن المؤرخ لهذا الإمام : كان رجلا عالما زاهدا ذا ذكاء وفطنة محسنا في الرعية ، قال : وكان إماما شاريا ، قال : وهو آخر الأئمة الشراة من بني خروص ، قال : فاستقام على الحق حتى توفاه الله رحمة الله عليه •

قال الامام رحمه الله : وأنت تدري أن هذا الوقت الذي ذكر فيه بيعته هو وقت إمامة راشد بن علي بعينه ، فإن صح ما ذكر فكأنه إنما بويج في وقت إمامة راشد ، فإن الناس قد اختلفوا على راشد على حسب

ما تقدم ، وفي هذا التاريخ اضطراب ، ولعل هذا الإمام من أئمة الطائفة الرستاقية ، فان كان كذلك فربما صح التاريخ والله أعلم •

ولما كان النباهنة ظهوروا على ملك عمان في أول القرن السادس للهجرة ، وكان الإمام الخليل بن عبد الله قام والنبهانية قائمة السيطرة وقتلتها وقتلته ، وتولى بعض ملك عمان كنزوى ونخل والرستاق والباطنة ، وما بقى من ملك عمان ، بقى في أيدي النباهنة ، دل ذلك على أن هؤلاء الأئمة الثلاثة قاموا في أول قيام دولة النباهنة ، وإن قيل إن الإمام محمد بن غسان كان أكثر حربه الحسا ، وأرض نجد ، فلعل النباهنة كانوا يستجيئون أهل الحسا ، وأهل نجد ، وكانوا يتحيزون إليها عندما يجدون صراعا عنيفا وغلبة من الإمامة ، لا سيما أن ذلك في بادئ الأمر ، فالذى ينبغي أن يعول عليه أن عامر بن راشد بن الوليد ، ومحمد ابن غسان بن عبد الله ، والخليل بن عبد الله ثلاثتهم ناموا في صدر الدولة النبهانية في أول القرن السادس ، فان النباهنة برزت سيطرتهم في عمان بعد مضي النصف الأول من نفس القرن المذكور •

وسياتى إن شاء الله تحقيق ذلك قريبا عند الكلام على تلك الدولة التى عبرنا عنها في العنوان بالدولة الرابعة من دول عمان ، وذكرنا ما قيل في أول نشأتها على سبيل الإجمال ، وكان الإمام عامر بن راشد آخر من بويح بالشرى في عمان •

إمامة الإمام محمد بن غسان بن عبد الله الخروصي

من أفاضل المسلمين هذا الإمام الرضى محمد بن غسان بن عبد الله ، ولعله من ذرية الإمام غسان بن عبد الله ، الذى قام عقب الإمام الوارث ابن كعب رحمهم الله تعالى ، وانها ذرية طيبة ، وكان هذا الإمام أيضا من الأئمة المجهولة تواريخهم ، ووقت إمامتهم ، فان كانوا من أئمة الطائفة الرستاقية فالله أعلم بأحوالهم ، فانهم لم يذكروا من بايعه من المشايخ ، ولا وقت بيعته ولا مكان إقامته ، ولا يمكن مثل هذا أن يخفى إلا أن الدهر الذى مر على العمانيين فى ذلك العهد كله اضطراب .

وسبب ذلك الاضطراب موسى بن موسى ومن معه ومن شايعهم ومن الغلاة فيهم ، ومن الدعاة ضدهم ، وكان ذلك داعية تفرق للكلمة بين المسلمين ، ووضع شقاق فى الدين ، وأهل العلم اذا لم يقصدوا بالأمر لله وحده سرعان ما يكون فيه اضطراب ، وخبط الأمور على غير هدى من الله .

قال الإمام رحمه الله : كان إمام دفاع فأرادوه أن يكون شاريا ، فخاف ألا يطبق الشرى خوفا من خلفاء بنى العباس أو قال خوفا من خلفاء بغداد ، لأنهم طامسا جهزوا الجيوش على عمان ، وطامسا هاجمها جنودهم فبيستمر الصراع عهدا ، فتارة يغلبون على العمانيين فيقبضون على دولتهم ، وتارة يستغلبون فينهزمون الى بغدادهم ، كما عرفت ذلك مما مر عليك فى تاريخنا هذا ، والحرب لاتزال سجالات طيلة الدهر الخئون ، وأهل عمان ، إمامتهم رحمه للأمة ، لكن رحمة الله لا تدوم إلا ريثما تمر على الأمة لإقامة الحجة عليهم ، وهذا الإمام محمد بن غسان من خيرة الرجال فى عمان ، لكن كأنه لم يمتد له عهد فى الإمامة ، أو لم تكن له حروب يسجلها التاريخ فى الأمة .

قال الإمام رحمه الله : وكان رجلا عالماً بليغا زاهدا ذا حلم ورأفة للرعية ، غيورا على الممالك ، قال : وكان أكثر حربه الحسا وأرض نجد •

قلت : لعل نهدا وعقيدا عادوا على ما كانوا عليه أيام الإمامين السابقين للذين عاصرهما الإمام الحضرمي ، أو أن بغاة نجد وأجلافهم كما عهد منهم النهب والعيث في الأرض فسادا ، والحسا هي دار بغى في السابق ، فكان فيها القرامطة من شر البرية ، وفيها الخوارج الذين لا يباليون بالواجبات في الدين •

قال : وكان في إمامته عادلا لم يعب عليه شيء ولا عابه أحد في زمانه ، ولا طعن عليه في شيء من أحكامه حتى توفي رحمة الله عليه •
قال : وكانت إمامته تسع سنين إلا خمسة أشهر •

قلت : إن تسع سنين لها شأن وقدر ، ولها تأثير في الإمامة ، وإن كانت أيام السرور قصارا ، فإن إمامة تستمر هذا العهد لابد أن يكون لها ذكر جلي في العالم العماني على الأقل •

قال الإمام : ومن خصاله أي من خصال الإمام محمد بن غسان الحميدة وأفعاله الغريبة ، أن كل أحد أراد به سوء وعزم على حربه مخاصمته ، ووصل هذا الإمام في ساحته ، يسلم المخاصم له الأمر من غير قتال • وكان ذلك كرامة له رحمه الله ، ولعله لإخلاصه لله في حله وترحاله ، ومن كان مع الله كان الله معه ، وسهل الله له كل صعب ، ويسر له كل عسير ، وليتنا وجدنا تحقيق تاريخ هذا الإمام الميمون وأعماله ورجال دولته ، حتى تقيد الأمة عنه ، فله در التاريخ والله در رجاله الأجلة الحافظين لمآثر الأئمة المخلصين ، والملوك العادلين ، والمتغرسين الذين لا يعتبرون الأمة إلا قطعان غنم أو عبيدا مماليك ، يتصرفون فيهم كما يشاءون •

ومن مزايا التاريخ إن تركنا نأسف على ضياع كثير من المآثر
الاسلامية السامية ، ونعض عليها أصابع الندم ، ونبذل في إدراكها
ما عز علينا ، فان وجدناها طابت أنفسنا وانشرحت لها صدورنا ، وإلا
تولى الأسف علينا ، والأمر لله من قبل ومن بعد ، لقد أجمع العلماء على
فضل التاريخ وأشار إليه من قال :

تلك آثارنا تعدل علينا

فانظروا بعدنا الى الآثار

فالتاريخ جماع الآثار كلها ، وسجل الحوادث في الأمة ، واليه ينظر
الناظر في الآثار ، وبه يكون الاعتبار بعد انتهاء أدوار أمته وانقراض
دولهم ، والله حض الى الاعتبار بماضى الدهر وحوادثه ذوى الأبصار ،
وأساطين الأفكار من للرجال في عموم الأدوار •

إمامة الإمام الخليل بن عبد الله بن عمر الخليلي

وهذا نسبه

الخليل بن عبد الله بن عمر بن محمد بن الخليل بن شاذان بن الصلت ابن مالك بن أبي العرب ، لا يخفى على المطلع أن أشرف بيت في آل اليعلمد بن حمى بيت آل الخليل بن شاذان بن الصلت ، إذ توالى المفضل فيه الى وقتنا هذا ، وكان هذا الإمام الخليل من ذرية الإمام الخليل ابن شاذان بن الصلت ، كما صح نسبه ، كان ثالث الأئمة المجهولة تواريخهم وبيعتهم وأمكنتهم وحروبهم ، وأكثر أعمالهم ، وذلك لإهمال التاريخ ، وكان هذا الإمام من أئمة الطائفة النزوانية ، وقد بويح في أول وقت بدأت فيه روح الدولة النبهانية في عمان ، تجسس جسمها وترمز اسمها ، وتعلن عهدها الذى تتوقع ظهورها فيه في هذا القرن الذى أراح الله فيه عمان من حروب بغداد •

وكانت بيعته في نزوى ، ولم نعرف من بايعه ولا من شايعه ، وإنما وجدنا أنه قاتل النباهنة في نزوى ، واستولى عليها وقهر الرستاق ، ونخل وجميع أقطار الباطنة ، وكأنه قامت له قوة خافها بنو نبهان أن تقضى عليهم ، فاستجاشوا الجبور وبنى هلال ، قال : ولم يزل يقاتلهم في كل أرض ، فكان القتال استمر بينه وإياهم ، والظاهر أن شرق عمان ووادى سمائل كان مع النباهنة ، والرستاق والباطنة مع الإمام ، وكأن الأيام مازالت بينهم في تداول لقوله ، ولم يزل يقاتلهم في كل أرض •

قال ولم يعب عليه في إمامته أحد حتى توفي رحمه الله عليه مستقيماً على طريق الحق ولا يخفى أن جيوش بغداد لم تكن لها في هذا العهد عمل في عمان ، ذلك لأن الدولة العباسية قد أنهارت صروحها منذ أول القرن الخامس ، ولكن بقى لها اسم فقط ، ثم انتهى أمرها اسماً ومعنى ،

وقوتت بنتمام القرن السادس وبالنصف الأول من القرن السابع ، انمحت آثارها تماما فلذلك لا ترى لها أثرا في عمان ، ولكل شيء غاية ينتهي اليها ، وكل شيء مرتين بوقته والأمر لله فلذلك لا ترى لها هنا بعد ذلك ذكرا بعد ما كانت تعاني عمان منها النصب ، وترى منها البلاء المالحق والوبال الساحق ، بطرا وعدوانا بغير حق ، كما عرفته مما تقدم ، والأمر لله •

ولكن قام هنا دور بني نبهان وهم إذ ذاك ملوك عمان والملك لله يؤتية من يشاء وسبيل بني نبهان كغيرهم من الملوك ، وبدأ أمر القوم في عهد هذا الإمام الخليل ، ولكن لم يتم لهم أمر الملك حتى منتصف القرن السادس ، واستمروا إذ ذاك حتى قامت دولة اليعاربة في أول القرن الحادى عشر ، وهم فرع من النباهنة المشار اليهم ، كما سوف نتقف على ذلك أيها القارىء فإنه ستأتى بعد هذا الإهام أربعة أئمة ، ثم انتقلت الدولة الى بني نبهان كليا ، ذلك لأن أهل عمان هنا تحزبوا فصاروا حزبين : رستاقية ونزوانية ، وظلت كل فرقة تنصب أئمتها لقتال الأخرى ، وجعلوا بأسهم بينهم ، فسلط الله عليهم النباهنة عقوبة لهم على ذلك والله فى خلقه أسرار •

إمامة محمد بن أبي غسان

وهو من أئمة الطائفة الرستاقية كما أشرنا الى هذا والأشبه أن يكون خروصيا ، وأن يكون ابن الإمام راشد بن سعيد الذي كناه الإمام أبو اسحاق الحضرمي بأبي غسان في شعره كما عرفت ذلك ، وكانت إمامته وقت إمامة راشد بن علي الذي سبق ذكره ، وقد عرف التنافس إذ ذاك بين الطائفتين وهو الذي سبب ضعف أمور المسلمين وقيام الجبايرة عليهم ، واغتصابهم للأمر رغم أهل الحق منهم فان الباطل يجد أنصارا والحق قد لا يجدهم إلا في أوقات خاصة تمر على الناس مرور الشمس على العالم ، ثم يعود الظلام أدراجه •

وكان إذ ذاك بالباطنة أخيار أيدوا محمد بن أبي غسان تأييدا شامرا على أصداده ، وكان هذا الإمام كاتبهم وراسلهم واستعان بهم وفي جوابهم له ما يدل على ما نقول ، وقد روى الإمام السالمى كتابه لهم وجوابهم له في تحفة الأعيان ، وأنه كان كتابا حافلا نثرا ونظما ، اكتفى الإمام المذكور بذكر النظم عن النثر ، ولما فيه من العذوبة ولطف الذوق الحسى ، وما له من فصاحة رائعة نعرض نحن عن الكل إذ كان ذلك قد عرف ودرس ، وأخذه أهل الأدب ، وقد مدحه أهل الباطنة مدحا رائقا وأثنوا عليه ثناء فائقا ، واليك جملة واحدة من ذلك تستدل بها على ما هناك •

يقولون فيه : الذى خلص عند النقد والتمييز خلوص الذهب الإبريز ، ثم استرسلوا فيه الى حد بعيد حتى ألحقوه بخيرة الأئمة ، وعبروا عن خالص رضاهم عنه وكان وزيره وسيف دولته الهمام أبو المعالى نجاد بن موسى بن نجاد • وكان من أركان دولته الشيخ أحمد بن عبد الله ابن موسى المعروف •

الإمام محمد بن أبي غسان يشن حربا على أهل عقر نزوى

لقد نفر عنه أهل نزوى وخصوصا أهل العقر ، إذ هم في ذلك العهد حجة أهل نزوى ، وخالفوه لأنهم يقدحون في إمامته بسبب الافتراق الذي أشرنا إليه ، فلم تزل الحرب قائمة بينه وإياهم ، حتى أمر بقطع نخيلهم وكسر أنهارهم ، ودمر كل ما قدر عليه من أملاكهم ، وقامت معركة الجيش تعيث في الأرض ، وذلك هو شأن الجيوش في كل أمة غالبا إلا ما شاء الله .

وكان أهل العقر ينتقدون أعمال هذا الإمام قبل الحرب ، ولعلها هي التي أهاجته على حربهم ، وحملته على خضد شوكتهم ، فكانت الحرب أضر على القوم مما كانوا ينتقدون ، ولكن أمر الله عز وجل سابق في أزله ، وهناك حوار ونقاش في إمامة المذكور بين من يرى صحة إمامته ، وبين من يعاكس الوضع ، وهذا كله من مكائد الشيطان بين أهل الإيمان في بلد واحد ، وعلى مذهب واحد ، والأمر لله من قبل ومن بعد .

وقد تركنا ما قيل في مدح هذا الإمام والثناء عليه ، إذ حفظ ذلك كله أثر المسلمين ، وكان محمد بن غسان المذكور انتصر على أهل نزوى ، ولم أجد تحقيقا لوقت بيعته بالذات أو وقت وفاته ، وهل قتل أم مات حتف أنفه ، ولكنه على الإجمال هو من أئمة القرن السادس .

الملك محمد بن مالك

من المفهوم من استقراء التاريخ أن محمد بن مالك ، قام على ملك عمان بعد محمد بن أبي غسان ، وتولى ملك عمان ، ومن المحتمل أن هذا الملك كان من الأزد إلا أنه لا يعرف من أى بطون الأزد لعدم التواريخ التى يمكن الاعتماد عليها ، إلا أن الأحوال ظاهرة على أنه أزدى ، لأن أعوانه غالبا من الأزد ، وكان ملكا عادلا حسن الأخلاق ، عاقلا ذا أناة وتؤدة وعقل واعى وبصيرة تتصل بالأعلاق النائية ، وتمتد الى الأعماق البعيدة ، وكان الملك المذكور قائما بواجبات الشريعة ولا يلزم فى الإمامة نفس العقد ، اذا قام الأمير بحقوق الله وأجرى الشرع فى مجاريه ، وحمل الناس على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأذى ما لزم من حق الله عز وجل ، وحمل البلاد وحفظ بيضة المسلمين ، ولم يتعد حقوق المسلمين ، ولا ترك أوامر الدين ، فان المطلوب من الإمام هو هذا لا غير .

وهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يعقد عليه الإمامة ولا قام بالبيعة له أحدا أبدا ، إنما عهد اليه بالخلافة أبو بكر رضى الله عنه ، ورضى به المسلمون خليفة ، ومحمد بن مالك لما قام بالعدل ، كان من الواجب تأييده فان المعتمد على الأعمال لا على الألقاب ، فان لقب الإمام أو الخليفة أو السلطان ونحو ذلك لا معول عليه فى جانب الحق ، إنما المعول على الأعمال الصالحة ، ولكن اذا أراد الله امرأ أنفذه وإن رغم أنف الدهر ، وحب الذات والاستبداد هما اللذان يوقعان الفرقة والشقاق ، ويفرقان الجماعات ، وإلا فكيف يرفض رجل قام بحق ، ودعا الى حق ، ليس هذا من الدين فى شىء ، وهل الإمام إلا ملك وإلا سلطان ، وهل السلطان إلا إمام من حيث المعنى .

وعلى أثر قيام هذا الملك واستيلائه على الملك قام المنافسون له
فبايعوا موسى بن أبي المعالي بن نجاد بن موسى ، ولم يعرف نسبه من
أى القبائل إلا أن الأئمة أنه حفيد القاضي نجاد بن موسى الذي كان
قاضيا للإمام محمد بن أبي غسان ، وها نحن نفرده له بابا خاصا للكلام
على أحوال إمامته •

إمامة موسى بن أبي المعالي بن نجاد بن موسى

بويح بالإمامة سنة ٥٤٩ هـ وهذا الوقت اشترك فيه ثلاثة أئمة مع الملك محمد بن مالك ، وكل ذلك لاختلاف الأمور وتسلط الأهواء ، وحب الرئاسة لا غير .

ولن تقوم قناة قوم والحال هكذا ، ولكن كل الأمور بيد الله عز وجل يصرفها كيف يشاء ، وإلا فما الداعى الى هذه الأحوال التى تقع بين أهل مذهب واحد فى قطر واحد ، وما الداعى الى الافتراق فتصير الأمة الى فرق شتى وفى هذه الأثناء افترقوا الى رستاقية ونزوانية ، فكثرت الأئمة وضعفت الأمة ، وحل الخذلان والشغبات فى إخوان مجتمعين والله المستعان .

الصراع بين الملك محمد بن مالك والإمام موسى بن أبي المعالي

لما تولى الملك الملك محمد بن مالك ، قام أكثرية أهل عمان ضدة ، فبايعوا موسى بن أبي المعالي ، ولما علم الملك بالواقع أهمه جدا وأقلقه : وكانت الأكثرية معهم والسواد الأعظم عليه •

ويقول الإمام رحمه الله : خرج عليه أهل عمان وكان يومئذ إمامهم موسى بن أبي المعالي بن موسى بن نجاد « في عسكر لا يحصى ولا يعد » ، قال : وخرج الملك في جملة اليحمد ، إلا أن الأقل منهم أى أن غالب اليحمد هم الذين كانوا أنصار الملك محمد بن مالك ، وكان الملك كما يظهر من حاله عادلا قائما بواجبات الملك ، مراعيًا لأحوال الأمة بالعدل ، مصلحا للأحوال التي يستدعيها الوقت الذي هم فيه ، وكانت له نصائح الى هؤلاء القائمين عليه خوفا من شق العيا ، وابتعادا من إثارة الفرقة بينهم •

ولكن لم يكن ذلك مجديا ، بل أصر أنصار الإمام على القيام عليه ، أو يتخلى عن الملك ، ولم يرض هو أيضا أن يتخلى عما تولى ، وبذلك انشقت العصا بينهم ، فظل هو يجمع الجموع ، وهم كذلك لكن كان السواد الأعظم مع الإمام ، وأهاج الشيطان الفتنة ، واحتج الملك على القائمين عليه ، بحجج لم يقبلوها ولم يسلموا لها ، وكانهم لم يلتفتوا الى أقواله •

وذكر في كتابه الأخير لهم تحقيق الصدد الذي هم فيه غائبا عليهم بقوله : « إنى قد كتبت قبل كتابى هذا كتابا أطلب فيه إيضاح الحق ، وإظهار برهان الصدق ، ولم يرجعوا الى جوابا يقطع ولا أتوا بإيضاح ينفع » الى آخر ما جاء في كتابه من العتاب ، وما ورد فيه من الخطاب ، وقد اعتذر إليهم بأعذار غير خارجة عن الحق ، ولم يذكروا جوابا لها

ولا اعتذاراً في قيامهم ، ولا عدواً عليه ما يوجب القيام عليه ، ولعله كونه
تولى الأمر على غير صحة من رضى المسلمين به .

والظاهر هو هذا ، وكان كتاب الملك عبارة عن تاريخ حافل بالنقاش
مشحون بالاحتجاج ، مملوء بالأدلة من القرآن ومن السنة ، أورده الإمام
كله للاعتبار ، باعتبار من النصائح والاستعطافات ، وجميل المخالفة
والتنصل ، ولكن لا بد من أمر أراد الله ، يقول في آخر كتابه ، وكأني
أقرع حجراً أصم أو أكلم أخرس أو أصم ، فانا لله وإنا إليه راجعون ،
ومنه : وإن طعن على طاعن فيما أنا فيه ، فأنا مقر بالتقصير ، ومعترف
بالخطأ ، ودائن لله تعالى بالواجبات ، والتخلص من التبعات ، وإن
وجدت قوماً لله كنت منهم ولهم ، والله أمر هو بالغة ، وحكم هو
نافذه الخ .

إن هذا الرجل هو الإمام الصحيح الإمامة ، الرجيح في الاستقامة ،
الذي تجب مناصرته لا الخروج عليه ، ولا يصح قتال رجل لا تعد عليه
جريمة في شيء ما ولم تقم عليه حجة شرعية مع إذعانه بالواجبات ،
وامتثاله للطاعات ، وانقياده للحق ، وقد دل كتابه هذا على استقامته .
وبرهن به عن الحال التي يرونها ، وقام لله بواجب يرى أن الله ألزمه إياه^(١)

ولم يجد من القوم إلا الإصرار على قتاله ، وكان قد وقع بينه
وإياهم أمر كبير في ناحية كدم ، وأسر منهم جملة ولم يعاقبهم ، بل أطلق
سراحهم ولم يثنهم ذلك عن قتاله ، وهنا تتم المحمة التي ينتهى بها الأمر
بينهم ، فكان اللقاء بينهم في حوزة الطو ، واستمر الجيش من عقبه بوه
الى الطو ، وكانت الدائرة على القائمين عليه وقتل منهم الكثير .

(١) الا أنه تولى الأمر على غير اجتماع عليه من المسلمين وعلى غير
بيعة منهم له وبهذا احتجوا عليه .

أعيان المقتولين في هذه الواقعة

قتل في هذه الواقعة رئيس الجيش وأخوه أبو المعالي بن عبد الله ،
وعبد الله بن خنبل بن أزهر ، وأحمد بن محمد المعروف بالصيلحي ،
وجماعة من أهل سمذ ، ومن سائر القوم عدد لا يحصى .

قال الإمام رحمه الله في تحفة الأعيان : فانهزمت أهل عمان ولم
يعقب أحد ، فقتل الرئيس وأخوه وقتل من الناس خلق كثير ما لا يحصى ،
وكذلك الموت بالعطش ، أى هلك كثير بالعطش ، ولعل القضية كانت
في وقت الحر .

قال الإمام : ولم ينج إلا ذو عمر طويل ، قال : وأنت اليمحمد
والبدو على جميع التجافيف والدربول والسلاح ، قال : وكانت القضية
بالبطو ، وليست هي بالطو ، بل في طريق الطو ، في عقبه بوه وهناك
أحاطت اليمحمد وأنصارها بجيش ابن أبى المعالي ، وذلك المكان مضيق
جبال . والقوم أكثرهم غرب لا يعرفون المسالك ، وقيل : إن الرئيس أبا
المعالي ومن ذكر معه هؤلاء كلهم أسرهم جيش الملك ، وأخذوا منهم
السلاح ، وباء أهل عمان بهزيمة منكرة ، أكثر المؤرخون ذكر هذه الواقعة
فهى أشبه بوقعة تنوف ، ووقعة القاع من ظهر عوتب وكان الملك انتصر
على الإمامة وأركانها إلا أنه لم يعد له خبر بعد هذا ، وهذا من إهمال
التاريخ أو ذكره ولكن لم نطلع عليه .

وإنما جاء بعد هذا ذكر إمامة خنبل بن هشام ، وقرائن الأحوال
تدل أن هذا الوقت وقت ضيق بين أهل عمان أنفسهم ، فان الرستاقية
تحاول الاستيلاء على الأمور ، وتروم السيطرة على عمان والنزوانية
ضدها ، والصراع لا يزال في هذه الآونة ، فانهم ذكروا إمامة خنبل ،
وإمامة ولده بعده ، وإمامة أبى المعالي في وقت واحد ، اللهم إلا اذا كان

العهد غير طويل للإمامة الأولى ، فيقوم الإمام الثاني أثر السابق ، ويسرع الموت عليهم بالقتل ، فان هذا الوقت اختلط تاريخه بهؤلاء الرجال ، الذين لعبوا فيه دورا هاما ، وفعّلوا فيه ما فعلوا فان إمامة ابن أبي المعالي في تاريخ سنة ٥٤٩ وانهم قالوا : إن خنبش بن محمد بن هشام المذكور ، مات في جمادى الأولى سنة ٥١٠ ، هو بعد ابن أبي المعالي ، وهذا لا يصح إلا أن يكون غلطا كما قلنا أو سهوا من الكتاب ، وإن ولده محمد بن خنبش بويج في تلك السنة ، فان صح ذلك فيلزم أن يكون ابن أبي المعالي بعدهما في التاريخ ، وإن وضعه قبلهما خطأ من المؤلفين ، وقد قالوا : إن محمد بن خنبش مات سنة ٧٥٥ سبع وخمسين وخمسمائة .

وجعل بعضهم أن محمد بن خنبش هو محمد بن أبي غسان مما يدل على اضطراب التاريخ ، مع أنهم قالوا أيضا إن هذا الوقت وقت إقامة راشد ، فاضطرب التاريخ اضطرابا كثيرا . واختلط حابله بنابله ، فعسر توضيحه غاية العسر ، وكذلك لم يبينوا خنبش وولده ممن من القبائل ، وعلى الأقل من أى البلاد ، وكذلك راشد بن على ، وقد عرفت أيضا مثل هذا في شأن الملك محمد بن مالك ، وليتهم بينوا وليتهم وضحوا توضيحا يحسن السكوت عليه .

ومن يعتبر في كتاب الملك يجده عظيما يحتوى على قواعد هامة ، ومعارف عامة ، وقد أورده الإمام في التحفة ، وإنه ليعبر عن عقل صحيح ورأى رجيح ، ولم نورده لأنه يطول به علينا المقام ، ونكتفى بالإشارة إليه ، لأنه ميسور التناول ، وإنه ليفيض ببيان صحيح ، ولسان المرء دليل عقله ، والله يؤتى ملكه من يشاء ، والحمد لله ، وكان يسمى ذلك الكتاب في الأثر العمانى كتاب الملحمة أى المقتلة .

إمامة خنبش بن محمد بن هشام

لم أدرك نسب هذا الإمام كما أشرت إليه آنفا . قال الإمام رحمه الله : وأظنه من أئمة الطائفة الرستاقية ، وهو ظن لا يحقق ، غير أن العاقد لمحمد بن خنبش أى ولده ، فإنه بويع بعده كما سوف تراه . وكون العاقد له صاحب المصنف وهو من الطائفة الرستاقية ، قال : وكان إمامتهما أى إمامة محمد بن خنبش ، وإمامة أبيه خنبش بن محمد بن هشام ، كانت فى وقت واحد ، وهو وقت من ذكرنا إمامتهم .

قال الإمام : وهو المقدم فى نقلنا عنه خصوصا فى المختلف أيا كان لتحريره الحق ، واعتماده على الصدق بحسب الإمكان ، قال : فأما خنبش ابن محمد فلم أجد لسيرته ذكرا فى شىء من الكتب إلا ما قالوه فى تاريخ موته ، إنه توفى يوم السبت من جمادى الأولى سنة ٥١٠ .

قالوا جرى على الناس بموته مصيبة عظيمة ، فكأنه كان محبوبا ، ويفهم من ذلك صلاحه فيهم واستقامته فى الدين . ولا شك أن الصالح مفقود ، وأن الحق مأسوف عليه ، وأن الدين والإيمان هما عروة وثيقة لها مقامها عند الله ، ولها تأثيرها فى النفوس . والله يؤتى فضله من يشاء .

إمامة محمد بن خنبل بن محمد بن هشام

عقد على محمد بن خنبل في اليوم الذي مات فيه أبوه ، وإن متولى العقد عليه العلامة نجاد بن موسى ، وكان المذكور قاضيه ووزيره ، وسيف دولته ، وكذلك الشيخ أبو بكر أحمد بن محمد ، وهذا الوقت كما قلنا آنفا إنه آخر إمامة راشد بن علي ، وعاش هذا الإمام في إمامته الى سنة ٥٥٧ سبع وخمسين وخمسمائة .

وكان العقد على هذا الإمام « بسوني » التي هي العوابي الآن ، في عالية الرستاق ، وهذا الإمام من حملة الأئمة الذين ذكرنا انبهام تواريخ إمامتهم ، فإن هذه الآونة هي وقت إمامة محمد بن أبي غسان ، وإمامة موسى بن أبي المعالي ، وإمامة راشد بن علي . وإمامة خنبل ابن محمد ، وإمامة ولده محمد المذكور ، والاحتمال يوجب كون المذكورين في نفس تواريخهم ، لأن عمان في هذا الأوان قسمان ، وبها إمامتان ، فهما دولتان والله المستعان .

ومات الإمام خنبل وولده المذكورين بنزوى ، وكان محمد بن خنبل إماما عادلا ، وأميرا فاضلا ، بكت عمان عليه من صميم قلبها ، لعدله وحسن سيرته مع طول مدته ، وعلى كل إن للعدل ثمنا غاليا وقدرنا عاليا ، وشرفا ساميا والحمد لله .

انسحب ذلك القرن فسحب بقية العلماء الذين زاولوا الإمامة في تلك الأيام ، وأقاموا دعائم الحق ، وإن كانوا اختلفوا فيما بينهم ، فإنما هو خلاف في أمر القيام بالعدل بين المسلمين ، ولكل واحد اجتهاده ، فإننا لا نقدر أن نلوم أحدا منهم ، وإن تأسفنا على الواقع فالأمور الاجتهادية كل يرى أنه المصيب فيما أتى ، والمحق فيما فعل ، ورحمة الله واسعة ، وليس لعلمائنا أهواء تخالف الشرع حاشاهم ، وإنما جل اجتهادهم بل كل أعمالهم هي في صالح الأمة ، وبصالح الدين والوطن ، والله ولي كل شيء وإليه المرجع وعليه الاتكال ولا حول ولا قوة إلا بالله .

الملوك النباهنة ودورهم

لقد لعب بنو نبهان بعمان دورا كبيرا ، وابتنوا لهم قواعد ، رفعوا لهم معالم ، وركبوا في أيامهم كل صعب وذلول ، ولا شك أن الملوك لهم مذاهب معروفة ، ومعالم موصوفة ، ومقامات لها شأنها ، (إن الملوك اذا دلخوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) ، أى ذلك شأنها إلا ما شاء الله ، ممن وفقه الله لسلوك سبيل الحق ، والعمل بواجبات الشرع ، وسنة الله في عباده ألا تبقى الدنيا على حال (وتلك الأيام نداولها بين الناس) وتلك هي سنة الله في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا ، وهو الحكم في كل ما يأتى وما يذر ، وإنما العباد آلات تحركها اليد الإلهية التى لها الحول والطول فى الكائنات .

والنباهنة قوم من العتيك معروفو النسب ، صار الملك إليهم بعد الأئمة السابقين ، وذلك لأمر أراه الله تعالى فى عباده ، فإنهم لما افترقوا فرقتين ، وصاروا طائفتين متعادييتين ، نزع الله دولتهم من أيديهم ، وسلط عليهم العقوبة من أبناء جلدتهم ، وأهل ملتهم ، وجعلهم رعايا بعد ما كانوا رعاة ، وضحايا بعد ما كانوا هداة ، وأسارى فى أياد لا تعرف لهم حقا .

ولا شك أن الله يظهر العدل فى الكون على يد من ارتضاه من عباده ، لتقوم حجته عز وجل على الناس ، وينفذ سلطانه فيهم بما اكتسبوا ، فإن الافتراق شئوم ، وإن الاتفاق قوة ، وإن الاختلاف داء . (ولا تنازعوا فتشعلوا وتذهب ريحكم) والله ولى التوفيق .

كان بنو نبهان أسرة بارزة فى محيطها لها قدرها وشأنها الأزدى ، فإن عمان من أول أمرها أزدية باتفاق .

تسلط النباهنة

كان العلماء يعالجون إقامة الإمامة في آنها ، ويصارعون الباطل بالحق ويدافعون الجور والظلم بالعدل والإنصاف ، ولم تنزل في عمان تلك الأيام ، والأيدى تحمل أعلام السلطنة وبنود الإمامة ، ولم تنزل المصاومات في حل وترحال ، ولكل عمله ، فالملوك في بلدان والإمامة في أوطان ، والسلطان في مكان والإمام في آخر ، وربما غلبت الإمامة في بعض الأحيان ، ويرجع الأمر بعد ذلك الى السلطان .

وهكذا استمر الحال عهدا ، وقد أشرنا الى وميض من الحركة النبهانية وهنا علا لهبها وعظم خطبها وكثر موقدوها ، ملك بنو نبهان عمان مرتين ، كان بينهما فاصل غير قوى ، إلا أن الله الحكيم في صنعه ، المعلم بخلقه ، يرى عباده مطالع قدرته ، ما يستدل به العاقل على الأحوال التي تنبغى ، وقد ضاع تاريخهم التفصيلي ، وكان ينبغي حفظه ليكون لسانا معبرا عن الأحوال التي أحاطت الأمر إليهم ، ثم أحالته الى غيرهم ، والظاهر أن أولهم الذي ترشد إليه المعارف الأدبية بالاشتراك .

أول ملوك بني نبهان

أبو عبد الله محمد بن عمر بن نبهان ، وأخوه أبو الحسين أحمد بن عمر بن نبهان ، وأخوه الثالث أبو محمد نبهان بن عمر بن نبهان ، هؤلاء الثلاثة لا يعرف هل هم تتابعوا على الملك ، أم كانوا اقتسموه في آن واحد ؟ ومشوا فيه مشية ازدهاء ، ولا يعرف تسلطهم على الأمة بأى طريق كان ، ثم بعدهم أبو القاسم علي بن عمر بن محمد بن عمر بن نبهان ، وأبو الحسن ذهل بن عمر ، ثم أبو العرب يعرب بن عمر ، وهو الذي تفرع عنه اليعاربة الميامين .

وأبو اسحاق إبراهيم بن أبي العمر عمر بن محمد بن عمر بن نبهان ، ثم توالى الأيام بأبنائهم وذرائعهم ، ومنهم أبو عبد الله محمد بن عمر ، وأبو المعالي كهلان بن محمد ، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن عمر ، وأبو محمد نبهان بن ذهل .

توالى هؤلاء على الملك ، وسيطروا على الأمة قهرا ، وفعلوا شنائع تسمئز منها النفوس ، وذهب تاريخهم ضياعا ، حيث إن العلماء كانوا يبغضونهم ولا يعبتون بأخبارهم ، وهؤلاء العشرة تتابعوا أول بني نبهان ، فهؤلاء المذكورون لم يعرف تاريخهم ، وكان في الصبا وصل الى جدول جامع لهم فيه تواريخ مواليدهم ، ووفياتهم وأسمائهم ، وعاصمة كل واحد منهم ، وإذ ذاك أنا في سن الصبا لم أدر أين ضاع ذلك الجدول منى ، مع أنى في ذلك العهد لم تكن لى أهمية ناشطة لهذا الصدد ، بل كنت أقرأ أو أسمع كلمات لبني نبهان ، تدل على التأنيب لهم ، وأنهم جبابرة ظلمة .

ولما حاج الحال الى العلم عنهم ، والتعرف على أحوالهم تاريخيا ، ضاع ذلك المذكور ، كما ضاع منى تاريخ الإمام سلطان بن سيف

صاحب الحزم ، وهو القصيدة الميمية التي ذكرها الإمام وشرحها ، وكنت استطعت أن أنسخ نظمها ، ثم ضاعت مني أيضا وكذلك أيضا ضاع مني « سراج المسترشد في تاريخ الإمام ناصر بن مرشد » رحمه الله .

ومن كلماته فيهم يقول : إن بنى نبهان كانوا ملوكا عظماء بعمان ، ولهم فيها من الملاحم والمكارم شأن أى شأن ، فمن أين يكون بعمان ملوك عظماء بالأخص اذا لم يكن بيدهم إلا عمان ؟ نعم اذا كان يعنى ملوكا عظاما فى ظلم الناس ، فنعم لقد ظلموا العباد ، وجاروا فى البلاد ، فأخذوا أموال الناس ، وجعلوها أموالهم ، وشردوا العباد عنها مستأثرين بها دونهم ، فملوك عمان بهذه المثابة لا ينبغى أن يطلق عليهم إلا أمراء فقط ، وكل ملوك عمان الماضين ، اللهم إلا ما كان فى عصرنا الحالى ، حيث أصبح سلطان الان ويده مملوءة بالمال ، بسبب ما أخرج الله لعمان من البترول .

فإن الملك يعتبر فيه الغنى ، ألا تسمعون ما يقول الله فى كتابه حكاية عن طالوت يقول الله فيه على لسان القوم : (إن الله بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال) الآية . فإن الشرط فى الملك الغنى والأمة والبلاد ، وبقدر ذلك يكون الملك . وأشهر ملوك بنى نبهان فلاح بن محسن .

قال الإمام رحمه الله : فاذا استقربت للتواريخ ، أخبرك الحال أن بنى نبهان ملكوا مرتين ، فملوكهم الأوائل هم الذين كان يمدحهم أبو بكر أحمد بن سعيد السنالى ، وهو شاعر مشهور خروصى المحدث ، وله فيهم قصائد غراء ، ذكر الإمام منها طرفا ، قال : وحيث كانت دولة هؤلاء مبنية على الاستبداد بالأمر ، وقهر الناس بالجبرية لم نجد لدولتهم تاريخا ، ولا للملوكهم ذكرا إلا من ذكر السنالى فى ديوانه ، ولشاعر الشباب

السيد هلال بن بدر بن سيف بن سليمان البوسعيدي يقول في همزيته
التاريخية :

وملوك من آل نبهان صالوا
وبنوا ملكهم على الكبرياء
ومضوا لا الزمان عنهم براض

الى آخر ما قال • والذي يدل عليه الحال أن بنى نبهان قاموا في
القرن السادس الهجري ، أى بدأ نشأة دولتهم حين كانت الإمامة
المستضعفة ، فعضوا على الملك بالنواجذ ، حتى رسخ فيهم عهدا وأصبح
من مألوف الناس ، فطالت أعناقهم وكبرت نفوسهم ، ولم يروا من يقوم
لردهم عما هم فيه •

وعلى هذا كانت نشأة القوم حتى اجتاحوا ملك عمان ، وتسلطوا
على أهلها بالظلم والعدوان ، فحاول أهل العلم إزالة ظلمهم ، ولم ينجحوا
كما ينبغي ، فإنهم بايعوا بالإمامة لأناس كما سوف تقف عليه أيها
القارىء •

فكان الصراع بين الإمامة والملكية مستمرا ، وما برح الخلاف والشقاق
يتوالى بينهم ، والملك لله وحده كلما رأى العلماء فرصة للقيام بالعدل
والعمل بكتاب الله ، بايعوا إماما فيظل الصراع مستمرا ، وفي الغالب أن
الناس أعنى أكثرهم لا يحبون الإمامة ، لأنها تأخذ على أيديهم ، وتعترض
على أهويتهم ، لأن أهل الجهل هم السواد الأعظم ، وأهل الحق هم
الأقلون حتى عهد النبوات ، ولذلك أدلة من الكتاب والسنة ، وبنو
نبهان شهروا بالفساد في البلاد ، وبظلم العباد والاستبداد •

قال شكيب أرسلان في التعليق على حاضر للعالم الإسلامي : استولى على الملك بنو نبهان ، وتلقبوا بالملوك ، واستمر ملكهم مائتين وستين سنة ، واستمر في ذكرهم الى أن قال : ثم أخذ بنو نبهان يظلمون ويعسفون ، فلم يطق الأهالي حكمهم ، وانتخبوا إماما من قبيلة الأزدي ، ويشير بذلك الى الإمام عمر بن الخطاب الخروصي ، إذ هو الذي خضد شوكة النباهنة ، وكسر أجنحتهم ، فكانت له بذلك شهرة في عالم التاريخ ، وإلا فقد بايع العمانيون عهد بنو نبهان أئمة عديدين •

قال شكيب : وانتهى ملك بنو نبهان في نحو سنة ٨٣٩ •

قلت : أما تحديد مدة ملكهم فأهل عمان أعرف لأنها على كواهلهم ، أما شكيب وأمثاله تأتيهم الأخبار من بعيد لا تحقيق فيها ، وإنما يأخذون ما يسمعون • قال : وكان بنو نبهان قد ضبطوا أملاكا كثيرة ، فاستردها عمر بن الخطاب من سلالة شاذان بن الصلت ، وما لم يوجد له أصحاب كأن يكون هؤلاء انقرضوا أو غابوا غيبة منقطعة ، رده الى بيت المال •

قلت : هذا من جملة ما لم يعرف شكيب مصدره ، وسوف تقف إن شاء الله على تحقيق هذه الأملاك التي يذكرها شكيب ، وفي معالم الجزيرة العربية ، عين ما قاله شكيب ، وأما دليل الخليج ، فلم يكن لديه معلومات عن تاريخ النباهنة ، لأنه كان حديث عهد بالخليج ، فكتب أكثر ما كتبه في عهد وجود بريطانيا ، وإنما أشار الى النباهنة إشارة خاطفة ، وذكر عهد اليعاربة ، وكتب عنهم بعض الأحوال •

والواضح أن غموض تاريخهم بسبب جورهم وظلمهم فكرهتهم الأمة والظلم لا تبني عليه دار ، ولا يقوم له منار ، وإنما هو البوار ، فلا يغتر به إلا جاهل خليع •

كهلان بن نبهان وأخوه عمر بن نبهان

لقد استمر النبهانيون طيلة القرن السابع الهجري ، وفي سنة ٦٦٠ ستمائه وستين ، كان السلطان منهم أبو المعالي كهلان بن نبهان ، خرج عليه أمير من هرموز يسمى محمود بن أحمد الكرستى ، والمصادر عنه فى حديثها متحدة ، ففى كشف الغمة لسعيد بن سرحان الأزكوى ، وابن رزىق وأخذه عنهما الإمام السالمى فى تحفة الأعيان ، أن محمود المشار اليه وصل الى قلعات ، وذلك لأنها إذ ذاك إحدى عواصم عمان ، وهى على ساحل البحر فى جبال منيعة ، إلا أن الظلم يكسر تلك المنعة ، ويمهد الطريق للغازى كما هو المعروف فى الطباع البشرية ، فإن المظلوم لا يزال يطلب العوائل للظالم لينتقم منه ولو بعدوه .

ولما وصل محمود قلعات ، كان أبو المعالي فى داخل عمان فدعاه فلبى دعوة محمود خوفا ، ولم يكن لديه ما يدفعه به من قوة ، فلما حضره طلب منه المنافع ، وبعبارة أوضح ، طلب إتاوة من عمان ، وخراج أهلها ، فاعتذر أبو المعالي اليه وقال : إنى لا أملك من عمان إلا بلدة واحدة . فقال له محمود : خذ من عسكرى ما شئت واقصد به من خالفك من أهل عمان ، وانظر كم كان عسكر محمود ، اذ بلغوا مبلغا كبيرا خمسة آلاف رجل ، وعمان تحتوى على مئات الآلاف من الرجال ، فينزل عليها محمود ويهدد ملكها فى عاصمته ، إلا أن الجند الغالب هنا هو الجور والظلم .

قال أبو المعالي : إن أهل عمان ضعفاء ، لا يقدرّون على تسليم الخراج ، فحقّد عليه محمود وأضمر له المكيدة ، واستدعى محمود أمراء البدو من عمان ، فكساهم وأعطاهم ، فوعدوه بالنصر على أهل عمان والخروج معه ، وانظر أيضا هنا طلب محمود لبدو عمان ، وإجابتهم له على ما طلب ، لولا ظلم الحاكم لما لبوه ، وانظر اليه هو لم يقدر على

منعهم من إجابة عدوه ، ومن قبولهم عداياه وهو يرى ويسمع ، ولكن الله عز وجل زحزحه عن أن تتم البلية على أهل عمان ، فلو دخل عمان لاستباحها ، وحمل نساءها وذرائعها ، واستعبد أهلها •

ولكنه واعد البدر على العودة ، وتوجه الى ظفار على أن تكون عودته إليهم من جهتهم ، فيدخل عمان من ناحيتهم ، ولو تم له ذلك لكانت بلية على أهل عمان ، من أعظم بلايا بنى نبهان ، ألا ترى بأنه لما وصل ظفار ، قتل أكثر أهلها ونهب أموالهم ، ورجع قاصدا عمان لتنفيذ مخططه •

قال الإمام : وأخذ طريق البر أي ليمر على بدو عمان من عفار وحسريت ووهيبة وجنبه ونحوهم ، وكان قد حمل أثقال على سفنه ، ولما تمكن في الصحارى الظفارية العمانية ، نقص عليهم الزاد لأنهم لا يعرفون قدر المسافة ، فيأخذون لها ما يلزم ، فأصابهم جوع وعطش شديد لقلّة الماء في الطريق ، فمات من عسكره قدر خمسة آلاف رجل ، وقتل أكثرهم •

والمفهوم أن الأكثر ماتوا جوعا وعطشا لا سيما أن الموارد في الطريق قليلة ، ولا يهتدون لها ، ومن هناك لم يحدث التاريخ عنه هل هلك أم لا ، إلا أن أخباره اختفت ، ولعله قنع من الغنيمة بالإياب ، وأراح الله منه البلاد والعباد ، وانتقم الله منه (والله عزير ذو انتقام) •

وكذلك أيضا اختفت أخبار أبي المعالي ولعله مات وتولى بعده

أخوه عمر بن نبهان •

عمر بن نبهان وأهل شيراز في عمان

لما تولى عمر بن نبهان سلطنة عمان بعد أخيه ، خرج عليه أيضا أهل شيراز بقيادة فخر الدين أحمد بن الداية ^(١) ، وخيه شهاب الدين وهم أربعة آلاف وخمسمائة فارس تبعا لخروج محمود الكوستي ، والنصير لهؤلاء في خروجهم ظلم ولى الأمر في عمان ، وإلا كيف يتسنى لمثل هؤلاء دخول عمان ، وهم أربعة آلاف وخمسمائة رجل ، وعسكر في عمان في أيام الإمام المهنا أربعون ألفا ، وفي بلاد عمان آلاف الرجال •

ولا شك أن ألف رجل في بلد مواطنين فيها أقوى من عشرة آلاف رجل غزاة ، إلا أن الباطل ظهير لهم ، وانظر أفعالهم التي فعلوها في عمان •

قال الإمام السالمى نقلا عن التاريخ العماني ، قال : حل على عمان منهم « أذى كثير لا غاية له » قال : وأخرجوا أهل العقر من نزوى من بيوتهم ، وأقاموا على ذلك أربعة أشهر في عمان ، قال : وحاصروا بهلى •

فانظر الى خمسة آلاف رجل يتغلغلون الى داخلية عمان ، ويقتلون وينهبون ويخرجون الناس من بيوتهم ، ويحتلونها ويقيمون فيها أربعة أشهر بين ظهرائي أهلها ، إنها لمن الدواهي التي لا يرضاها حر ، ولا يقف معها من في وجهه حياء •

وهكذا شأن الغازي اذا تسلط في أمة ، ولا شك أن الأنصار لهذا الغازي هم أهل عمان الذين أوغلوا في عتوهم وجورهم ، يرسل عليهم من يريهم السذل والهوان ، واذا جاءت الفتنة عمت - والعياذ بالله - لا تصيين الذين ظلموا منكم خاصة •

كهلان بن عمر وآل الريس في عمان

وبعد حصار ابن الداية لبهلى ليحتلها فحماها الله منه لأنه لم يقدر عليها حيث اجتمع أهلها وتعاقدوا باخلاص وفي أثناء ذلك مات ابن الداية وكسر الله شوكة قومه ، وانحل أمرهم وذهب عمر بن نبهان ، وتولى الأمر كهلان ابن عمر بن نبهان ، ورأى أهل شيراز أن الطريق معبد للخروج الى عمان لاستغلالها .

ففى شوال من سنة ٦٧٥ خمس وسبعين وستمائة خرج أولاد الريس على كهلان ليلعبوا دورهم بعمان ، فخرج لهم كهلان المذكور بمن معه من جنوده وعساكره ليلقاهم بالصحراء ، وخرج معه أهل العقر من نزوى ، فتخالفوا فى الطريق فدخل آل الريس العقر ، وأحرقوا سوقها وأخذوا جميع ما فيها من أموال ، وسبوا النساء ، وهم كما علمت شردمة قليلة بالنسبة الى نزوى فضلا عن بقية أهل عمان ، وأحرقوا الكتب التى فى مخازن الجامع وفعلوا تلك الأفعال فى نصف يوم واحد .

ثم التقى بهم كهلان بالسرابة فى أول يوم من ذى القعدة من السنة المذكورة ، وكان مع آل الريس آل الحدان بن شمس ، ولعل هناك ضعائن للقوم وألفت بينهم فزحف آل الريس ، ومعهم من آل الحدان ، وكانوا قدر سبعة آلاف رجل .

ودارت رحى الحرب بينهم فقتل من الفريقين خلق كثير ، ويقال إن جملة قتلى آل الريس والحدان ثلاثمائة قتيل . ودارت المداثرة عليهم فولوا منهزمين ، ثم لم يعد لهم ذكر فى التاريخ ، فلعلهم كفتهم تلك الواقعة ، والحرب نار تلتهم كل ما تصل اليه ولا خبر فيها .

خردلة بن سماعة بن محسن في سمائل

كان خردلة بن سماعة بن محسن بن سليمان بن نبهان على سمائل وتوابعها ، جبارا في منتهى حدود الجبروت ، وكان الله عز وجل ابتلى به أهل ذلك الطرف ، فأذلهم واستعبدهم الى حد بعيد ، بحيث أصبح لا يقدر أحد أن يزوج وليته إلا بإذنه ، وشرط على المولى أن يكون له نصف المصداق العاجل ، واذا طلقت أو مات زوجها كان الآجل كله له ، وكان يكلف الناس من الأعمال مالا يطيقون ولا يبالي ، كان يأخذ من النخل باسم الزكاة السبع أى من السبع النخلات نخلة ، ويسقى أمواله بماء الناس ، ويتولى أموال المساجد والمدارس ونحوها ، ويكلف الناس حمل الخراج الذى يفرضه عليهم الى الحصن بعنف ، ويكلف أهل قيقا وبدبد وما اليهما يحملون متاعهم من تمر وثمر ونحوه على ظهورهم وظهور دوابهم ، ويأخذ نصف حق المدعى ولا يحلف المنكر ، بل يريه من العذاب ما يحمله على الإقرار ، حتى يحصل المطلوب ، وعليه ما على الانسان إلا أن يدعى وهو المنفذ للصدعى ، وإن رغم أنف المدعى عليه .

فابتلى به العباد ، وساءت به حاله البلاد ، وتكدر الصفو وظل الناس يرتحلون من تلك النواحي ، من سوء تلك الأفعال ، وأتم القضية بقتل الشيخ أحمد بن النضر على غير شئ ، ويقال إنه أرسل الى جماعته وأقاربه فقتلوا في بيوتهم ، وأحرق كتب الشيخ ، ونهب كل ما في بيته ، فكانت الضجة الى الملكوت الأعلى .

وبالجملة أفعال تشمئز منه النفوس ، وتنفطر له الأكباد ، وخرجت منازل بنى النضر ، واشتتت الوطأة عليهم ، وها هي قبورهم في بساتينهم الى الآن والله المستعان .

إمامة الحواري بن مالك في العهد النبهاني

بويح الحواري بن مالك في العهد النبهاني في سنة ٨٠٩ تسع وثمانمائة
أى في العقد الأول من القرن التاسع ، فقام بواجب الشرع ، وبذل النفس
والنفس ، وبقي في إمامته ثلاثا وعشرين سنة ، أدى فيها واجب الحق ،
وأقام أعمدة العدالة حد المستطاع ولم أجد شقاقا بينه وبين بني نبهان ،
ولا ذكروا له حروبا ، وهذا الوقت وقتهم ، ولعلمهم تهادنوا هم وإياه ،
فإن الأئمة في غالب عهد بني نبهان يكونون في بلد ، والسلطان النبهاني في
آخر ، إذ كان العمانيون وحدهم ، فيكون الصراع بين الإمامة ، والسلطنة
ويقوم الخصام والنزاع هكذا .

فتارة ترتفع راية الإمامة ، وتارة تقوم الملكية ، ولها ككبجة ،
وهكذا كان الحال ، والحواري بن مالك يعيش ثلاثا وعشرين سنة ، بين
أولئك العتاة ، ولعل الله كف شرهم عنه ، وتوفي الإمام الحواري المذكور
في سنة ٨٣٣ اثنتين وثلاثين وثمانمائة ، وبايعوا ولده مالك بن الحواري .

إمامة مالك بن الحواري في العهد النبهاني

لما توفي الحواري بن مالك الإمام ، رأى أهل الفضل ابنه أهلا لأن يكون إماما بعد أبيه ، فاجتمع عليه أهل العلم ، فبايعوه بالإمامة بعد أبيه حالا ، وكان عقد الإمامة له بنزوى ، ومنها تولى جبل بنى ريام ، ولعله أراد أن يجعله عاصمة لإمامته ، وإنه لخليق بذلك ، فإن جبل بنى ريام من أعظم عواصم عمان ، ثم هبط بعسكره الى الرستاق ، ووقعت بينه وبين من بها من الجنود مناوشات ، وقتل من عسكره ناس ولكن لم بصرح التاريخ السبب الموجب لذلك •

وقيل إن الإمام المذكور أمر عبد الله الملقب بالهول أن يغزو الرستاق ، وأمر بحرق سور القلعة ، ولعله أراد بذلك أن يخرج الذين تحصنوا بها ، فيقاتلهم إذ لا يستطيع احتلالها مصادمة ، إذ لا طائرات إذ ذاك ولا دبابات ، ولا مدافع تعمل شيئا له أثر ، وكان عمر هذا الإمام قصيرا ، فإنه ما عاش في الإمامة إلا سنة واحدة ، ثم توفي فأراحه الله من عناء ما هو بصدده ، فإنه توفي في سنة ٨٣٢ •

إمامة أبي الحسن بن خميس بن عامر في العهد النبهاى

لم يعرف تحقيقا بعد موت مالك بن الحوارى ماذا صار حتى بويع للإمام أبى الحسن المذكور ، والمدة نحو ست سنين فإنه مات سنة ٨٣٣ ، وبويع أبو الحسن فى شهر رمضان سنة ٨٣٩ .

قال : وخاصمه بنو صلت • قلت : لم نعرف بنى صلت الخاصمين للإمام المذكور ، ولا فى أى بلد كان هذا الخصام ، وحاربوه فإن كان المراد بهم آل الصلت بن مالك ، فهم فى بهلى ولم نعرف الحقائق التى يشير إليها التاريخ ، وكان لهذا الإمام ولد يدعى عبد السلام ، روى عن أبية المذكور أنه أمر بخشى نخل بنى ربيع خدم بنى صلت ، وهو يومئذ إمام عمان ، لأن بنى ربيع خاصموه عند بنى صلت •

وفى الأثر كان أمره يخشى نخلهم الشيخ العالم ورد بن مفرج ، شهد بذلك سليمان بن راشد بن صقر العدوى ، ودهمان بن راشد ، ذلك لأنهم حاربوه وأفتاه الشيخ المذكور بجواز خشى أموالهم عقوبة لهم ، وتجاوز عقوبة الباغى بإتلاف أمواله التى يتقوى بها على بغية •

قال ابن رزىق : عقد لأبى الحسن بعد أحمد بن محمد الزنجى • قلت : لعله كانت إمامته فى تلك المدة التى لاحظناها بين مالك بن الحوارى وأبى الحسن ، وهى ست سنين • قال : وأقام فى الإمامة سنة واحدة ، فخرج عليه سليمان بن سليمان بن مظفر ، فمات أبو الحسن عند خروج سليمان عليه والله أعلم •

إمامة عمر بن الخطاب في العهد النبهي

لما توفي الإمام أبو الحسن بن خميس بن عامر في سنة ٨٤٦ ، بقيت الأمور في يد بني نيهان يتلاعبون فيها كيف شاءوا ، ويفعلون في الأمة كما تهوى أنفسهم ، ورأوا ذلك هو العز والشرف ، أغمار غلب عليهم الجهل واستمروا للباطل ، وكانت عقولهم مقصورة على كلمة السيد أو السلطان أو الملك ، ولم يرفعوا رؤوسهم الى أعلى من ذلك المستوى ، فهوت المملكة العمانية وتحطمت أركانها ، وأصبحت تتناقص أطرافها ، ويتقلص ظلها ، وينضب معينها ، وهم في تيهم عاكفون على الشهوات يتظالمون فيما بينهم ، ويظلمون الرعية ، ويمتصون الثروة أين وجدوها ، ويستصفون أموال العباد ولا يباليون •

وفي سنة ٨٨٥ ضاق المسلمون بهم ذرعا ، فاجتمعوا فيما بينهم وتشاوروا في أمرهم ، فاعتمدوا على مبايعة عمر بن الخطاب ، فقام بالأمر ، وكان السلطان إذ ذاك سليمان بن سليمان صاحب الديوان الحماسي ، فثار المذكور بجيشه ، وخرج الإمام برجاله ، وكان الالتقاء ببلد حممت من وادي بني رواحة ، وهي التي تعرف الآن بالجنابة ، وكان أكثر أنصار السلطان في هذه البادية هم بنو رواحة ، وهم القوام بأمره ، فانهزم الإمام وعسكره ، ورأوا أنهم وقعوا في كبيرة أمر ، فلزمهم أن يتوبوا ويتراجعوا ، ولعلمهم كانوا استخفوا بالأمر ، فعوقبوا عليه ، فجددوا البيعة له مرة ثانية ، فصال على النباهنة صولة الأسد الباسل ، فهزمهم هزيمة أنتت على سحق قوتهم ، وإبادة شملهم •

ولكن لم يذكر التاريخ أين وقعت الواقعة بينهم ، ولا ذكروا من قتل منهم ، فإنه لا بد أن تكون وقعت عليهم وقعة أو وقعات ، أوجب خضوعهم ، فإنهم لا يخضعون بالهويينا ، ولا يكفى من المؤرخين مثل هذا

التعبير ، فإن الذكر الذى يعتمد عليه ينبغى أن يكون واضحاً ، فإنهم قد أسادوا بذكر نصر الإمام وانتصاره عليهم إجمالاً .

وهذا الإمام السالمى المؤرخ الكبير يقول :

وفى بنى اليعمد من أسد الشرى

إمام صدق كان يدعى عمرا

كذا أبوه يدعى بالخطاب

مسامياً لعمر الصحابى

وقد قضى على بنى نبهانا

خبايراً كانوا على عمانا

قضى بأن مالهم لمن ظلم

من العمانيين لكن ما علم

فجعلوا ذلك بيت مال

الخ

لكن المؤرخين العمانيين يجازفون الحقائق غالباً .

قال الإمام السالمى : صال على النباهنة صولة الأسد الصائل ، فأمكنه الله منهم ، وأرثه أرضهم ، وديارهم ، وحكم بتغريق أموالهم ، وهذا التعبير يرمز الى سلطة كبيرة كانت للإمام المذكور: وليتها كشفت حتى تعلم على أى الوجوه كانت ، فإنهم لم يبينوا من قتل ومن أسر ، وعلى أى صفة كانت هزيمتهم ، حتى صفا الجو للإمام ومن معه ، بحيث يتمكنون من حكم التغريق ، ويستطيع العلماء القيام بهذه المهمة الساحقة التى

تقضى أموال القوم ، حتى أقاموا للمظلومين وكيلا ، وللسلطين وكيلا ،
والوكيلان ينظران في الأمور ، ويحققان القضايا ، ويستطيع العلماء أن
يسجلوا الحكم ، ويصححوا عليه •

والحال يدل أن السلطنة النبهانية هنا وهت ، ولم تعد تستطيع
القيام في وجه الإمام لمعارضة حكمه القاضي بتغريق أموالهم ، وتمزيق
شملهم ، وتمكن المسلمون من تنفيذ أحكام للشرع تمكنا تاما صحيحا
لا هوادة فيه ، وخمدت الشرارة النبهانية ، إلا أنها بقيت وميضا تحت
الرماد ، فإنه لم يطل العهد حتى طلع لها نجم كما سوف ترى •

صفة الحكم في أموال بني نبهان

اعلم أن المسلمين نظروا الى التباهنة نظرة الحق ، لأن القوم انخرطوا في سلك الجبروت والظلم الفاحش ، وبلغوا فيه مبلغا كبيرا وكثر المتظلمون منهم والشاكون جورهم ، وعند هذا الحال نظر الإمام عمر بن الخطاب المبتلى بأمر المسلمين بعمان ، وناظر العلماء وناظروه ، وآخر الأمر أقاموا للمظلومين وكيلا يشكو من التباهنة المظالم ، وأقاموا للملوك وكيلا يدافع عنهم ، وعشية لأربعاء لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة ٨٨٧ سبع وثمانين وثمانمئة اجتمعوا لهذا الصدد ، وللتشاور واستخراج ما يبتنى عليه الحكم ، فإنهم مسئولون أمام الله عز وجل .

قرروا أن سعيد بن زياد بن أحمد بن راشد البهلول للحكم في أموال بني نبهان ، وأقام أحمد بن عمر بن مفرج وكيلا للملوك المقدم ذكرهم وكان القاضى في هذه القضية هو الشيخ العالم أحمد بن صالح بن محمد ابن عمر ، بجميع مال آل نبهان من أموال ، والمراد بها بساتين النخل . قال : من أموال وأرضين ، ونخيل وبيوت وأسلحة وآنية ، وغلل وتمر وسكر ، وجميع ما لهم كائنا ما كان من ماء وبيوت ودور ، وأطوى وأثاث وأمتعة ، قضاء واجبا تاما ، وقبل محمد بن عمر بن محمد بن أحمد هذا القضاء للمظلومين من أهل عمان من غاب منهم ومن حضر ، وكبر وصغر ، الذكور منهم والإناث ، فصارت هذه الأموال بالقضاء الكائن الصحيح للمظلومين . والمظلومون قد جهلت معرفتهم ، فصار كل مال مجهول ربه جاز للإمام قبضه ، ويصرفه في أعزاز دولة المسلمين ، وكل من أصبح حقه وأثبتته فهو له من أموالهم ، ويحاسب بالتجزئة لما يصح له بقسطه إن أدرك ذلك ، وإن لم يدرك التجزئة ولم يحط بها فذلك نصيب غير معلوم ، وهو مجهول للفقراء .

وللإمام أن يقبض الأموال المغيبة وأموال الفقراء ومن لا رب له ،

ويجعله في عز دولة المسلمين ، فقد صح هذا الحكم والقضاء فيه ، فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم كتبه الفقير لله تعالى على بن محمد بن علي بن عبد الباقي ، وصلى الله على رسوله وآله وسلم ، شهد بجمع ذلك : أحمد بن صالح بن عمر بن أحمد بن مفرج وكتبه بيده •

وهذا تاريخ وقوع الحكم المشار إليه : بسم الله الرحمن الرحيم ، وقع الحكم والقضاء للمسلمين المظلومين بأموال أولاد نبهان في عشي الأرباء لسبع ليال خلون من شهر جمادى الآخرة من سنة ٨٣٧ هجرية نبوية محمديّة ، على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام ، وعلى أثره كتب : أقام الشيخ القاضي المجاهد سيف الإسلام ، وقطب عمان ، أبو عبد الله محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج بن عمر بن أحمد بن مفرج ، وكيلا للملوك المقدم ذكرهم ، فقد صح عندنا ذلك ، ففضى أحمد بن صالح بن محمد بن عمر بجمع مال آل نبهان من أموال وأرضين ، ونخيل وبيوت وأسلحة وآنية ، وغلال وتمر وسكر وجميع ما لهم من ملك ، فقد صح ذلك لمن ظلم من المسلمين من أهل عمان الذين ظلمهم السادة الملوك من آل نبهان ، من لدن السلطان المظفر بن سليمان بن المظفر بن نبهان ، إلى آخر من ظلم من نسله وولده الملكين سليمان بن سليمان وحسام بن سليمان ، هذا الحكم الذي هو في البلدة ، وقد سجل هذا الحكم جملة من أهل العلم ، وكل من عرض عليه هذا الحكم أثبتته وأمضه من جملة المسجلين إثباته • عبد بن مداد بن محمد •

وقال الشيخ محمد بن عبد الله بن مداد : صح عندي وثبت لدى أن جميع الأموال والأموال التي خلفها السيد سليمان بن المظفر قد استهلكتها الديون التي على سليمان والضمانات ، وقد صارت جميع هذه الأملاك

والأموال للإمام دون أولاد سليمان ، ينفذها في عز دولة المسلمين ، وكذلك الزروع الحاضرة وغيرها ، صارت للإمام ، وأنفذ الإمام عمر بن الخطاب رحمه الله هذا الحكم ، واستحل تلك الأموال ، وأدخلها في بيت المال ، فبيت المال الموجود بعمان هو أصله أموال ملوك بني نبهان ، لأن عمان لم تكن بيت مال في حال من الأحوال ، لأنها أسلمت طوعا كما علم ذلك الخاص والعام ، وقد صرح أهل العلم في الأثر بذلك ، فكل الأموال التي كانت لبيت المال بعمان من سمائل ، وأزكى ، ونزوى ، وبهلى ، ووادي المقريات ، ووادي السحتن ، الرستاق ، وأوديتها ، والعوابي ، ونخل كل هذه الأموال هي أموال المذكورين ، إلا بدبد فقد عرف أمرها ، وبعض أنهار أجراها أئمة اليعاربة ، وأفلاج في عمان وهي يسيرة بالنسبة الى أموال بني نبهان ، ولحق بها بعض الأموال كأموال بني رواحة ، وأموال بعض آل بوسعيد ، التي غرقها الإمام عزان ، وأموال بعض عتاة أهل عمان •

وعمان أيام الإمام عمر بن الخطاب كانت غاصة بأهل العلم ، وكلهم وافقوا على ذلك التفریق ووأمضوه ، لما صح لديهم من أعمال بني نبهان الذين استمرعوا الظلم وركنوا اليه ، والله يملئ للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته ، وسحق الله الظلم ومحا أرسمه في قوم عاد وفرعون وقوم لوط وأصحاب الأيكة ، كل ذلك بسبب ظلمهم ، والظلم لا تبني عليه دار والعياذ بالله •

وسأل الإمام محمد بن اسماعيل عن الأموال التي غرقها الإمام عمر بن الخطاب من أموال بني نبهان ، ما وجه تغريقها ؟ وما هو العمل فيها ؟ وهذا معنى السؤال يتضمنه جواب الشيخ العالم أحمد بن صالح ابن عمر بن أحمد بن هفرج ، يقول فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ليعلم الواقف على كتابي هذا من المسلمين ،
أنه قد سألتني الإمام المعظم الهمام المكرم إمام المسلمين محمد بن
اسماعيل عن أموال بني نبهان ، وحوز المسلمين لها ممن تقدمه الأئمة
مثل عمر بن الخطاب بن محمد ، وكيف سبب حوزهم ؟ وهل عندك حفظ
ممن تقدم من المسلمين والأئمة الماضين أنهم بماذا أحلوها لهم ؟ وبأى
وجه دخلوا فيها ؟ أفأجيبته بما حفظته ووجدته ونظرته في ورقة فيها خطوط
المسلمين ، وفي تلك الأيام علماء وفقهاء أخيار ، نظروا في بني نبهان أنهم
أخذوا أموال المسلمين ، وسفكوا دماءهم ، وصار جميع ما أصابوه من
الأموال والدماء والمقتل ، وصاروا لم يعرفوا لكل ذي حق حقه ليعطوه
إياه ، ولم يعرفوا لها أهلا .

وقد قال المسلمون : إن كل شيء لم يعرف له أهل فهو راجع الى
الفقراء ، والإمام أولى بكل شيء مرجعه الى الفقراء من الصدقات
والوصايا وغيرها ، فهو أولى بذلك ويجعله في عز دوله المسلمين ، وبهذه
الحجة أجازوها وأحلوها للإمام عمر بن الخطاب ، فجعلت تنتقل من إمام
الى إمام الى يومنا هذا ، ولم يعب أحد ذلك ، وكان في ذلك الأوان
جمة من العلماء الأتقياء ، البلغاء الفصحاء ، فهذا حفظى عنهم ، ونظرت
خطوطهم في الورقة المتقدم ذكرها ، والحق أحق أن يتبع ، وما بعد الحق
إلا الضلال ، ولا توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، كتبه العبد الفقير تعالى أحمد بن صالح
ابن عمر بن أحمد بن مفرج بيده ، وصلى الله على رسوله محمد النبي
صلى الله عليه وسلم .

وقد أجزت للإمام المقدم الذكر أعزه الله ، حوز هذه الأموال المقدم
ذكرها اقتفاء لما تقدم من الأحكام من العلماء الأبرار الأتقياء الأخيار ،
ولا حجة لمحتج على الإمام في حوزها ومنعه إياها ، إذ هو مقتف أثر

غيره من الأئمة الماضين ، وحكم العلماء المتقدمين ، ولا عليه مطعن لطاعن ، ولا حجة لمحتج ، والسلام على من اتبع الهدى • كتبه أحمد بن صالح بن عمر بن أحمد بيده ، وصلى الله على رسوله محمد وآله وسلم تسليما كثيرا ، وسجل عليه وصححه الشيخ أبو القاسم بن شائق بن عمر بيده ، وصححه الشيخ سالم بن راشد بن خاتم ، وصححه أيضا وثبته الشيخ سليمان بن أبي القاسم بن محمد ، وحكم بصحته أيضا الشيخ خالد بن سعيد بن عمر بن اسماعيل ، وحكم بصحته أيضا الشيخ عمر بن موسى ، والشيخ راشد بن غسان •

واستمر العلماء الأبرار والقادة الأخيار كل من وصل إليه ذلك الحكم أثبتته وأمضاه وأوجب العمل به واعتمده الجماعة على التوالى ، ذلك لأن جماعة بنى نهجان خلطوا المظالم كبيرها وصغيرها أرضها وماءها ، وغلغلا وحيواناتها ، وأصولها المنقولة وغير المنقولة ، والدماء بأنواعها ، والحل والمنازل ، وكل ما يطلق عليه اسم مال ، إذا أرادوه طردوا أهله عنه ، وناهيك بأعمال خردلة في سمائل ، وقد مرت عليك الإشارة •

وهكذا كان الحال من القوم طيلة تلك المدة التى عاشها النبهانيون ، وهذا عملهم ، فلما رأى العلماء تراكم الضمانات ، وتزاحم الجنايات ، ورأوا أن انتزاع المظالم من الظالم ، وردها الى صاحبها المظلوم ، عسر عليهم معرفة أموال زيد من أموال عمرو ، واختلاف أنواع المظالم وتداخلها على بعضها بعضا جعلوها مجهولة الأرباب ، ومجهول الأرباب محل مخرجه الفقراء ، وما كان محل الفقراء من هذه الأنواع فهو راجع الى نظر الإمام فى زمن وجوده يفعل فيه ما يراه حقا ، ورأى الإمام إنفاذ تلك الأموال فى عز دولة المسلمين ، أعم منفعة وأعلى شأنًا ، وأولى مخرجا حيث عز الدولة يشترك فيه العامة من المسلمين ، فصارت تلك الأموال بيت مال المسلمين منذ ذلك العهد ، حتى الساعة •

ولا يخفى أن المسلمين لم يكونوا مختصين بهذا العمل دون غيرهم ،
فإن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أول من وضع حجر زاوية التفریق ،
ومبنى ذلك على أعمدة التحقيق ، وحكم فى عهد خلافته والمسلمون
متوافرون ، وأهل الحق من أجلة الصحابة حاضرون ، وله موالون
ومؤازرون ، ولم ينكروا شيئاً من هذا العمل ، بل رأوه حقاً وصواباً ،
وعلى ذلك بنى أئمة عمان الإباضيين المخلصين أحكام تفریق أموال الجبابرة
الظلمة ، ومازال ذلك جارياً والعمل عليه ، وقد عمل به فى المتأخرين
الإمام عزان بن قيس ، ثم تبعه الإمام سالم بن راشد ، وأقره العلماء ،
وفيه ألف العلامة أبو مالك عامر بن خميس المالكي غاية التحقيق فى
الانتصار والتفریق ، والله أعلم به •

وبعد هذا الإمام الخروصى أعنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،
عمل به الإمام محمد اسماعيل كما سوف نتقف عليه إن شاء الله •

وتوفى الإمام عمر بن الخطاب رحمه الله ورضى عنه فى نزوى •

إمامة الإمام محمد بن سليمان بن أحمد

لما انتهت الأمور النبهانية ، وتقرر حكم تغريق أموالهم ، وانطبق عليه المسلمون ، وتمت الحجة على ذلك ، اختار الله عز وجل لعبده ما عنده ، فتوفي الإمام عمر بن الخطاب ، وبقي في نفوس أهل الباطل من السوء ما بقي كما عرفت ، بايع المسلمون محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج القاضي البهلوي ، ولم يطل عهده فإنه من المحتمل أنه رأى الأمور تنتظر إليه شزرا بحيث سبق من آباءه تغريق أموال الملوك النبهانية ، والملوك مرهوبون من قبل سواد الأمة ، فاعتزل عن الإمامة أو أنهم عزلوه للأحوال التي يلاحظ وميض نارها وما كل مجتهد مصيب ، فإن من الناس من لا توأطئهم الأحوال ولا تثبت لهم بحال ، ولا سيما إذا اختلفت آراء الأنصار ، فإن الإمام بأنصاره ، أما وحده فلا يقدر على فعل تشتت في الأمة ، وهناك أحوال تتلاعب فيها الأهواء والأمر لله .

إمامة عمر الشريف

من الأمور التي يقف لها الانسان حائرا مثل إمامة محمد بن سليمان الأنف الذكر ، وإمامة عمر الشريف فإنهم لم يعرفوا بهذا الرجل ولا بلقبه المشار اليه ، ولا ممن هو من القبائل ، وعلى الأقل من أى البلاد هو حتى يعلم عنه شئ يحسن السكوت عليه ، وأقام عمر الشريف فى إمامته سنة كاملة ، ثم لما خرج من نزوى الى بهلى ، بايع أهل نزوى إماما بعده ، وهذا ليس من الحق فى شئ ، فإنه كان قصر أو رأوه عاجزا عليهم أن يتقوه وإلا فعليهم أن يحتجوا عليه ، ويبينوا له وجه الأمر الذى يعده ، فيقتنع ويكون لهم معذرة عند الله وعند العباد ، أما كون إمامهم خرج الى بلاد لإصلاح أحوالها ، فلا يعلم إلا وإمام آخر قام عنه .

فهذا الحال شبيه بلعب الصبيان لا يرضاه الدين ولا الإيمان ، ومن العجائب أنهم لما تركوا الإمام محمد بن سليمان بن أحمد الذى اعتزل عن الإمامة ، رجعوا إليه فبايعوه مرة أخرى ثم لم يعرف ماذا صار عليه ، فلم يذكروا من أحواله شيئا ، ولعلمهم ذكروا فضاع المذكور كما ضاع الكثير من التاريخ العماني ، أما كون الأمور على هذا الشكل ، فمن القبائح التى ليتها لم تكن ، فإن هذا العهد تبص فيه نار النباهنة تحت الرماد .

إمامة أحمد بن عمر بن محمد الزنجي

لما انتقض بناء إمامة محمد بن سليمان المفرجي ، وإمامة عمر الشريف ، ببيع بها أحمد بن عمر الزنجي الجهلوي ، ولم يذكروا عنه شيئاً إلا أنه مات ، ولم يذكروا في أى تاريخ مات ، ولعله مات حتف أنفه قبل أن تكون له أحوال ، وقبره بنزوى ، هذا الذى ذكروه عنه فقط والله أعلم بما هناك •

إمامة الإمام أبي الحسن بن عبد السلام

إن أبا الحسن كان من نزوى ، وكانت نزوى تضم كنوزا من أهل التقوى ، ورجال الدين والإيمان ، ومنهم ابن أبي الحسن بن عبد السلام ، ولآبائهم ذكر في أهل الفضل بنزوى ، ومضى لابن الحسن في إمامته سنة واحدة ، فخرج عليه سليمان بن سليمان النبهاني •

قلت : هنا يتبين ما توخيناه من عزل الإمام محمد بن سليمان ، وعمر الشريف ومن بعدهما ، فإن الوميض النبهاني يلمع تحت الرماد باتقاد ، وله من أهل البغى أعضاء ، ومن الجهلة والعوام أنصار وأجناد ، ولم يبينوا عنه شيئا ، والذي يفهم من الأحوال أن السلطان عادت له قوة طرد بها ابن عبد السلام ، وتولى الأمر واستأسد ، ولم تقم لابن عبد السلام قائمة ، فإنهم ذكروا عن سليمان المذكور بعد هذا القيام الذي قامه على أبي الحسن بن عبد السلام ، هاجم امرأة من أهل نزوى خرجت لفلج الغنق حيث اعتادت النساء يخرجن لحوائجهم فيه ، فما شعرت إلا وهذا الظالم وراءها ، فهربت من الفلج عارية تستجير وتستغيث ، ولا يقدر أحد أن ينجيها مما يدل على تسلط سليمان بن سليمان مرة أخرى •

ولم يعتبر بالحال الذي صار عليه ولم يتعظ بما وقع من الإمام عمر ابن الخطاب ، حتى تجرد له محمد بن اسماعيل كالمخاطر بنفسه ، فصرعه على الأرض حتى تقر المرأة المسكينة الضعيفة من هذا الجبار الذي يتهجم عليها كالجمل الصائل بئس الفعل وبئس الرجل •

إمامة الإمام محمد بن اسماعيل الحاضري

إن الإمام محمد بن اسماعيل بن عبد الله محمد بن اسماعيل الحاضري ، وهو معروف بالنسب المذكور في التاريخ العماني ، فلا حاجة الى إيراد نسبه هنا فهو من قضاة بن مالك بن حمير ، كان هذا الرجل بطلا ملأه الله إيماناً ، وشد قلبه وأيده بروح من عنده ، ومن ينصر الله حقاً ينصره الله على أعدائه .

رأى محمد بن اسماعيل تلك الضعيفة التي لا مجير لها من هذا الجبار الذي هتك سترها وانطلق وراءها جهاراً ، عند هذا فضل محمد بن اسماعيل رحمه الله الموت على الحياة لأنه يعلم أن الرجل غير تاركه حياً ، ولكن من حسن الحظ أن أنعش الله أهل الإيمان ، فقاموا عند محمد بن اسماعيل قومة رجل واحد ، فتداركوا الأمر قبل استئصال الخطب ، ورأوا جرأة محمد بن اسماعيل يخوله الإمامة ، فإن الإمامة من شرطها الشجاعة ، فلا إمامة لجبان ، وكان محمد بن اسماعيل يسكن الحارة الغربية من سكة باب مرار ، لا كما يقول ابن رزيق كان من أهل أزكى ، وأن محمد بن اسماعيل لما صرع السلطان سليمان بن سليمان جرد له خنجره وذبحه .

وقال الإمام رحمه الله : وسبب اختيار المسلمين له أن سليمان بن سليمان هجم على امرأة تغتسل بفلج الغنق ، فخرجت من الفلج هاربة عنه عريانة ، فجعل يعدو في أثرها حتى وصل حارة الوادي ، فرآها محمد بن اسماعيل فخرج اليه وأمسك عنها وصرعه على الأرض ، حتى مضت المرأة ودخلت العقر ، فظلى سبيله ، فعند ذلك فرح به المسلمون لما رأوا من قوته للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فنصبوه إماماً ، وذلك في سنة ست وتسعمائة .

وقام هذا الإمام بعمان قيام الأئمة الكرام والسادة الأعلام ، وآمنت

البلاد في أيامه ، واستراحت الرعية طيلة أعوامه ، وذلك توفيق من الله عز وجل ، والله يؤتي فضله من يشاء والله ذو الفضل العظيم •

لما تمكن قدم إمامة محمد بن اسماعيل نظر في أحوال الجبابة وأعمالهم ، وكان قد عرف عمل الإمام عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ، فحكم بتغريق أموال بنى رواحة الذين دخلوا في أعمال سليمان المذكور ، وقادوه على الناس في الفتن الآتفة الذكر التي كان يمارسها سليمان ، وولده سليمان في أهل عمان ، وقادوا أيضا مظفر بن سليمان ، حكم الإمام محمد بن اسماعيل بتغريق أموالهم بسفك دماء المسلمين ، ونهب أموالهم ، وهتك أعراضهم ، وكان العلماء إذ ذاك متوافرين ومتناصرين ، يؤيدون الحق على الباطل ، ولا يباليون عندما يجدون سئوح الفرصة لهم •

صفة الحكم في أموال بني رواحة

اعلم أن الإمام عمر بن الخطاب ، نظر الى الجبابة من نبهان ، وأن الجرائم التي إقتترفوها تختص بهم ، إذ هم الفاعلون حيث لهم السلطان ، ولم ينظر الى من كانوا لهم أعوانا ، ولا شك أن لهم أعوانا يقومون بأمورهم ويمثلون لما يرومون فعله ، وما من دولة إلا ولها رجال هم يدها الباطشة ، وهم عينها الباصرة ، وهم لسانها الداعية ، ولكن لم يلتفت الإمام عمر بن الخطاب إلا الى الملوك المذكورين •

والتفت الإمام محمد بن اسماعيل الحاضري الى الأعوان ، ومن بينهم بنور رواحة الذين قادوا سليمان النبهاني ، ومظفر بن سليمان ، وكانوا لهم سهاما على عباد الله ، وكانت الواقعة الكبرى بينهم بحميت من وادي بني رواحة ، وحميت هي التي تسمى الآن الجنة ، وهي الواقعة التي انهزم فيها الإمام ، ثم تلاوم المسلمون وتراجعوا فصالوا على النباهنة ، ومكثهم الله من خضد شوكتهم ، وكسر أسنتهم ، وغل أيدي الضلال بذلك الحكم الذي حكم به علماء دولة ذلك الإمام ، فأمضاه الإمام المذكور •

وهذا الإمام محمد بن اسماعيل يتم العملية فيغرق أموال بني رواحة ، وهي التي في الجنة وهي أموال معروفة عند أهل عمان ، ولكن لطول العهد وتبدل الأحوال ، وتلاشي الأمور بانحلال السلاطين المذكورين ، رجعت أموال بني رواحة إليهم ، ولعل بعض الأئمة رأى من الصلاح إرجاعها إليهم في مقابلة استقامتهم له ، فإن لكل دولة رجالا ، وهذا مالا يختلف فيه أهل العلم ، فإن الإمام اذا رأى من قوم استقامة له

أن يخصهم من بيت مال المسلمين لما يراه من مصلحة المسلمين ، ولكل وقت سياسة ، وكم مال رد لأهله في عمان بعدما صار عليه القهر من حاكم مصلح في الأمة ، بل ومن جائر أيضا اذا رأى صلاحه في تقريب قوم وإبعاد آخرين •

ولكن بقى الفرق بين نظر أهل الفضل وغيرهم ، فقبض الإمام محمد ابن اسماعيل أموال بنى رواحة وأضافها الى بيت المال واستغلها طيلة إمامته ، وكذا الأئمة بعده • وحكم هذا الإمام في إبطال بيع الخيار •

صفة الحكم في بيع الخيار

لا يخفى أن أئمة عمان مازالوا ولا يزالون مع مقتضيات الشريعة يراعونها في أدنى النقاط فضلا عن أكبرها ، ولا غرض يههمم إلا إجراء أحكام الشريعة في مجاريها مهما كانت ، ومن حيث إن بيع الخيار فيه عك لا تزال معروفة ، والعلماء فيه على طرفي نقيض منهم المثبت ومنهم المبطل ، ومنهم المتوقف ، ولذلك عقد الإمام محمد بن اسماعيل رحمه الله مؤتمرا للنظر في هذا الأمر ، واجتمع معه العلماء ، فكتب كتابا بين فيه رأيه في هذا البيع كما في الأثر ، إنه لما كثرت معهم المعاملات من الربا والفساد والحيل ، فصاروا يظهرن أنهم يتابعون بيع الخيار ، ويجعلونه تغطية على ما أسسوه وأرادوه ، ليكون لهم حلالا في الحكم الظاهر ، وباطنهم الزيادة للدرهم ، وأخذ الثمرة على قدر ما يسلمون من الدراهم ، اذا قلت الدراهم أخذوا له قليلا ، واذا كثرت أخذوا له كثيرا ، والمراد بكثرة الدراهم وقتها أنه اذا كان البيع معقودا بمائة ريال أخذوا غلة من البائع ، بقدر المائة المذكورة ، واذا كان البيع مثلا بألف ريال أخذوا من البائع غلة بقدر الألف ، ولا يريدون مالا مهما كان ، وإنما المراد غلة الدراهم والمبيع حيلة بينهم فقط ، فلا يراعون كثرة المبيع وقلته ، وإنما الذى يراعونه نفس الغلة ، وليس القصد بذلك العقد الأصلى ، وإنما اذا رأوا المدة التى جعل الخيار فيها قد قاربت أن تنتهى زادوا مدة أخرى ، ويتظاهرون بذلك كحسن خلق ورأفة بصاحب المال ألا يفوته ماله فكأن المال باق له ولم يخرج عن ملكه ، وهم يمتصون دمه ، إذ يقوم هو بمصارف المال ، وما يحتاج إليه من مغارم على أنه ماله ، وهم يأخذون غلته سالمة لا شئ عليهم فيها •

والمراد بالمال عند العمانيين في مثل هذا المقام الأصول ، سواء كانت نخلا وهي المراد عند الإطلاق ، أو مياها أو أرضا أو مباني ونحوها ، فيبيعونها بالإقالة لمدة سنوات على هذه الشريطة المذكورة ، وربما عقد الشارى مع البائع الغلة أن تكون كذا وكذا عددا أو نوعا ، وهذا كله حرام محض ، إذ هو ربا في نظر الشرع لأن المقصود غلة دراهم معروفة ، وهى باقية في مال البائع ، والأقل منهم من يسلم الثمرة للشارى ، فيتناولها غلة له والمال في يد البائع ، وفشا هذا الحال بين الجهال وأهل الباطل ، واستمرعوه ولا يباليون ، وقد صرح الأثر المنقول أن البيوع على ما عقدت عليه في الأحكام ، وعلى ما أسست عليه في الحلال والحرام .

فلما رأى المسلمون والمراد بهم أهل الفضل الذين هم الحجة في الأرض ، أهل هذا الزمان همجا رعاء لا يتقون الحرام مع ما يحتاجون اليه من المكتبة والإشهاد ، خافوا أن يحاط بهم ، وأن يقعوا جميعا في المعصية إن لم ينهوهم عن ذلك ، ويكونوا كمن قال الله فيهم : (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا ما يفعلون) .

العلماء يجتمعون لمراجعة آثار المسلمين في هذا الصدد

لما كثر القيل والقال في هذا الصدد ، اجتمع المسلمون الموجودون في ذلك العهد لمراجعة آثار السلف الصالح ، وما قرره العلماء في مثل هذا البيع المشار إليه ، وهم المشايخ الفقهاء الاجلاء ، ذين هم القدوة إذ ذاك ، وفي مقدمتهم مداد بن عبد الله بن مداد العقري النزوي ، والفقهاء عبد الله بن محمد بن سليمان عمر النزوي ، والقاضي أبو غسان بن ورد ابن أبي غسان البهوي ، وعمر بن زياد بن أحمد البهلوي ، ومحمد بن أبي الحسن بن صالح بن وضاح المنحى ، وجماعة آخرون ممن كان من أهل العلم عند الإمام العادل الكامل العاقل محمد بن اسماعيل - نصره الله - بقرية نزوى ، وطالعوا الآثار ، رأى الواردة عن أهل العلم السابقين والأئمة الماضين ، المسندة الى سيد المرسلين نبينا محمد ، صلى الله عليه وآله وسلم ، الوارد بها الوحي المبين عن رب العالمين ، فوجدوا فيها أن غلة بيع الخيار حرام ، فحكم الإمام رحمه الله ومن معه من العلماء المذكورين ، والفقهاء المشهورين بتحريم غلة بيع الخيار ، وبفساد البيع أيضا ، وأن ذلك أقرب للتقوى وأصح في التقوى ، وأسلم عند الله من البلوى لقوله عليه الصلاة والسلام : « من أجبا نقد أربا » .

وهكذا ما كتبه الإمام محمد بن اسماعيل رحمه الله في ذلك ، بعد ما صح معه الدليل ، واتضح لديه السبيل ، قال :

بسم الله الرحمن الرحيم ، لما كان في نهار الأربعاء لست ليال خلون من شهر جمادى الآخرة أحد شهور سنة ثمان وعشرين وتسعمائة ، قد صح الحكم الصحيح الثابت الصريح من الإمام العادل ، إمام المسلمين محمد بن اسماعيل ومن حضره من المسلمين ، وما أجمعوا عليه ، بأن غلة بيع الخيار لا تجوز ، وأنها حرام وأن المراد بها الثمرة ، وأنها ربا ، ووافق ما نهى عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم « من أجبا فقد

أربا » ، وقد جاء الأثر عن عمرو بن علي في قول المسلمين في بيع الخيار ، أنه غير ثابت وهذا قول من لا يراه ثابتا ، فإن الأصل عنده فيه أن هذا بيع وقع على الثمرة لا على الأصل ، ومثل هذا لا يصح في حكم المسلمين ، لعل عديدة تتناول هذا البيع بالفساد ، وليس محل بسطها ، وقد ألفت فيه رسالة خاصة سميتها « توضيح المنار في إبطال بيع الخيار » ، وذلك في أيام الصبا ، وأوردت فيها أقوال العلماء والأحاديث الروية في هذا المقام ، مع شرح لمعانيها وبيان محل الاستدلال بها ، فكانت رسالة جامعة ، وأصبحت الآن لا أعلم عنها أين صارت ، والله حسبي ونعم الوكيل ، أحتسب عنده أجرها ، فإن العناء والتعب الذي ألاقه حال التأليف كبير ، إذ لا مساعد ولا فراغ ، وإنما هو صراع للحياة ، والله ولي التوفيق •

وإنما بيع الخيار حيلة على تحليل الغلة ، بل لا أقول على تحليلها إنما هي حرام ، وما كان حراما في نظر المسلمين لا يزال حراما الى يوم الدين ، وكذلك يقول العلماء الذين يقولون بتحريم هذا البيع وتحريم غلته ، قالوا : لما صح عندنا أن بيع الخيار المراد به الثمرة حينئذ قلنا بفساد ذلك البيع ، وكان هذا المقال موافقا لنهي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في قوله : « من أجبا فقد أربا » ، والدليل على هذا ما صح عندنا من قوله : إنهم جعلوا هذا البيع طريقا يتوصلون بها الى تحليل الثمرة على الجملة من قولهم ، وأظهروا هذا البيع على تغطية مالا يجوز ، أى تستروا بذلك في الظاهرة عن إشاعة ركوب المحرم ، فكان قولهم هذا موافقا للرجل الذي تزوج امرأة في السريرة تحليلا لمطلقها ، أو كالرجل الذي كان في نيته في بيع باعه مكوكا بمكوكين ، أو تمرا بحب ، أو حبا بتمر ، ثم أظهر ذلك عند عقدة البيع أنه بدارهم ، أو كالذي يخطف امرأة في السريرة ، فأظهر أنه قد عقد عليها نكاحا وأنه قد تزوجها ، وما يجيء بحق هذا وهذا كله ، فقد قيل : إن النيات من المهلكات وهن المنجيات ، وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إنما الأعمال بالنيات

ولكل امرئ ما نوى » وقال عليه الصلاة والسلام : « نية المؤمن خير من عمله ونية الفاجر شر من عمله » •

لما صح عندنا أن المراد بالبيع الخيار الثمرة ، وإنما جعلوا هذا طريقا فيما عزموا للتغطية على تحريمها ، والدليل على فساد هذا : أن كل هذا البيع وقع لنخلة فكانت الثمرة لربها ، وإن كان البيع المراد به الثمرة فقد وافق هذا البيع قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « من أجبأ فقد أربأ » فهذا أحد وجوه الفساد في ذلك •

والوجه الثانى : مثله ، كمثل رجل تزوج امرأة ثم طلقها ثلاثا فتزوجها لاستحلالها لزوجها الأول ، أى ليحللها لزوجها الأول ، فهذا مما قال بفساده المسلمون على الزوج الأول والزوج الثانى •

والوجه الثالث : رجل وافق رجلا على شراء حب أو تمر من عنده المكوك بمكوكين ، أو تمرا بحب ، أو حبا بتمر ، ثم أشهد على نفسه بدراهم فهذا أيضا حرام لما كان فى السريرة من الفساد ، قال : فهذا قولنا فى بيع الخيار والله أعلم •

هكذا جاء الأثر كتبته كما وجدته منها ، وهذا تقرير الإمام لهذا المكتوب ، يقول رحمه الله : نعم ما كتب على فهو من إملأى ، والحق أحق أن يتبع وما بعد الحق إلا الضلال ، وكتبه الله سبحانه الإمام محمد ابن اسماعيل بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل الحاضرى بيده حامدا لله وحده ، ومصليا مسلما مستغفرا •

وهذا تأييد العلماء إذ ذاك لهذا الحكم ، يقول الشيخ مداد بن عبد الله بن مداد بن محمد : صحيح ما حكم به الإمام من تحريم غلة بيع

الخيار ، فهو الحق والصواب موافقا لآثار المسلمين من السلف ، وبذلك جاء الأثر وعليه العمل ، كتبه العبد الفقير مداد الخ •

وبمثل ذلك أيضا قال الشيخ محمد بن أبي الحسن بن صالح بن وضاح نضا بعينه ، وكذلك أيضا الشيخ العلامة عبد الله بن محمد بن سليمان ، وكذلك عن الشيخ العالم أبي غسان بن غسان بن أبي غسان ، ويمثل ذلك النص أيضا كتب الشيخ العلامة عبد الله بن عمر بن زياد بن أحمد ، ، وكذلك أيضا كتب الشيخ العالم أحمد بن مداد بن عبد الله بن مداد ، وكلهم على عبارة واحدة ، وكلهم بنص في عبارته بعدل الإمام محمد بن اسماعيل •

وإذا كان هؤلاء العلماء الأجلاء يشهدون لهذا الإمام بالعدل ، فما وجه ما يقوله بعضهم من أن الإمام محمد بن اسماعيل له أحداث استوجب بها البراءة ، وأحمد بن مداد بنفسه يصف الإمام محمد بن اسماعيل بالإمام العدل ، ثم يعود يقول إن لمحمد بن اسماعيل أحداث استوجب بها البراءة عنده ، من ذلك أن جبي الزكاة من رعيته بالجبر من غير حماية منه لهم ، وغير منع من الجور والظلم •

قلت : إن صح ذلك فمن لمحمد بن اسماعيل أن يقوم به على ردع أهل الجور والظلم ، وقوته يستمدتها من أنصاره الذين هم حجته على عدوه ، وكيف تتسنى لمحمد بن اسماعيل الحماية ولا مال بيده إلا الزكاة ، والزكاة لا ينالها إلا بالجبر من أهل الأموال ، ولا مال له بنفسه ، ولو كان له مال أيلزمه أن ينفقه في تقويم دولتهم ؟ وهل المسئولية عليه أكبر من المسئولية على أنصاره ؟ أما علموا ما قام به محمد بن اسماعيل في

اعتراضه لذلك الظالم الذي يطارد المرأة في الشارع ، وهي كما في بعض
القول عارية ، ولا يقدر أحد أن يجيرها منه ، فتجرد هذا البطل لذلك
الجبار ، ولا بد أن يكون متوقعا للخطر منه ، وقد عرفت أعمالهم في أهل
العلم والفضل ، وعرف ظلمهم وجورهم ، ومتى يمنع محمد بن اسماعيل
الناس عن الظلم والجور ، وهذا حال أنصاره ، واليك سرد الأحداث
المشار إليها والتعليق عليها •

الأحداث المردودة على الإمام محمد بن اسماعيل

لقد عرفت ما قيل آنفا إن الإمام محمد بن اسماعيل جبي الزكاة من رعيته بالجبر من غير حلية منه لهم ، وغير منع من الجور والظلم ومنها جبر رعيته على شراء الزكاة من ثمرة النخل بما تقومه عماله من الدنانير ، وأخذ تلك القيمة بالجبر منهم ، ومنها أنه جبي المعاشير غير الزكاة دنانير بقيمة ثمرة النخل من أموال رعيته بما تقومه أعوانه وعماله من الدنانير ، بالجبر من رعيته اليتامى والبالغين والأرامل وغيرهم ، لنفسه وعماله وأعوانه وأضيافه وعياله هدرا وقرضا بالنية .

ومنها أنه جبي الخراج وأخذ الكسرة وهي المعرم المقدر للجباية من أموال رعيته بالجبر على الخوف ، وخشية الظلمة على دولته ونفسه ورعيته وأموال رعيته اه .

هذا ما عده عليه المنتقد لأعماله ، ولا شك أنه ليس الجبر كالمعاينة ، فإن أولئك الرجال هم المبتلون بما هنالك ، أما شراء الزكاة من النخل بما تقومه العمال ، فإن كان هؤلاء العمال أمناء ، واتفقوا على تثمين الزكاة فهذا وجه يجوز بحسب ظاهر الحال ، وقد أجازته العلامة الخليلي للإمام عزان بن قيس رحمهما الله ، وعمل به في عهدنا الإمام محمد بن عبد الله الخليلي رحمه الله ، ولم ينكر عليه أهل العلم الذين هم في منزلته العلمية ، وهم كثيرون ، يضييق المقام بذكرهم فردا فردا .

وإذا اتفق العمال وأهل الأموال على ذلك ، جاز إجبارهم في تسليم ما اتفقوا عليه حقا لله عز وجل ، لا سيما لتقويم دولة المسلمين ، وإذا لم يجبرهم بعد الاتفاق ، وأصروا على عدم التسليم ، فماذا يصنع بهم ؟ ولا يتصور الإجبار إلا بعد الإصرار ، والعمل ما داموا أمناء الإمام فهم أمناء المسلمين ، لأن من تحت راية العدل فحكمه العدالة ، ويجب أن يحسن به الظن ، والمعاشير التي يذكرونها إن كانت هي المعروفة

بالعشور التي تؤخذ من المبيعات بالأسواق فهي حق المسلمين ، تكون كأجرة على استعمال أرض المسلمين ، أى أرض بيت المال ، وهذا أمر جار لا سيما في مواضع الخراج •

ولا شك أن ما وجب في الأموال عم الكل ، فاليتامى والأرامل والغياب ونحوهم كلهم في ذلك سواء ، وقولهم : وجبى الخراج فإن ما حل لغيره من الأئمة فله أيضا حلال لا فرق بينه وبين غيره ، هذا إذا احتاج ، أما إذا أغناه الله فالزكاة لا حق له فيها ، وإنما شرعها الله لأصناف مخصوصين ما لم يكن الإمام أحد الأصناف المذكورين ، وإذا احتاج الإمام الى الزكاة كانت حاجته مقدمة على حاجات الفقراء والمساكين ومن إليهم نزل الإمام منزلة المسلمين كلهم لينظر في المصلحة العامة للأمة ، أما أخذ الكسرة التي تجعل للجباية دفاعا لشرمهم ، فالإمام حاشاه أن يرضى بأخذها ، اللهم إلا إن كانت مما احتمل الحق والباطل ، ولم يترجح أحدهما على الآخر ، واضطر لأخذها جاز له أخذها للضرورة ، ولاحتمال أن تكون حقا ، وليس كسرة يتولاها الجباية تكون حراما ، فلعلها كسرة كانت لوجه بر ، فتولاها جبار حائزا لها عن أهلها الذين وضعت لهم ، فاذا جاء الإمام المحق حق له أخذ ما وضع لوجه بر ليصلح به شئون المسلمين •

ولا شك أن بقاء دولة المسلمين أولى من ذهابها ، ولا شك أن الدول تحتاج الى المال ، فما كان لفقراء المسلمين وما أخرج لوجه ، وحتى الكفارات التي يوصى بها المكفرون اذا رأى الإمام الحاجة إليها فهو أولى بها من غيره لصيانة دولة المسلمين ، ومن ذا الذي يبيع ماله لينفقه على إمام المسلمين ودولته • بل الأمة بطبيعتها تطالب الإمام لينفق عليها وهذا هو المعروف غالبا من أحوال الأمة • وهذا الإمام الحضرمي رحمه الله يقول :

كل من طالبت منهم قال لى
كم لى وكم لابنى وكم لامراتى
حتى اذا ما قلت أبشر بالعطا
انهض وشمر قال قبلاهاتى
هذا هو غالب حال الأمة إلا ما شاء الله •

قال الإمام رحمه الله وهو يذكر أحمد بن ممداد الذى يعد على الإمام الأحداث : « وقد أطل في الاستدلال على أبطال هذه الأثياء بأمر مسلمة عند الفريقين » أى هى بحسب ظاهرها لا تبعد عن منهج الحق ، ولكن لا بد أن للإمام فيها وجهها هو أحق ، لأنهم وصفوه بالعدل ، فهم مجمعون على عدالته ، ومتفقون على صحة إمامته ، وأى إمام سلم معهم من الانتقاد منذ الجلندى بن مسعود رحمه الله •

قال الإمام : وما أدرى ما يقول المنتصر له في بعض هذه الأمور ، فإنها لا تخرج على شىء من أقوال المسلمين ، قال : ولعلم ينكرون وقوع ذلك منه ، وكان هذا الإمام السالى رحمه الله ، أشار الى ذلك أول الكلام حيث قال : وكان أحمد بن ممداد يذكر لمحمد بن اسماعيل أحداثا استوجب بها البراءة عنده ، وكان غيره من بعض معاصريهم يعتذر لمحمد بن اسماعيل في ذلك ويحتج له بحجج لا يسلمها أحمد بن ممداد ، ويقول هنا أيضا : ولعلم ينكرون وقوع ذلك منه ، ويحتجون للبواقي بالترخص ببعض الرأى المأثور عن المسلمين ، لأجل الضرورة اليه • قال : أما الجباية والخراج فلا يجتمعان أصلا ، ليس للإمام أن يجبى أرضا يأخذ الجبار خراجها إلا اذا حماها ومنع الجبار من خراجها ، ورفع اليد عن مظلماها ، وأنصف بعضها من بعض ، فما هنا تطيب له الجباية بالقهر ، لأنه قد حماها وأقام فيها العدل ، وكذلك أخذ العشور من الأموال التى لا زكاة فيها ، فإن ذلك لا يجوز ولا يقبل الرأى ، فإن صح هذا أن أحدا فعله واستتب فلم يتب ، فإنه يكون خليعا أى اذا كان إماما

وقارف ما منعه منه الشرع ، واستتیب من ذلك الذى فعله ولم يتب ، فقد ركب محجورا تسقط به إمامته لأنه يصير عاصيا محتاجا لأن ينتصف منه •

قال الإمام : لكن لا يكون ذلك بالدعوى خصوصا على الأئمة ، فإنهم أعظم حرمة • قال : وأما القرض فقد احتج له من احتج ، ورخص له من رخص ، لأجل الخوف على الدولة ، ولا يرى ذلك الفقيه أحمد بن مداد ، وأنه كان يبرأ من العامل والمرخص •

قلت : ليس له أن يبرأ ممن عمل بما رآه المسلمون واسعا فى الرأى فيما يصح فيه الرأى ، قال : وأما الخرص للثمار ، فإنه وإن كان الأصحاب على غيره فلا يخرج عن دائرة الرأى ، لكن جبر الرعية على تسليم الدنانير عن الزكاة المخروصة فى رؤوس النخل شيء لا يجوز •

هذا تحرير المقام فى هذه القضايا التى ابتلى بها الأئمة فى معاناة أمور الأمة ، إن أقدموا على شيء تدعو اليه الأحوال الضرورية فوقفوا من جهة من ابتلاهم بالأمر ، أو من أمثالهم ، وإن سكتوا أصيب الدين والدنيا بجبار لا يردعه دين ولا ضمير ، ولا يتجنب أى مركب يجده ، فتذهب بذلك دولة المسلمين ، وينهار صرح الدين ، والأمر لله •

وقد عاش الإمام محمد بن اسماعيل الى سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة ، فكانت إمامته ستا وثلاثين سنة ، وبعد موته حالا بايعوا ولده بركات •

الإمام بركات بن محمد بن اسماعيل

لما قضى الله على الإمام محمد بن اسماعيل في التاريخ المذكور بنزوى ، وكان في مقدمة العلماء اذ ذاك العلامة عبد الله بن عمر بن زياد الشقصي النزوى ، ومحمد بن أحمد بن يفسان ، فقام ضده الفقيه أحمد ابن ممداد ، لأنه لم يرض إمامته ، وطعن في إمامته ، وعلى كل حال إن الطعن في إمامته طعن في العاقدين عليه ، وتبرأ ابن ممداد من هذا الإمام ، وممن نصبه لأنه ليس بولى عنده ولا بأهل للإمامة ، وذلك لولايته لأبيه على أحداثه التي ذكرها عنه وأنه عمل بأحداث أبيه من بعده ، وقلده في ذلك .

هذا هو جرم بركات عند هذا الفقيه ، وهنا سوف تتكشف المصائب التي يقع فيها الناس ، ويتلاشى بها الدين الحنيف ، وتعود الأمور الى شر ما عاد ، وهذا الذي نشير اليه ، ولكن لا راد لأمر الله عز وجل .

بقى بركات في إمامته عند المرتضين له حتى سنة ٩٦٤ أربع وستين وتسعمائة ، وفي هذه الآونة عادت السلطة النبهانية تعود سيرتها الأولى ، فإنه سيأتى أن سلطان بن محسن بن سليمان بن نبهان ، تولى نزوى في هذا التاريخ ، وذلك لاختلاف الكلمة والأمر لله عز وجل .

فكانت إمامة بركات يقرب عهدها من إمامة أبيه ، إلا أن أباه كان إمام عمان كلها ، وكانت شوكة الجبابرة منكسرة ، ودعوتهم خامدة ، ولكن نتيجة للخلافات التي أتت هنا مكنت النبهانية العودة الى معاهدها .

إمامة عمر بن القاسم الفضيلي

عندما سخط الشيخ الفقيه أحمد بن مداد على بركات ، ورأوا أن الأمور الآن ميسورة ، ومتناولها قريب ، وإقامة إمام يرتضى ضد إمام غير مرتضى كذلك ، بايع هذا الفريق الساخط على بركات عمر بن القاسم المذكور ، فقام هذا الإمام في عهد بركات ، وبقي الناس بين إمامين متضادين متخالفين متخاصمين ، وأحزابهما معهما ، وكل يرى صاحبه البطل والآخر المحق .

وقال الإمام ، وغيره من أهل العلم : إن أحمد بن مداد يثنى على الإمام الفضيلي ويحمد سيرته ويتولاه ، قال الإمام : وذكر غيره أي ابن مداد أن المسلمين رضوا إمامته ، قال : ولم يؤرخوا وقت بيعته ولا وقت وفاته .

قلت ، ولا ذكروا شيئا من أعماله وأين بويع وأين حل ؟ وماذا فعل ؟ فإن هذا الوقت رقصت فيه أيضا إمامة أخرى ليتم ما قضى الله في غيبه ، فإنهم بايعوا في هذا الأثناء عبد الله بن محمد القرن ، وكأنه واسطة بين الفضيلي وبركات والله المستعان .

إمامة عبد الله بن محمد القرن

قام فريق يرى له في النظر ما ليس لغيره فقدموا عبد الله بن محمد القرن من العنصر الهنائي ، ولم يذكروا ماذا فعل الإمامان القائمان قبله ، ولا ما آل إليه أمرهما ، وهذا من البلاهة . بمكان يعرفه كل انسان ، وهنا ترى ثلاثة أئمة في بلد واحد ، وفي مذهب واحد ، وحوزة واحدة ، والأثر يقول :

وباطل سيرة فيها الإمامة في
اثنين لو بلغا في المجد ما كمالا

وأنت تدري هنا ثلاثة أئمة في عهد واحد ، إنها لمصيبة تقضى على الدين كما أشار الى ذلك القرآن حيث يقول : (ولا تنازعوا فتفشلوا) وأي تنازع أكبر من هذا ، وأي فشل مما وقعوا فيه بعد ذلك ، إذ أدبيل الجبابرة مرة أخرى وضعوا أيديهم على ما شاءوا ، وكانت البيعة لعبد الله بن محمد القرن في منح يوم الجمعة لخمسة عشر يوما من رجب سنة ٩٦٧ سبع وستين وتسعمائة ، وكأنه خرج من منح الى بهلى ، فدخلها لليلتين بقيتا من هذه السنة ، أي بعد مضي خمسة أشهر وثلاثة عشر يوما منذ وقعت له البيعة ، فأخذ بهلى من آل عمير ، وكان آل عمير قد اشتروا حصنها بثلاثمائة لك من محمد بن جيفر بن علي بن هلال الجبري ، وكان محمد بن جيفر المذكور قد أخذ هذا الحصن بالغلبة من عامل بركات ، وهذا يدل أن محمد بن جيفر عارض بركات حين رأى الأمور تسير على ورائها ، وإذا هبت الرياح العواصف قام كل أحد يلتقط نصيبه ، فمن العامل بركات أن يكون معه وبركات نفسه .

ولا شك أنه عندما يتبعثر الأساس ينهار البناء طبعاً ، قال الإمام :
وكان دخول آل عمير حصن بهلى يوم الثلاثاء لتسع ليال بقين من جمادى

الآخرة سنة ٩٦٧ سبع وستين وتسعمائة ، فما لبث آل عمير في بهلى إلا يسيراً حتى أخذه منهم عبد الله بن محمد القرن ، وفي ليلة الأربعاء لثلاث بقين من رمضان سنة ٩٦٨ دخل الإمام بركات بن اسماعيل حصن بهلى ، وأخرجوا منه عبد الله بن محمد القرن ، وبنصب الأئمة في وقت واحد تشنت الكلمة ، وتفرقت الجماعات وضعفت دولة المسلمين ووهت قوتهم وطمع فيهم من كان لا يطمع •

تفرق ملك عمان الى رؤساء متعددين

لا يخفى أن المتنازع في الأمر داع للفشل ، ومسبب للوهن ، وما زالت علة المسلمين في دينهم تفرقهم ، واختلافهم في الأمور واجتذابهم لأمراس الشقاق ، وأخذهم يمينا وشمالا ، وقد قرأت في هذا التاريخ أحوالا من ذلك ، وعلمت ما صار إليه أمر المفرقين ، وما انتهى إليه الحال ، وقد التأم حالهم حين اجتمعوا مع الإمام عمر بن الخطاب ، فنصرهم الله عز وجل حتى سحقوا دولة السلاطين النباهنة ، وتمكنوا من خضد شوكة البغى ، وقطع شأفة الفساد ، ثم تراهم سرعان ما اختلفوا في أمرهم ، وراحوا ينصبون الأئمة ويتجادبون الأمور ، ويتخاذلون فيما بينهم ، وكل فرقة ترى الحق لها ، وترى أنها أولى بالأمر من غيرها . وبهذا الحال أصبحوا في انحلال ، فتراهم يبابيعون إماما ثم لم يشعر إلا وإمام آخر يقوم خلفه ، وبذلك تفككت القوى ، ووهنت الأمور ، وأصبح العدو يطمع في القهر على أهل الحق ، فكانت العاقبة غير محمودة ، والله يقول لنا في كتابه العزيز : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) أى قوتكم ، وحكمة الله بالغة ، ودعوته نافذة ، ولو أغضى المسلمون لشر رأوه مخافة الوقوع فيما هو أضر ، لكان أولى بهم وأبقى لدولتهم الا ترى أنهم لما غاضبوا عمر بن عبد العزيز وخرجوا عنه على الحال الذى رأوه لامهم إخوانهم ، وما زالوا يلومونهم الى الآن ، وكذلك الحال فى قضية خازم ابن خزيمة مع الإمام الجندى رحمه الله ، وإن كانوا رأوا أمرا يوجبه الشرع ويقتضيه الدين ، فالشرع والدين يدعوان الى ارتكاب أخف الضررين وقول الحكيم :

إن الكريم اذا ألم بجسمه
مرضان مختلفان داوى الأخطرا

فالتغاضى والاحتمال لأمر فى مصلحة أعلى منه وأنفع وأولى ، وهذا شىء قرره القرآن والسنة والمعقول ، ولكن اذا حل القدر عمى السمع

والبصر ، وصغار العقول هم الأكثر واليهم يرجع السواد الأعظم ،
فيرى الأقلون أنهم مغلوبون فيخضعون لما يرون ، وبهذا ينزل الضعف
على الجسم الإيماني وتسرى ناره فيه والأمر لله ••

وفي هذه الآونة ثارت الروح النبهانية الى العرش العماني مستغلة
ذلك الافتراق ، وما خرج عنها قام له آل هلال رهط الجبور وآل عمير ،
وللهديفي نصيبه ونصيب آخر لرجال آخرين من هناة بن مالك ، والداهية
هي البرتغال إذ ذاك ، جاءت تسحب قواتها وتجر جحفلها لتأخذ نصيبها
من الملكة العمانية ، فإنها دخلت وآن حصادها ، فهذا لاقط وهذا
شارى ، وهذا بائع ولكل درجات مما عملوا ، فكان الإمام بركات بن
محمد بن اسماعيل في الوجود ، واسم الإمامة مرقوم على صحيفة إمامته
والقوم يقتسمون الملكة ، فكان في هذا الأوان لسلطان بن محسن بن
سليمان بن نبهان ملك نزوى وتوابعها ، وكان لفلاح بن محسن ملك ينقل
وما يتبعها ، ولعرار بن فلاح ملك بهلى وتوابعها ، وكان لمهنا بن محمد
الهديفي ملك صحار وما إليها ، وكان لعرار بن فلاح ملك الظاهرة ، وكان
ينوب عن سليمان بن مظفر في بهلى ، وكان لعمير بن حمير ملك سمائل
وتوابعها ، وكان لمالك بن أبي العرب وهو جد الإمام ناصر بن مرشد ،
وهو من العنصر النبهاني ملك الرستاق ، وكان لنبهان بن فلاح ملك
القنيات •

وتولت البرتغال الساحل ، هذا مال ملك عمان في هذه الآونة التي
أعقبت خلافات أهل عمان فيما بينهم ، وتلاعبوا بنصب الأئمة كما بيناه
أنفا والله عز شأنه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم •

بقي هؤلاء الأمراء والرؤساء يتزعمون الملك ، وكل واحد منهم يرى
أنه الأحق بالملك والأولى بالسلطان ، واختلفت الأهواء ووقع الذل المرير
على أهل الفضل في عمان ، وكاد سلطان المسلمين لا يبقى له أثر ولا تقوم
له قائمة في هذا العهد ، والله أمر هو بالغه وإن رغم أنف الدهر •

ذكر ملوك النباهنة المتأخرين

اعلم أن النباهنة المتأخرين هم أحفاد النباهنة الأولين ، بقيت في نفوسهم دعوى الملك وأحقيته دون غيرهم ، لأنهم أبناء السلاطين المتقدمين ، وقد اقتسموا الملك كما بيناه ، ولكن مازال بينهم تنافس ، ومازالوا يلتمسون الغفلة من بعضهم البعض فاذا أمكنتهم الفرصة اغتتموها وإن لم تمكنهم نكصوا على أعقابهم ورجعوا الى مراكزهم ، وأول هؤلاء الملوك بحسب المعروف سلطان بن محسن بن سليمان بن نبهان •

الأمير سلطان بن محسن بن سليمان وأولاده الثلاثة

خرج هذا السلطان على الإمام بركات بن محمد بن اسماعيل بمن معه من الناس الذين تسوءهم وطاة الإمامه ، ويرون السلطنة أولى بالأمر ، لأنه لا ينال معها ما لا يناله مع غيرها ، فتملك نزوى سنة ٩٦٤ وبقي عاضا عليها بالنواجذ ، وعاش في ملكه تسع سنين ونزوى هي كرسى عمان الداخلية كما سبق الكلام عليها ، وكان هذا السلطان حجر أساس النبهانية الثانية ، وبعد موته كان له أولاد كان المقدم فيهم مظفر بن سلطان ، وهو الذى تولى الأمر بعد موت أبيه ، وكان الحصة الثانية فى بناء هذه الزعامه النبهانية ، فكانت نزوى فى يده إرثا له من أبيه ونصيبا من ملك عمان ، وما تبعها فى ذلك الوقت منوطا بملكها ، وكان ثانى أولاده طهماس ، وثالثهم سلطان بن سلطان ، وكلهم يحاولون أخذ الأنصبا ، لأنهم هم الخيرة فى الأمة ليس لأحد حق فى السلطنة غيرهم .

وهذا طبيعى فى الناس والذين لهم عناصر . مسلطة لا يزالون يطمون بالسلطة ، ويحاولونها بما عز وهان ، ويرتكبون من أجلها المخاطر ويبدلون عليها النفس النفيس ، جبا للعاجلة وترفعوا على الغير ، وإن لهم فى ذلك شئشنة لا تبرح من نفوسهم ، ولا يزال أحدهم يراها له ويفاتل عليها أباه وأخاه ، وقد أعماهم الجهل عن الواجب الأخرى والملك الأبدى الذى ينبغى التنافس فيه .

فلاح بن محسن بن سليمان

بعد موت سلطان بن محسن تولى الأمر مظفر بن سلطان ، ولم يترك لأخوته رأيا فى الأمر إلا أنا لم تطل أيامه فمات وخلف ولدا صغيرا اسمه سليمان لا يصلح للقيام بأمر الملك ، وكان فلاح بن محسن عم أبيه مالكا لحصن مقنيات ، وقيل إنه هو بناه وشيد أركانه •

قال ابن رزيق حميد ، وهو يذكر فلاح بن محسن : هو الأكثر منهم جودا وسياسة ، وكان مسكنه مقنيات من أرض السر والصواب من أرض الحجر بحسب عرف أهل عمان ، قال : وهو الذى بنى حصنها السامك فسماه الأسود : وهو حصن عال على مرتفع منيع ، وكان لفلاح هذا نوع اهتمام بالغراس والزراعة ، وهو الذى جلب شجر المانغا لعمان ، وهى الشجرة التى تسميها أهل عمان الأمبا ، ويسميها أهل شمال الباطنة الهمبا بقلب الهمزة هاء غرسها فى مقنيات ، فقتسامع بها أهل عمان فتهافتوا على جلبها ، حتى فشت بعمان كلها إلا ما شاء الله •

وكان فلاح محبا للأدب العربى خصوصا الشعر ، وكان موسى بن حسين بن ثوان شاعرهم الخاص ، كان كثيرا ما يمدح فلاح بن محسن وبنيه وبنى عمه ، وكان له فيهم ديوان شائع عند أهل عمان يتداولونه ويعرف بالكيداوى عرفا عاما أو بالكيدا تشبيها بالكاذى الشجر العطرى المعروف للطافته ورقته ، ومدحهم الكثير من أهل عمان من أهل هذا الفن فأجازوهم وأعطوهم وكانوا لا يحتجبون عن وارد ولا عن صادر ، بل يدخل عليهم من شاء متى شاء ، ودخل عليه فى وقت جلوسه رجل من أهل الأحسا ، فاندھش ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لكل داخلى دهشة • فأراد أن يسأل طعاما لفرسه ، وبدھشته تلك قال

أريد خيلا لقتى ، والقت هو البرسيم وهو الفصفصة أو القصفصة القت
اليابس ، ثم انتبه فأعاد قائلا أريد قتا لخيلى ، فقال فلاح أعطوه قتا
وأعطوه خيلا ، وأعطوه مالا وكسوة كما هي عادات الملوك فى إكرام
الوافد ، وخالفه أهل وادى بنى خالد من شرق عمان ، واعتزموا بالجبال
الشاهقة المنيعة ، وأصروا على خلافهم فجهز لهم جيشا خضما سحبه من
ظاهرة عمان الى شرقيتها ، فدخل الوادى ولم تمنعه الجبال من الدخول ،
وقد ذكر القضية الشاعر المذكور كما هي فى قصيدته النونية التى يقول
فى مطلعها :

عرج فهذى رسوم الأثل والبان

ومنها :

واسأل معلمها اللاتى خلت وعفت
عن بها كان من حى وجيران
منازل قاضها حكم الزمان من الـ
بيض الحسان بأرام وصيران
كم قد سحبت بها ذيل الشباب وكم
فى سوحها صدت من عين وغزلان

الى أن قال :

شعر يردد معنى البديهة فى
عليا فلاح يحاكى لفظ سحبان

ثم سار فيه يمدحه الى أن عاد الى وصف الجيش :

وأقبلت من نواحي الأرض مقبلة
تأتى اليك السرايا يا ابن نبهان

حتى نهضت بجيش والملوك به
موفون من آل قحطان وعدنان (١)
وسرت بالجيش من بهلى الى سمد
الى سياق الى صور فجعلان (٢)
جيش به مالك الرستاق ما
لك مشهور الثنا في بنى نصر بن زهران (٣)
وناصر وعدي والفتى سند
بنو شماس سليل القرم سرحان
والمرغان القنا في كل معركة
بنو ربيعة والندب بن شيخان
وآل عمرو مع الصدان قاطبة
في آل دهمش في جند ابن جيلان
وآل وحشى جميعا في عطارفة
من آل يشكر ومن آل غيلان
وآل صلت وهم أهل العناد وهم
فيه وفيه بنو ذهل بن شعيان
وفيه آل عمير يقدمون على
صواهل ضمير تهوى بفرسان
وفيه آل عزيز مع بنى عمر
مع آل حمير مع عبس وذبيان

(١) أشار به الى الامراء الذين في الجيش .

(٢) وأراد بسياق سيق من هذه الناحية .

(٣) وكان سلطان الرستاق معه وهو مالك بن أبى العرب .

وغافر وشكيل الصوارخ هم
في الروع أثبت من أركان ثملان
وآل عبيرة في ابنا عدى وبنو
هناة هم خير أنصار وأعوان
وآل محرز أرباب العلاء وبنو
يطاش أهل النهى والأمر ، والشان
وفيه آل شهيم جملة وبنو
حبس هم في التلاقى أسد خفان

وهكذا مريصف ذلك الجيش الى أن قال :

جيش يععب مثل البحر متلط
سم التيار بالموج في بيد وغيطان
حتى فتحت به شم المجادل من
وادی بنى خالد من بعد عصيان

وكانت هذه القضية ألبست هذا السلطان تاج الشرف وأخضعت
أكثر أهل عمان وأبدت هذا المليك على خصومه حيث هي أكبر حادثة
في تاريخه .

ولما مات سلطان بن محسن سنة ٩٧٣ وكان ولده المظفر أكبر
إخوته تولى الملك بعد أبيه ، وفي ابن رزيق أن الذي تولى الملك بعد فلاح
ابن محسن ولده عرار بن فلاح حتى توفي بتاريخ عشر خلون من شهر
الحج سنة ٩٩ ولعله بعد تسع مائة وتسع وتسعين وأنه لم يمكث في الملك
إلا مدة شهرين وفي قول آخر : أن مظفر بن سليمان هو الذي تولى
الملك بعد فلاح بن محسن ، وهو الذي بقى في الملك شهرين فقط ، وفي
تحفة الأعيان : توفي سلطان بن محسن ليلة الاثنين لاثنتي عشرة ليلة

بقيت من ربيع الآخر سنة ٩٧٣ ، وترك ثلاثة أولاد وهم طهماس وسلطان
ومظفر •

وكان المظفر هو المتقدم عليهم في الملك الى أن مات وترك ولده
سليمان صغيرا لا يقدر على القيام بأعباء الملك ، وكان عم أبيه فلاح بن
محسن مالكا حصن مقنيات ، فلما علم بموت مظفر جاء الى بهلى وأقام
مكانه •

قال الإمام : ويقال إنه عدل في ملكه وكانت مدة ملكه عشر سنين
ثم مات وملك بعده سليمان بن مظفر الذي سبق الكلام عليه ، وهو ابن
اثنى عشرة سنة واستولى على الأمر في عمان ونواحيها ، وأخذ خراج
أهلها من الطائع والعاصي والداني والقاضي • قال : وحاربه أهل نزوى
وكان معهم جبرى يقال له محمد بن جيفر ، وعنده جيش عظيم فتآمر
عليه النبهانيون والتفوا عليه من جميع النواحي فقصوا عليه •

عرار بن فلاح

بعد موت فلاح تولى الملك ولده عرار بن فلاح بن محسن ، وكان على وتيرة أبيه فلاح فى الاخلاق والاعمال والكرم العربى وخصال الملوك ، ولم تكن فى أيامه حروب بعمان مما يذكره التاريخ ، وكان ممدوحا من ألسنة الشعراء على اختلاف أحوالهم ، وكان عرار ملكا له فى الملك صوت عال فى الافق العمانى ، ولموسى بن حسين شاعرهم فىه مدائح طويله عريضة تدل إن دلت على شىء فعلى الكرم وحب الثناء ومن اراد أن يعرف مقامه فليلتسه من شعر شاعره •

قال ابن رزىق : مضى على طريقة أبيه فى الكرم وحسن الخلق ، وكان عرار المذكور أحد أركان الحرب عندما دخل محمد بن جيفر الجبرى نزوى ، فقام عليه سليمان بن مظفر ، وعرار بن فلاح ، وناصر ابن قطن حتى قتل محمد بن جيفر فى الواقعة ، وعقب محمد بن جيفر ولدا اسمه محمد بن محمد وأمه بنت عمير بن عامر ، ففترجها سليمان ابن مظفر وشغف بها ، فكان يركن اليها ببادية الشمال شتاء ويتولى أمر بهلى عرار بن فلاح ، ويقال هو الذى بنى الركن الشرقى من حصن بهلى وزخرفه ونظمه ، وكان يعرف بحصن عرار بن فلاح ، وكان ملك الظاهرة ولخزوم ملك ينقل ، وكل واحد من هؤلاء يروم الاستبداد دون أبيه وأخيه أن لو ساعدته الأقدار ، فهم أبناء عم أقارب ، وهم من ناحية الملك أباعد وأجانب ، إذ كل واحد يرى أنه الأحق بالملك من غيره كما قالت بنو اسرائيل ، لما قيل لهم : (إن الله بعث لكم طالوت من ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه) فهذه الأحقية لاتزال ضاربة أطنابها وواضعة دعائمها فى أدمغة الانسانية ، وأين هم من نفس تحييبها خير لك من إمارة لا تحصيها •

العجم يهاجمون صحار

في هذه الأثناء كانت صحار بيد مهنا بن محمد الهديفي ، والعجم بجلفار فتحركت العجم لاحتلال صحار من مهنا بن محمد المذكور ، فلما علم مهنا بن محمد عما يرومه العجم ، استجاش سليمان بن مظفر ، فلباه سليمان بجيش جرار وعسكر ضخم ، ونزل معه صحار فوصلت العجم بعدها وعديدها على طريق البحر ، فنشبت الحرب بين الفريقين ، وكانت حربا حامية أثارها العداء الخالد بين الطرفين ، ودارت الدائرة على العجم فانهزموا شر هزيمة أرجعتهم الى ورائهم ، وتبين منهم في الحال عدم الحراك ، فرجع سليمان بن مظفر الى بهلى وهي عاصمة المذكور ، ومعه بنو عمه وهم عشرة ، وإخوته اثنان وهما نبهان ومخزوم ، وأولاد فلاح كان المقدم عليهم كما سبق عرار .

وباستقلال مخزوم بملك ينقل بقى عند سليمان بن مظفر من بنى عمه حمير بن حافظ وأولاده الأربعة : وهم حافظ وسلطان وكهلان وهود ، ومن بنى عمه مهنا بن محمد بن حافظ ، وعلى بن دهل بن محمد بن حافظ ، وكان لسليمان المذكور همم غير هينة وله صولة جبروتية مزوجة بالدم النبھاني .

سليمان بن مظفر وأعماله الفاشمة

كان سليمان كما قدمنا عنه جبارا زاد في جبروته وعتوه انتصاره في الحركات التي رت ، وكان له وزراء في القرية وفي أزكى وفي سمد الشبان ، يديرون أعماله ويقومون بأوامره ولا يباليون بما يدخلون فيه من أعماله ، نظرا الى دولته وكانت سمد الشبان للجهاضم من آل مالك بن فهم ، وهم سكانها ، وكان سليمان جائرا عليهم ضاغطا عليهم يعاملهم بالإهانة التي أوجبت خروجهم من بلادهم وتفرقهم في نواحي بلاد عمان ثلاثين سنة ، وهم على هذا الحال لا يقدرون على الرجوع الى وطنهم ، وعلى ذلك يلتمسون المخرج من بليته ، ويرومون القيام عليه وأخراجه منها ، وعلى الأقل على القرار في بلادهم ، وكان بنو هناة من أنصار سليمان هم المقدمون معه ، وهم يده اليمنى التي يتناول بها وبقية الناس يده اليسرى •

وكان يقود بنى هناة خلف بن أبى سعيد ، وسيف بن محمد بن أبى سعيد ، وكانا عنده قدوة أهل زمانهما فافترقوا فيما بينهما ، بسبب شقاق وقع بين بنى معن وبنى النير ، وكلاهما من آل مالك بن فهم ، وسبب الافتراق امرأتان تخاصمتا على شىء يسير على الحشيش من مال بنى النير ، فتضاربتا ثم كانتا سبب الفتنة والافتراق ، فانحاز بنو النير الى بنى هناة ، ورجع بنو شكيل وبنو معن الى سليمان بن مظفر ، فعند ذلك سار خلف ابن أبى سعيد الى داره دار سبت ومعه بنو عمه وكان سليمان بن مظفر في هذا العهد بالبادية الشمالية •

ولما علم سليمان بن مظفر أرسل الى وزيره الذى فى القرية ، وهو محمد بن خنجر ، أن قل لخلف يترك شأن القوم ، أى لا يتدخل فى الأمر ، فأبى وأظهر أنه يريد الإصلاح بين بنى معن وبنى النير ، ولعله يريد أن يجمع شملهم ليكونوا عوناً له ، لأنهم من العنصر الهنائى ، فأرسل محمد

ابن خنجر الى سيده سليمان بن مظفر أن خلفا لم يقبل ما أمرت به ولم يكف عن التدخل فيما بين القوم ، فأرسل سليمان الى وزيره المذكور أن افعل في أموال بنى هناة من القرية من كدم ، وكانت أموال للشيخ خلف بن أبي سعيد ، فوَقعت العداوة والبغضاء بين الشيخ خلف هذا وسليمان بن مظفر ، وتعكر الصفو واغبر الأثق ، فاشتد الشيخ خلف على تدمير أمواله ، وأمر بنى عمه على غزو بهلى ، فغزوها فقتلوا منها ناسا ، فكتب الوزير بذلك الى السلطان سليمان بن مظفر وأعلمه عن الواقع ببهلى .

فلما بلغ سليمان ذلك انتقل من الشمال الى بهلى ، وأراد الصلح بينهم وبين بنى هناة فلم يقع فإن العداوة قد ضربت أطناها بين الفريقين ، وضرب الشيطان مخيمه ، فيهما كل فريق همته لحرب الآخر ، فجمع سليمان الجموع وهيا جنده وعساكره لقتال بنى هناة ، فلما تحقق الشيخ خلف الأمر أرسل الى عمير بن حمير ملك سماءل وتوابعها يستنصره على سليمان بن مظفر ، فسار عمير بن حمير ناصرا للشيخ الهنائي حتى وصل غبرة بهلى ، فالتقاه سليمان فوَقعت الحرب ساعة واحدة بين الزعيمين ، وبعدها رجع كل الى عاصمته (١) وكان الأمير عمير بن حمير ترك للشيخ خلف من قومه حامية في دار سبت خوف الهجوم من سليمان بن مظفر ، وكان هذا الأمير موصوفا بأخلاق حميدة ، وبحب الخير أكثر من حبه للشر .

وفي هذه الآونة رأى الفرصة لإرجاع بنى جهضم المتفرقين في بلدان عمان ، المشتتين في النواحي ظلما وعدوانا بغير حق ، فأرسل اليهم فجاءوه ، وأرسل الى سلطان الرستاق وهو مالك بن أبي العرب جد الإمام ناصر بن

(١) الذى يظهر من السياق أن الامر عمير أخضع سليمان وتأخر عن استمرار الحرب ، ولذلك ترك حامية عند الشيخ خلف خوف أن يتحرك سليمان على الشيخ خلف بعد خروج لأمير عمير بن حمير فليُنظر في ذلك .

مرشد ، وكان ذا مكانة بين أمراء الوقت ، ولعله لأجل الرستاق ، فجاهه وبصحبته أبو الحسن علي بن قطن ، ولما وصل سلطان للرستاق المذكور تقاهم هو والأمير عمير بن حمير في شأن الجهاضم ، وما هم عليه من النذل والهوان الذي ألقاه عليهم سليمان بن مظفر ، وبعد ذلك خرجوا بهم الى سمد الشان فأقروهم في بلادهم وأيدوهم وناصروهم وأمدوهم بالمال والرجال ، وبنوا لهم مباني تحفظ كرامتهم من الامتهان وحلول الهوان .

وكان إذ ذاك العمانيون وحدهم في داخليتهم ، وترك معهم الأمير عمير بن حمير بعض رجاله وما يحتاجون اليه من الطعام وآلة الحرب التي في وقتهم ، ورجع الأمير الى سمائل والسلطان الى الرستاق .

الصراع بين عمير بن حمير النبهاني أمير سمائل والسلطان سليمان بن مظفر

لما رأى سليمان بن مظفر أن مالك بن أبي العرب قام عوناً لعمير ابن حمير في إرجاع الجهاضم ، الذين شرد بهم سليمان وأجلاهم عن أماكنهم ، أضمر العداوة للملك وللأمير عمير ، واستمرت الحرب بين بنى هناة وسليمان بن مظفر ، فقام الأمير والسلطان وتوجها إلى نزوى ، ولعلهما يظهران إرادة الصلح بين الطرفين ، فنزلا نزوى وسليمان بن مظفر في بهلى ، ولما فرءا في بهلى قام أهل محلة عيني من الرستاق ، فأخرجوا وزير السلطان من عيني وأرغموه على الخروج منها ، فأرسل إلى سليمان بن مظفر يطلب النصرة منه ، فأعانه ببعض قومه ، وقد سر سليمان بذلك ، فأرسل عرار بن فلاح قائداً لجيشه ، فلما بلغ ذلك السلطان أشغل باله ، فهم السلطان مالك بالعودة إلى الرستاق ، وإذا بالأمير عمير يجاذبه ويرى تأخيره وينوه له في التأخير بأنه من صالحه ، ولعلها سياسة منه •

وهنا استجاش بنو هناة بعمير بن حمير وأشاروا عليه باحتلال بهلى له من سليمان بن مظفر فلبى دعوتهم ، ولما قرب من بهلى ، واستقر بنزوى فسار إليه الشيخ سيف بن محمد الهنائي من بلده دارسيت ، إلى نزوى وجرى بينهما عتاب اقتضاه الحال ، وأخيراً قال الأمير عمير لسيف بن محمد : خذ من الرجال ما شئت ، وسار بهم إلى دارسيت ، وبقي الأمير بنزوى ينتظر ماذا يكون •

فلما بلغ خبرهم سليمان بن مظفر وأنهم ربما يطاولون القرية أو سيفم أو بهلى ، فعند ذلك قام سليمان ورتب رجاله على الجهات الثلاث ، وكان ذا حزم وعزم ، وأقام له بناء على رأس فلج الجزيين حتى لا يتأمل عدوه تدميره ، وكذلك قبض الخضرا وحارة الغاف وجامع بهلى

ومعهم حمير بن حافظ ، وكان ابن عمه عرار إذ ذاك في الرستاق في نفس عيني منها ، فسار سيف بن محمد من دارسيت الى بهلى عنما رأى أن قرى سليمان بن مظفر تفرقت ، وأنها بتفرقتها يهون عليه صراعها ، فدخل بهلى من الجانب الغربي حيث تسوروا السور ، وتمكنوا من الدخول من غير أن يشعر بهم أحد ، فهنا قسم سيف بن محمد جيشه ثلاثة أقسام : قسما على اليمين : وقسما على الشمال ، وقسما على الوجه ، وهى التى تواجه الجامع من البلاد ، وأحكم أرساده ، ورتب مقابضه فى الأ لكن التى يرى لها النفوذ فى البلد ، وحاصر الجامع ومسجد بنى عمر ، وجميع أبواب العقر ، وما بقى لسليمان بن مظفر شئ من البلد إلا الحصن والخضرا ، ودارت رحى الحرب بين الفريقين ، فكان القتل مسلطا على قوم سليمان بن مظفر ، فأخذ جانبا منهم بل قتل أعيانهم فى تلك الليلة التى كان دخول سيف بن محمد فيها ، وعلا صوته فى البلاد ، ونادى بالأمان فى البلاد ، وكان الكثير من أهل البلد لها يرون من ظلم سليمان بن مظفر .

ولما وصل الخبر الى الأمير عمير بن حمير بنزوى ، ركب بمن بقى معه ومعهم الأمير سلطان بن محمد ، والسلطان مالك بن أبى العرب ، وعلى بن قطن وأهل نزوى ، وسار الشيخ خلف بن أبى سعيد الهنائى من دارسيت بمن عنده أيضا من الرجال ، نصره لأصحابهم ، وكان دخولهم ليلا ، ونزل الأمير عمير بن حمير بحارة الغاف ، وكانت الخضرا فى يد السلطان سليمان بن مظفر ، وبها رجاله ومعهم على بن ذهل ، فأرسل إليهم الأمير عمير ليخرجوا بما عندهم من القوة ، فأقبل على ابن ذهل على قومه يحرضهم على القتال ، فلم يرمهم التفاتا الى ما يقول ، وهموا بالخروج ، وإذ ذاك بلغ الخبر عرار بن فلاح وهو فى عيني من الرستاق ، فنهض بمن معه ومن قدر عليه ، ونزل القرية وكانت إذ ذاك فى أيديهم .

وكان الأمير عمير بن حمير وسيف بن محمد قد سيطرا على بهلى ونواحيها إلا الحصن ، وهم يحيطون به من كل الجهات ، وقد أحكموا رصدهم حتى إنهم وضعوا في شجرة الصبار التي في السوق برجا من خشب ، ورموا منه رجالا في الحصن فقتلوا عليهم ، وكذلك قوم الأمير بنوا برجا بالجامع فضرب صاحب البرج رجلا في داخل الحصن ، ثم زحف القوم على الحصن فقتلوا جانبا من سور الحصن ، ليدخلوا منه على من بالحصن فصدتهم عسكر سليمان بن مظفر ، ثم إن العسكر رأوا سلامتهم في الخروج فخرجوا بعد ثلاثة عشر يوما ، وطلبوا من الأمير عمير بن حمير أن يسيرهم بما عندهم ، وسير معهم وزيره ، ثم طلع سليمان مظفر وبنو عمه وعسكره مسيرين من بهلى الى القرية ، وذلك أنه رأى الخلل في قومه ، وأيقن بالغبلة ، فلما نزلوا القرية خرج هو وعرار بن فلاح الى الظاهرة ، فعند ذلك أمر الأمير عمير بن حمير بقتل الحصن فقتل ، ولم يتركوا منه جدارا قائما على الأرض ، وإذ ذاك جعل عمير خلف ابن أبي سعيد واليا على بهلى من طرفه ، ورجع هو الى سمائل فبقى خلف ابن أبي سعيد في بهلى أربعة أشهر حتى ليلة ربيع الأول سنة ١٠١٩ تسع عشرة وألف سنة .

لم يشعر خلف بن أبي سعيد إلا وسليمان بن مظفر وابن عمه عرار ومن معهم يدخلون الحضرا وهم في العقر ، وكان سيف بن محمد وهو ومن معه من أعيان الرجال في السر من الظاهرة ، فأرسل سليمان بن مظفر لخلف بن أبي سعيد ليخرج من بهلى ، ويسيره بما عنده من عدة ، فعند ذلك استشعر العجز ، ورأى أنه خارج راض أو كاره ، فعول على الخروج بأمان من سليمان ، وخرج معه من شاء الله من أهل البلد الذين تظاهروا بالعداء لسليمان ، ولما علم سيف بن محمد وعلم الأمير عمير ابن حمير جاء كل واحد منهما بما معه من قوة ، فأما الأمير عمير حالا هاجم القرية فاحتلها وسلمها لسيف بن محمد ، ورجع هو الى نزوى وبقى بها أياما يفكر في الأحوال التي هم بصددتها .

وبعد أيام توفي سليمان بن مظفر ، وكان له ولد صغير السن ، فملك من بعد عرار بن فلاح ، ثم قام سيف بن محمد الى نزوى يطلب المعونة من الأمير عمير بن حمير ، فلبى طلبه وأعطاه رجالا من جيشه ، فدخل بهم القرية وبقي فيها سبعة أيام ، وبعدها هاجم بهم محلة أبي مان من بهلى ويسمونها الآن محلة بيمان ، وهناك أحاط بهم عرار بن فلاح وحصرهم مدة أيام ، ثم طلبوا منه الأمان وأن يسيرهم بما عندهم من المتاع وآلة الحرب ، وبقي له حصن القرية ، وكان ذلك في السادس من صفر ١٠٢٤ ٠٠٠ للهجرة ، وتمام هذه السنة توفي عرار بن فلاح في خصوص الحادى عشر من شهر الحج من نفس السنة ، وملك من بعده مظفر بن سليمان ، وبقي في الملك مدة شهرين فقط ، وتولى الأمر بعده مخزوم فلاح ، وبقي في الملك شهرين فقط أيضا فخرج عليه نبهان وسيف ابن محمد الهنائى فأخرجاه من الحصن على شرط لا يخرج من الحصن بسلاح ونحوه ، فرأى لابد له من ذلك أى من امتثال الأمر ، فخرج مرغما الى ينقل ، فتولى أمرها مدة وأقام ببهلى نبهان بن فلاح ، واستوزر فيها ابن عمه على بن ذهل ، ثم أخرجه وجعل بدله سيف بن محمد ، وراح هو الى عاصمته مقنيات ، ثم طرد ابن عمه من بهلى وهو سلطان ابن حمير ، وذلك لأنه خافه عليها ، فراح سلطان بن حمير الى صحار ، وتولى أمر بهلى سيف بن محمد •

ثم ثار الأمير عمير بن حمير على بهلى فمنعه سيف بن محمد فرجع الى نزوى ، وكانت نزوى تحت سلطته طيلة هذه المدة ، وهو يرتب أمور الهجوم على بهلى ، وكان رجلا ذا تدبير وسياسة وله عقل غير هين ، ولسا رأى الفرصة مواتية دخل العقر من بهلى ولم يعلم به أحد إلا وهو متمركز فيها ، وكان سيف بن محمد في بلده دارسيت ، فهجم على بهلى ودخل الحصن ، لأن الحصن فيه قومه ويدهم أمره ، وهنا أرسل الى نبهان بن فلاح يطلب الى بهلى ، وأنها لاتزال بيده فظل نبهان يجند الجنود قصدا الى بهلى ، وأخذ في الاستعداد لأن عمير بن حمير أحكم

مقابض البلاد ، فأنى له الدخول على هذا الحال ، وبقي سيف بن محمد في الحصن ، وعمير في البلاد ولم ير نبهان بن فلاح الدخول على هذا الحال ، فرأى الخروج من حصن بهلى فطلب من الأمير عمير بن حمير أن يسيره الى القرية ، فأنعم له بذلك هو ومن معه ، وبما معه أيضا من عدة ، ثم تراجع الأمير عمير بن حمير وسيف بن محمد على حسن الصحبة ولعونة والمناصرة :

والناس من يلق خيرا قائلون له

ما يشتهي ولأم المخطيء الهبل

فرأى لابد له من ذلك أى من امتثال الأمر ، فخرج مرغما الى ينفقل ، فتولى أمرها مدة وأقام ببهلى نبهان بن فلاح ، واستوزر فيها ابن عمه على بن ذهل ، ثم أخرجه وجعل بدله سيف بن محمد ، وراح هو الى عاصمته مقنيات ، ثم طرد ابن عمه من بهلى وهو سلطان بن حمير ، وذلك لأنه خافه عليها : فراح سلطان بن حمير الى صحار ، وتولى أمر بهلى سيف بن محمد •

التهارش بين أبناء العم من النباهنة

كان سلطان بن حمير ، ومهنا بن محمد بن حافظ ، وعلى بن ذهل بن محمد بن حافظ مسكنهم صحار بالقرب من محمد بن مهنا الهديفي حاكم صحار إذ ذاك ، ولعلمهم وهم بالقرب منه يحاولون فيه ما يحاولون في إخوانهم ، وكان الهديفي المذكور دواعى وبصيرة في أمره ، وذا حزم على ما في يده ، وكان الرجل يحاول الإصلاح بينهم ، وابن عمهم نبهان ابن فلاح ، فتكون له عليهم يد بذلك ويستريح أيضا من عنائهم ، إذ هم معه بصفة لاجئين ، وكان عمهم المذكور في مقنيات وهى إذ ذاك جديدة تختال في صباها عروسا رائعة ، وكان مخزوم بالقرب من نبهان بن فلاح ، إذ كان بينقل وهى أخت مقنيات ، وكلاهما فتنة المغتر ، فحاول الهديفي الصلح بين المذكورين ، ولم يتفق وأين الاتفاق وكل واحد يدعى في نفسه أنه الملك ، وكل واحد يخشى الآخر .

وفى هذه الأثناء أشيع أن سلطان بن حمير وعلى بن ذهل يرومان بهلى ، وقد خرجا بجيش ضخم وخميس جرار ، ولما بلغ هذا الخبر الأمين عمير بن حمير ، أهمه فتحرك له وجمع جموعه وخرج بعسكره من سمائل يروم بهلى قبل أن ينزل بها سلطان بن حمير وعلى بن ذهل ، وواصل سيره حتى جاء بهلى ، وكان سلطان بن حمير قد دخل حارة بنى صلت ، وكانت لها إذ ذاك أهمية ، ولما وصل عمير بن حمير وتلاه مناصرا له سيف بن محمد الذى كان واليا لبهلى من طرفه ، فدارت رحى الحرب بين الطرفين ، ووقع القتال ، واستمر الحال على ذلك ، وكل يحاول النصر له ، وكانوا أحاطوا الحارة المعروفة بمراصد مهمة ومقابض حصينة ، عند ذلك رأى عمير بن حمير أن الأمر أصبح ليس بهين ، ولذلك أرسل الى من يأمل مناصرته ، وعند ذلك أيضا لى دعوته الزعماء الميامين وهم الشيخ ماجد بن ربيعة بن أحمد بن سليمان الكندى بجماعته من سميد نزوى ، والشيخ عمر بن سليمان العفيف من سفالة نزوى ، والشيخ

سعيد بن أحمد بن أبي سعيد الناعبي مع رجال من أهل نزوى من أهل
الحل والعقد فيها •

وجاءه أيضا ناس من أهل منح ، ولما تكالموا ببهلى أحاطوا بسultan
ابن حمير في حارة بنى صلت ، وطبقوا الحصار عليها ، والقاعدة كما
قيل كل محصور مغلوب عادة ، ولما ضاق الخناق بسultan بن حمير ،
ورأى أن لا حيلة له على زحزحة هذا الحصار إلا بالإذعان والتخلي
طلب من الأمير عمير بن حمير التسيار والخروج أى الإذعان له والإذن
بالخروج من بهلى بعد ما اشتد عليه الحصار ولا يدخل عليه داخل ،
ولا يخرج من تلك الحارة خارج وتحقق الغلبة ، فسيره الأمير عمير بن
حمير بما عنده عدة وما لديه من قوة ، فتوجه الى الظاهرة واجتمع سلطان
المذكور ، وأخوه كهلان ، وعلى بن زهل ، ومهنا بن محمد بن حافظ ،
بمقنيات مدة حتى خاف منهم نبهان حاكم البلاد ، وأوجس منهم أن
يخرجوه من مقنيات ، فاحتال على إخراجهم منها قبل أن يخرجوه ،
فمضوا الى صحار لاجئين مع محمد بن مهنا الهديفى ، وظلوا معه سنة
كاملة ، وإذ ذاك عمل سلطان بن حمير حركة يشتغل بها في حال قيامه
بصحار عند الهديفى المذكور ، فأشار للهديفى أن يغزو دير عمير بن
حمير في باطنة السيب ، لأن عميرا المذكور أصبح سلطانا هاما في قلب
عمان ، ينقض ويبرم ويحل ويعقد ، ويجر الجيوش ، وأصبح مقبولا في
السواد الأعظم •

وكان بالدير الخاص عمير بن حمير أبناء عمه وهم سنان بن سلطان ،
وعلى بن حمير ، وسعيد بن حمير ، فأثر ذلك على الهديفى فثار ، ولعله
احتال عليه بأن عمير بن حمير لابد أن يثور عليك بوجودنا معك ،
ويخرجنا نحن وإياك من صحار ، والأولى أن نبدأه قبل أن يبتدىء بنا
وهو يريد أن يتذرع بالهديفى ، لأن الحركة تحتاج الى مال ولا مال
لسultan ، فركب الهديفى محمد بن مهنا ومعه سلطان في جيش كثيف من

صحار ، فسبقتها الخبر الى الأمراء سلطان بن حمير ، وعلى بن حمير وأخيه سعيد بن حمير ، وتحققوا خروج الهديفى وربعه من صحار ، قادمين لغزوهوم وما كان إلا قدرو ما يخلع الرجل نعليه أو يغسل الرجل رجليه وإذا بالقوم هاجمون عليهم ، فالتفت العساكر وسلت البواتر ، فوقع القتال بأسرع حال ، وعظم النزال حتى بلغت لقلوب الحناجر ، فانكشفت الوقعة عن قتلى عديدة من بينهم الأمير على بن حمير .

وعند ذلك انفصل القتال ورجع محمد بن مهنا ومن معه مسرعين الى صحار خوفا من مهاجمة الأمير عمير بن حمير ، إذ هو قريب منهم بسمائل ، ولما علم عما جرى على إخوته وبنى عمه بالسيف من محمد ابن مهنا الهديفى ومن معه وكان إذ ذاك وهو فى بهلى عقد عقيدة الحزم ، وامتلاء غيظا وحنقا على الواقع ، وكان الرجل ذا همة عالية ونفس سامية ، يقال إنه حلف لا يرجع عن صحار حتى يحصدهم بالسيف ، ويحرقهم بالنار ويبدد شملهم فى كل دار ، فأخذ فى جمع العساكر من عمان من حيث تصل دعوته ، وطلب ممن رجا نصرته من كل مكان ، وأرسل الى سلطان هرموز يطلب نصرته فساق اليه جيشا أرعن حملة فى المراكب محملا بالعدة الكافية من المال والرجال وآلة الحرب .

وشاءت الأقدار أن تلقى الى الأمير عمير ما أراد وما لم يرد إذ جاء مركب من الهند بعسكر كثير وقوة حربية ساقته الريح الى مسقط (١) وكانت مسقط للأمير عمير بن حمير ، ولعله جاء بطلب منه من حكومة الهند إذ ذاك وهو المتبادر ، فإن البرتغال إذا ذاك ضربوا على الهند بيد من حديد ، ويحاولون التدخل فى الخليج ، وأن هذه المبادرة سوف تمهد لهم فيه طريقا ييسر لا عوج فيه ولا أمثا .

(١) الواضح ان الامير عمر طلب من البرتغال المناصرة كما طلب من أمير هرموز ، فرأت البرتغال ان الفرصة قد حانت فخرجت بأسطول ضخم مسلح كما ينبغى .

ولا شك أن الطالب لهذه النصرة منهم هو الأمير عمير ، ولما وصل هذا المركب اهتز الأمير وتحركت نفسه ناشطة ، وما يدري أن عاقبة ذلك وضع اليد على صحار وغيرها بقوة لا يقدر على زعزعتها يوماً ما ، وهذه أول بادرة كانت يد الاستعمار تمتد بها بعمان الى ما سيأتي خبره ، وما صار اليه الأمر ولو صبر هذا الأمير على عدوان قومه ، ولم يدخل الاستعماريين في بلاد المسلمين لكان أولى ، ولكن أنفوس الزعماء الذين لا يهمهم أمر الدين ، بل يهمهم فقط أمر الدنيا ويرغبون في الاستعلاء ، على المعادى ولو بذهاب الحياة كلها ، خرج هذا الأمير بجيشه المشاعر اليه ، وعسكر بالسبب سبعة أيام يرتب الحركة القاضية ، وعند ذلك تحرك المتعصبون لمحمد بن مهنا الهديفي وفي أولهم محمد بن جيفر ، خرج بجيش لمناصرة الهديفي في صحار ، ولما وصلها استبشر به محمد بن مهنا وأدخله الحصن ، ولما اجتمعا بالحصن جرى بينهما حديث في بعض الشؤون ، وانقلب الحب عداوة ، والمناصرة شرا ، والذي في قلوب الرجال لا يحيط به إلا الملك المتعال .

عند ذلك أمر محمد بن جيفر بالقبض على محمد بن مهنا وإذا ذاك ألقى بنفسه من سور الحصن الى الخارج ، وصاح على قومه الذين في الحصن وكان بعضهم في برج داخل الحصن ، فوقع بينهم القتال ساعة من النهار خرج بعدها محمد بن جيفر بقومه من صحار ، ولم يكن يتحقق الداعي لذلك من الجانبين ، ولما وصل هذا الخبر الى الأمير عمير بن حمير توجه الى صحار بمن معه من الرجال ومالديه من القوة برية وبحرية ، وأتى صحار نهار تسعة عشر ربيع الآخر ، وإذا بمحمد بن مهنا الهديفي وربعه على استعداد للقتال ، فاستقامت الحرب على ساقها طيلة ذلك اليوم الى الليل وبعد ذلك اليوم هبطت جنود النصارى البرتغاليين من المراكب بما عندهم من آلة حربهم ، وكانوا يجرون أمامهم قطع القطن

لينتقوا بها رصاص بنادق عدوهم ، وكانت الأسلحة غير ما هي عليه الآن ،
وكانت عند النصارى مدافع تمشى معهم على أعجال الخشب في البر ،
وعليها ما بقي من رصاص العدو •

وكان بالحصن برج فيه عسكر الهديفى فجزت عليه النصارى والمدافع
وقطع القطن أمامهم ليقبهم رصاص عدوهم ، وكان الرصاص يلتوى
بالقطن فلم تكن للرصاص أهمية كبيرة ، لأنه خلاف رصاص عهدنا ،
فإن رصاص هذا العهد حتى الجبال لا تقى منه ولا يقى منه الحديد ،
فضربت البرتغال البرج المذكور ، فانهدم وخرج منه قابضوه ، فدخله
جيش البرتغال ، وعند ذلك صاح صائح العرب على البرج المشار
اليه ، وتراكضوا عليه بالسلاح الأبيض وبما لديهم من قوة فانكشفت
الوقعة عن قتل محمد بن مهنا الهديفى زعيم الحصن وحاكم صحار ،
ومعه على بن ذهل وكانت الوقعة ليلا ولما علم الأمير عمير بن حمير
بقتل المذكورين واحتلال النصارى قوى نشاطه وزاد اغتباطه
واشتد الحرب •

صحار تتعرض للدمار

لا يخفى أن الجيش المنتصر لا سيما اذا كان جيش عدو بالطبع لا شك أنه يفعل ما يهوى ويقضى كما يشاء ، بعد قتل الهديفى وقتل أعيان من حماته وأنصاره منهم على بن ذهل ، وسقوط البرج فى يد العدو ، قام عن الهديفى سلطان بن حمير بن محمد بن حافظ النبهانى وأخوه كهلان بن حمير ، وابن عمه مهنا بن محمد بن حافظ ، وعسكرهم الباقون فى الحصن •

ولما علم الأمير عمير بن حمير أن سيد القوم أى الهديفى قتل ندب قومه للقتال بكل الوسع ، فكان القتال بينهم مستمرا فى النخل وفى الطرق وفى الحوائر ، حينئذ خرج عمير بن حمير بمن معه من جهة جامع البلد ، ولم يتعرض له أحد ، وفى أثناء ذلك قتل سلطان بن حمير الذى قام بالحرب بعد الهديفى وانهزم قومه شر هزيمة ، ولم يجدوا لهم عوناً ولا مناصرة ، بل ظلوا أذلاء حيارى لا يدرون أين يتوجهون ، وشأن المنهزم هذا •

قال الإمام : صاروا شتاتاً متفرقين ، فمنهم من قتل ومن أحرق بالنار ، ومنهم من أسر ومنهم من جرح ، ومنهم من خرج ذاهباً على وجهه لا يدري أين يذهب ولا أين يتوجه ، وعلى هذا جميع أهل البلد • قال : وأحرقت البلد بأجمعها من أولها الى آخرها ، قال : وأقام النصارى فى حصن صحار ، وهذا يدل أن الجيش استباح البلد ، وأرى أهلها الهوان وشمت بهم من كان له علاقة بالهديفى وأصحابه ، ومن لم تكن له علاقة (واتقوا فتنة لا تصيبين الذين ظلموا منكم خاصة) ، بل شأن الفتنة شأن النار ، وتمركز العدو فى مركز المسلمين ، واغتنمها فرصة ليضع مخططه الذى كان يحلم به فى قهر البلاد •

وبحسب الواقع أن الأمير عمير بن حمير انتصر فى هذه الواقعة

انتصارا هائلا ، ورجع الى بلاده سمائل جزلا مسرورا ، والحقيقة ليس هو نصر مادام العدو يتركز في العاصمة لهامة صحار مركز سلاطين عمان ، وبعدها سنوالى بقية المراكز ، ولكن الآن المنتصر الأمير ، وفي هذه الآونة أصبح هو الذى له في عمان الحول والطول ، وعاث النصارى في صحار ، ودمروا المنازل وقضوا على أهلها بالفل والهوان ، وأصبح ذلك المعهد مقام حزن وعويل على من قتل من الرجال ، وأحرق من الأبطال ومن هلك على وجهه هاربا ، وإنما لن البلاد الفادحة ، ولكن المقدر لا بد من كونه والله يتولى من عباده الصالحين .

البرتغال يواصلون عملهم

لما قر البرتغال بحصن صحار ، وتولوا أمر البلد ، ورأوا أنهم أهل الحل والعقد ، وأن عمان الداخلية مملوءة خلافا وشقاقا وافتراقا وتحزبا وحنانات اغتتموها فرصة فلعبوا دورهم ، والفرص اذا لاحت يغتتمها الرجل الذمير ، فتولوا أيضا بعد صحار مسقط ، وإن كانت لا أهمية لها إذ ذاك بالنسبة الى صحار ، ولكنهم رأوا الحصن الحصين ، لما يحاولون ثم مشوا بعدها الى جلفار فتولوها ، وضربوا بأيديهم على الباب الشرقي لعمان وهو صور فتولوها ، ثم أناخوا بقريات فاحتلوها ، وأصبح الساحل العماني بأسره في أيديهم ، وأصبحت أبواب عمان التي عليها المعول تحت سيطرتهم يفتحون ويغلقون ولا منافس لهم من أهل عمان •

ومن هناك أيدوا مسقط لحصانتها وإحاطة الجبال بها ، فتولوا القسم الداخلى من أهله برغم أنوفهم ، فأحاطوه بسور لا يزال باقيا الى الآن ، وبنوا الحصنين الكبيرين على جبالها ، والثالث القلعة على سور الخندق ، وحفروا الخندق وأدخلوا فيه البحر ، وطردوا الأهالى منها إلا ما كان لا يعبأ به خارج السور ، وحصنوها تحصينا كاملا وتمركزوا فيها ، وجعلوا لها قوات هائلة ، ووضعوا فيها تجارة هامة ، وعاشوا فيها وأهل عمان فى الداخل •

وعلى أثر خروج الأمير عمير بن حمير من صحار ، كان مخزوم أميرا على حصن ينقل ، وكان سيىء السيرة فى الأهالى ، وكان قبض على رجلين منهم فأراد قتل أحدهما ، وأمر خادمه ليقتل المذكور ، فأخذ السيف ليضربه وهو يستجير ، وكان من القضاء الذى لا بد منه أن وضع مخزوم يده على فم الرجل عند الضربة الثالثة ، والخادم يرسل السيف عليه ، فأصاب السيف يد مخزوم على فم الرجل فجرح مخزوما جرحا

مات منه بعد سبعة أيام والله هو الضارب عز وجل ، والرجل المقصود بالضرب عاش بعد ذلك ، إذ مر عليه العبد الضارب ليسحبه معتقدا أنه ميت ، ورجل آخر هناك ، ولما تركه الخادم قال للرجل الآخر : ألا من يعيننى على دفن هذا المقتول ، فقال له أنا حى ، فحملة على كتفه وأدخله البلد ، فعالجه حتى صحا من ذلك ، وعاش باقى أجله .

ولما علم نبهان بموت أخيه ركب من مقنيات الى ينقل ، وترك بعض عسكره فى حصن مقنيات للحفاظ عليه ، وكانوا قد ملوه من كثرة جوره وظلمه وفساده وبغيه ، وتآمروا على إخراجهم من مقنيات ، فأرسلوا الى الأمير عمير بن حمير ، وسيف بن محمد إذ هما المنظوران بعمان وإليهما أمر الخوف والأمان ، فقاما معا ملين لدعوة المنتصر بهما ، وراغبان فى الملك ، وخرجا بقومهما الى مقنيات ودخلا الحصن ، ولم يعارضهما معارض ولا رأوا من أحد خلافا ، وبقيتا بها مدة يمهدان أمورها ، ويضعان خططهما عليها ، ثم توجهتا الى ينقل لقطع مادة الفساد التى طال ما سئم منها العباد ، فلما علم نبهان بهما خاف منهما وخرج من البلد هاربا يترقب ، ولحق بأخواله الرئائسة طلبا لنصرتهم ، أو قتل على الأقل لحمائيتهم من الأمير عمير بن حمير ومن معه ، وذلك لاثنتى عشرة من شهر صفر ١٠٢٦ ست وعشرين سنة وألف سنة .

وأقام الأمير المذكور ووزيره سيف بن محمد بينقل مدة ولم يريا حركة من أحد ، وإذ ذاك سلم الأمير عمير البلاد لأهلها ، فكانت له بذلك المنة الكبرى وزاد الناس فى حبه ورجع هو الى مقنيات وأرسل الى أهل البلد ، فسألهم عن أعمال نبهان المذكور فيها ومعاملته لأهلها ، وأجابوه بأنه كان يأخذ نصف غلة النخل ، وربع غلة الزرع .

قلت : ولعله يعتبرها بيت مال وهو الزعيم واليه أمر بيت المال ، فأسقط الأمير عنهم غلة النخل ، واكتفى بربع غلة الزرع ، وأما أموال

بيت المال فهي لمن يقوم بالحصن وشئونه ، وجعل عمر بن أبي سعيد واليا عليها ورجع هو وسيف بن محمد الى بهلى ، وفي هذه الأثناء تحرك نبهان المذكور ، واستجاش أخواله آل الرئيس، وجاء الى الظاهرة ودخل فدى وأقام بها •

ثم جاءه بعض أصدقائه في ينقل ، ولكل أمير أعوان ولكل أحد أخدان ، وحركه فتحرك وأغراه فقام وواعدوه بالنصرة والمعونة على من يقوم عليه ، فراح مع هذا الواصل ودخل ينقل ليلة النصف من ربيع الآخر من نفس السنة المذكورة آنفا ، وأحكم مقابض البلد وبذل قوته لحرصها وسورها بما استطاع أولها وآخرها إلا الحصن الذي هو قلبها ، فإنه كان في يد الذين ولاهم إياه الأمير عمير بن حمير ، وهم بنو علي وحصرهم نبهان واستقامت الحرب ونشب القتال بين الفريقين ، وفي هذا الحال خرج رجل من حماة الحصن في خفية ، وذهب الى آل قطن بن قطن وكان الأمير فيهم يومئذ ناصر بن ناصر ، واستصرخهم لنصرة قومه المحصورين بحصن ينقل فلبوا دعوته وثار معه ركب منهم يقوده محمد بن محمد بن محمد بن جيفر ، وعلى بن قطن بن قطن بن قطن بن علي بن هلال ، وناصر بن ناصر بن ناصر بن قطن بن قطن بن قطن بن قطن بن هلال ، وهم أبطال الرجال ، وكانوا ببادية الشمال ، ولما دخلوا ينقل قامت الحرب على ساقها بينهم وبين نبهان بن فلاح ، واشتد الأمر إذ كان هؤلاء مهاجمين وأولئك قابضين البلد ، ومتمركزين في حصنها ، ودارت معارك حامية وطلال لهبها وحميت نارها واشتد أوارها ، حتى ارتفع العفاج وأظلمت الفجاج ولا بد أن يكون النصر حليف طائفة •

عند ذلك رأى السلطان نبهان أن كفة القوم ترجح ، وأن ميزان نبهان يخف ، وأن نار العدو يعظم خطبها ، فانهمزم جنده وأخذ القتل منهم جانبا كبيرا حتى ضجوا وأرسلوا الى العدو المهاجم يطلبون الأمان للخروج ، وانحل أمرهم الى الدمار الساحق ، وكان سيف بن محمد

الهنائي جاء بجيشه لقتال نبهان ، فبلغه خبر خروجه من ينقل في الطريق ،
وأن الرجل قد انهار أمره وتمزق ثملته ، وانحلت عرى قوته ، فرجع
سيف بن محمد الى بهلى •

وكان الأمير عمير في سماءل يجمع الجموع ويكتب الكتائب وينظم
عدة حربه لإخراج نبهان بن فلاح من ينقل ، ولما بلغه الواقع تهيأ
لحرب بنى لك في الرستاق حيث اشتقوا هم والسلطان مالك بن أبى
العرب اليعربى ، وكان هذا السلطان هو والأمير عمير بن حمير كنفس
واحدة ، فخرج جيشه الى الرستاق ودوخ بنى لك وقر قرار السلطان
بالرستاق ، وهذا السلطان هو جد الإمام ناصر بن مرشد رحمه الله
ورضى عنه كما سوف يأتي خبره إن شاء الله •

التفرق عنوان الوهن

هذا حال المملكة العمانية في هذه الأثناء قدور على مقنيات وينقل وبهلى ونزوى وسماثل وسمد الشان والرستاق ، وهنا موطن التهارش القتال والقتال والاضطراب ، فصغرت المملكة العمانية حتى أصبحت أشبه بمشيخة قبائلية ، تتهارش على هذه الفريسة حبا للرئاسة ، ولو كانت غير كبيرة الشأن بعد ما كانت عمان تسيطر على النواحي النائية الى حضرموت والبحر الأحمر ، والى اليمامة والى البحرين كما علم ذلك مما مر ، أصبح اسم السلطنة مقصورا على هذه الرقعة التى هى قلب عمان ، فإنه في هذه الأثناء صار ملك بهلى للشيخ سيف بن محمد الهنائى ، وصار ملك سماثل الى نزوى ، وسمد الشان الى الأمير عمر بن حمير ، وصار ملك الرستاق الى السلطان مالك بن أبى العرب اليعربى ، وصار ملك الظاهرة الى آل هلال رهط الجبور ، وصار الساحل العماني من صور الى مسقط وصحار وجلفار الى البرتغال ، وهكذا اقتسم هؤلاء هذه المملكة السامية المنيعه ، وتلاعبوا فيها حتى صح على حالها قول القائل :

وتفرقوا شيعا فكل قبيلة
فيها أمير المؤمنين ومنبر

هذا ما أفضى اليه الحال العماني ، فمتى ينجلي الكوكب الدرى الذى يقضى بسعده الجامع ، على نحس المفرق ، الواقع ويجتمع الشمل ويلتئم الشعث ، وتعود المياه فى مجاريها ، انظر هذه الأحوال فصوت الحق فيها خافت ، وراية العدل فيها مطوية ، وأعلام الشر على الرؤوس لاتزال منشورة ، وأوجه العلماء غير مرئية ، ومصابيح الشريعة لا تعرف ،
إنا لله وإنا إليه راجعون .

قال الإمام رحمه الله : وخربت عمان وعاشت فيها الجبابرة ، وقل فيها العلم ، وذهب منها الخير ، وارتفعت منها البركات ، وانضمت

العلماء في بيوتها ، ولازمت سربها ، كما أمرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث قال : (فاذا رأيتهم هوى متبعا وشحا مطاعا وإعجاب كل رأى برأيه فالزم جلسا من أحلاس بيتك) .

أفضى الحال بأهل عمان في هذا الجيل المتهارش أن أمير وبل من أعمال الرستاق من اليعاربة ، ولعله من طرف السلطان مالك بن أبي العرب ، احتاج الى قاض فلم يجد قاضيا من أهل المذهب الحق ، فاتخذ قاضيا من أهل الخلاف ، فكاد أن يضل الناس ويزلهم عن مذهبهم ، وإذ ذلك قام بعض أهل الغيرة من أهل العلم فنصحوه وبينوا له مغبة الحال ، وما يتول إليه الأمر ، فاستجاب ذلك الأمير لهم ، فعزل القاضى المشار إليه ، وأرسلوا له رجلا من أهل المذهب ، فأخذ العلم عنه جملة من أهل الرستاق ، وإذ ذلك لاح للأمة وميض ضياء كان له بعد ذلك أثرا أضاء البلاد ، وأحيا أرواح العباد ، وشع له بالطرف الرستاقى نورا امتد بسلطان الله عز وجل ، وقد تعهد الله عز وعلا أن يبعث للأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ، ويحفظ لها كرامتها ، ويعيد إليها نبراس حياتها .

وكل هذه الأحوال التى نكتب عنها تحتوى على حكم إلهية ، وتمتاز فيها أعلاء بفضائل ، وتهوى بها رجال الى الحضيض الأسفل ، والله ولى التوفيق .

في هذا العهد قامت حوادث بعمان أشبه بإرهاصات النبوة ، وشهرت أحوال ذكرها المؤرخون إن دلت على شىء فإنما تدل على إشعاع سماوى يتجلى على ربوع عمان المظلمة بغيوم الفتن التى مرت ، وبظلام الشرور

التي طال ما أرخت سدولها على هذا الأفق العزيز ، والله الأمر من قبل
ومن بعد ، ونرى أن نعرض عن ذكر ما حكى التاريخ ، ونذهب الى الأهم
والله نسأله العون والرضا إنه كريم منان •

هنا انتهى الدور الذي لعبه بنو نبهان بعمان طيلة تلك المدة النائية
التي ما زالت مغطاة بغيار المظالم ، ومشحونة بالحوادث السيئة التي
تباعدت عن مقتضيات الشرع الشريف ، وأخذت جانبا قصيا عن
معالم الحق •

مقدمة العهد اليعربي بعمان

عهد اليعاربة بعمان يشكل عهدا جديدا للأمة العمانية ، حيث كانت المملكة العمانية انحطت الى الحضيض الأسفل ، وتأخرت تأخرا محسوسا ، وأصبحت كمشيخة غير كبيرة الشأن وإن انتفخت زعماءها في هذه الآونة المعلقة بانتقال الدولة الى اليعاربة ، وادعوا أنهم ملوك أو سلاطين ، والحال هم إذ ذاك كما يقول القائل :

وتفرقوا شيئا فكل قبيلة
فيها أمير المؤمنين ومنبر

ذلك لأن المملكة أصبحت نهبا مقسما واقتضرت على ما يحدث بصحار في الساحل الشمالي ، ويجعلان في الجانب الشرقي الجنوبي ، وهذه الرقعة أشبه بما ترى العين من دائرة القمر ، وإن كان إذ ذاك لا أهمية لِدُبَى ولا روح لأبوظبي ، ولكن كانت عمان الى الحسا وأليمة وحضرموت وما إليها عدا الممالك الأخرى التابعة لها ، ولكن قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (ما رفع الله شيئا إلا وضعه) وقد حكم الله عز وجل على أيام الدنيا بالتداول ، فبينما ترى قوما في الأوج العالى والمحل الأرفع ، وهم في نمو زائد مالا ورجالا وذرية وعيالا بحيث يصبحون والحال فيهم كما يقول القائل :

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم
مثل النجوم التي يسرى بها السارى

وبعد حين ترى الديار بلاقع كما قيل أيضا :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر

ولما أراد الله أن تستعيد عمان مجدها السالف ، ويعود اليها عزها أقام لها الدولة اليعربية ، فقام مجدها ، وعاد شرفها ، كما سوف يقف عليه القارئ إن شاء الله .

قال شكيب أرسلان في تعليقه على عمان بعد ما ذكر ما قبل اليعاربة قال : « ولم يتأثر الملك » وترسخ قواعده إلا في أيام ناصر بن مرشد ، وناصر المذكور هو الدعامة الكبرى في بناء الدولة اليعربية ، والحجر الثقيل في أساسها الذي تقوم عليه . وفي كلام بعضهم : أدرك الله الأمة بالدولة اليعربية ، فجاء الإمام ناصر وجمع شملها وداوى جرحها وأصلح شأنها ، وزالت بسببها النزوانية والروستاقية ، وأصبحت ذات أسطول عالمي هزم البرتغال ، وظهر الخليج من الجنوب الى الشمال ، وأعاد لعمان الشرف الباذخ والمجد الشامخ ا هـ .

قال شكيب وهو يصف الإمام ناصر : كان من نبعة عربية صريحة ، ومن أقدم الأرومات الإباضية ، قال : ولما استلم ناصر الزمام كانت بعض المدن المحصنة في الداخل بأيدي زعماء يلقبون أنفسهم ملوكا ، وكانت مدن أخرى يحكم فيها مجالس شيوخ من أهلها ، ولم يكن بقى من الثغور البحرية بأيدي الأهالي سوى فرضة (لاوة) يعنى لوى ، قال : والباقي كان دخل في حكم أمير هرمز ، الى أن قال : وكان إذ ذاك قد استأسد البرتغال ، وظهروا على بلاد الشرق ، ثم ذكر البوقرق الى أن قال : ومن جملة مغازيه سواحل عمان التي كان البرتغاليون فتحوا قسما منها أى من مراسيها .

أما المدن البحرية التي كان فيها حاميات برتغالية عظيمة فكانت مسقط وصحار والمطرح ، وقريات ، قال : فسار ناصر بن مرشد أولا الى لاوة ، أى لوى فاستعان أهلها بالبرتغال ، فأمدوهم بالمال والسلاح ، ولكن ناصر تغلب عليهم وفتح البلدة ، ثم هاجم أنفس البرتغاليين في

المدن التي كانوا فيها فانتزعا منها وبقيت حامياتهم ممتعة بقلاعها ليس لها أيد تمتد الى البلاد ، ثم طرد البرتغاليين من رأس الخيمة ، وكان البرتغاليون قد اضطروا أخيرا لأجل الاستقرار في قلعة مسقط أن يؤدوا للإمام ناصر جزية ، فبعد أن أدوها مدة امتنعوا من أدائها ، فزحف عليهم ودارت رحى الحرب بينهم ، وانتهت بصلح ثقيل الشروط على البرتغاليين ، إذ انتزع من أيديهم عدة حصون في المطرح والقلع الخارجية في مسقط ، وأجبرهم على عدم التعرض لحرية التجارة وعلى أداء الجزية ، ثم افتتح ناصر مدينتي صور وقريات ، وطرد الأجانب منها ، وبالاختصار فإنه منذ بداية ملكه وضع نصب عينه تطهير البلاد من المعرة الأجنبية ، وفهم في ذلك الوقت ما لم يفهمه كثيرون من ملوك الشرق وأمراء الاسلام ، من كون الأجنبي الأوربي اذا نشب برائته في محل لم ينته منه إلا باستخلاص جميع البلاد ، واستعباد من فيها من العباد ، وأن الأولى بالعاقل توقي هذا المرض قبل أن ينشب ، والمبادرة الى اقتلعه بكل الوسائل قبل أن يستفحل .

قال : وجرت ثورات في زمان ناصر فأطفاً نائرتها بحزمه وحكمته ، قال : وقد أكمل عملا عظيما ، وبني مملكة عمان على بوانيتها ، وحررها من السلطة الأجنبية الى أن قال : وكان حازما جادا شائحا في الأمور ، فاضلا تقيا ، أحبه الأهالي الخ .

وبحق أقول : إن الإمام ناصر بن مرشد رحمه الله ، أعاد سيرة السلف الصالح في عمان ، وجدد من المعالم ما أبلته أيدي الزمان ، وأعاد المسيرة النبوية متوجة بتاج الإيمان ، فهو الذي أعاد المجد الذي كان لعمان أيام الجلندي بن مسعود ، وسعيد بن عبد الله الرحيلي ، ووضع حجر الإيمان الصحيح رغم أهل الطغيان فكان عمان بعهد ناصر بن مرشد ، إنما ولدت في عهده ، وأقلام مجدها بعزمه وجهده ، فهو رحمه الله أمة واحده .

مشاهير دولة الإمام ناصر بن مرشد

لقد قيض الله للإمام ناصر بن مرشد رجالا قاموا بأمور دولته ، وكانوا له أياد قوية ، وسهاما حادة ، وسيوفا ماضية ، عاركوا البغاة ، وقتلوا الطغاة ، وصارعوا العتاة ، ودوخوا أهل الباطل ، وأسسوا دولة ضخمة بعمان امتد لها بعد ذلك صوت عال في بلاد العرب ، كما سوف يراه القارىء في هذا التاريخ ، ولكل دولة رجال ، ولكل رجال أعمال •

كان يضرب المثل بالإمام ناصر في الزهد والورع والعبادة ، وكان رجاله كذلك ، وإذا أراد الله أمرا هيا له أسبابا ، وأقام له دعائم ، وسخر له من يقوم ببنائه ، وكذلك إذا أراد هدم ذلك ، ودولة الإمام ناصر قامت على أثر رسوخ الظلم والفسوق بعمان ، وهى الفوضى التى خلفها بنو نبهان الذين لعبوا دورا طويلا بعمان •

ولا شك أن لكل أمة غراسا وغراس دولة الإمام ناصر العدل والفضل ونشر العلم ، وحمل الناس على الصراط السوى الذى وضعه الله تعالى لعباده ، وكلفهم سوكة ، ويسر لهم المسير على جادته •

ومن رجال دولة الإمام ناصر بن مرشد المشاهير : الشيخ العلامة خميس بن سعيد الشقى الرستاقى ، صاحب كتاب منهج الطالبين فى الفقه ، وهو كتاب من أمهات الكتب ، يحتوى على عدة أجزاء •

ومنهم العلامة البطل : مسعود بن رمضان النبهانى ، وهو سيف من سيوف الحق ، قام بواجبه ، وسيأتى ذكره فى حروب الإمام رحمه الله •

ومن رجال الإمام ناصر بن مرشد المشاهير الشيخ خميس بن رويشد الضنكى ، الذى مازال يقود الجحافل لحرب بغاة الظاهرة •

ومن مشاهير رجال الإمام ناصر بن مرشد ، محمد بن سيف الحوقاني ، الذي قام بدور هام في أيام الإمام لإقامة معالم الاسلام في ربوع عمان •

ومن مشاهير دولة الإمام ناصر بن مرشد : محمد بن علي بن محمد كان بطلا مقداما لا يرهب ضوضاء السوء ، ولقلقة أهل الباطل وستخبر عنه أحواله في دولة الإمام •

ومن أبطال دولة الإمام ناصر بن مرشد : العالم الهمام عبد الله بن محمد بن غسان الكندي النزوي ، مؤلف خزانة الأختيار • ومنهم حافظ ابن جمعة الهنوي •

ومن مشاهيرهم : علي بن أحمد الذي قاد سرية جلفار كما سوف يأتي ذكره إن شاء الله •

ومن مشاهيرهم : محمد بن صلت الريامي ، وعلي بن محمد العبري ، وأحمد بن بلحسن البوشري •

ومن صناديدهم : سعيد بن خلفان القرشي ، الذي أبلى بلاء حسنا في دولة الإمام ، ولم أدر من أي بطون قريش الذين بعمان هو هؤلاء الرجال الذين أقاموا دولة الإمام المؤيد ناصر بن مرشد رحمه الله ، وإن كان معهم كثيرون من رجال عمان إلا أن المذكورين هم الرؤوس الذين قاموا بقيادة الجيوش في حروب الإمام رحمه الله لبغاة أهل عمان ، وبهم قرت دعائم الاسلام بعمان ، وكأن طورا جديدا قام بعمان حتى كأن لم تكن عمان أسلمت قبل ذلك ، ومن جملة قواد جيوش الإمام ابن عمه سلطان بن سيف اليعربي ، وأخرنا ذكره لأنه صار بعد ذلك الإمام الثاني من اليعاربة ، وهو الذي فتح مدينة صور من البرتغال ، الذين طوقوا ساحل عمان بالقهر ، وهو الذي أجلاهم من مسقط في عهد إمامته ، وطاردهم في السواحل الأخرى كما يأتي ذلك مفصلا في إمامته إن شاء الله •

الإمام ناصر بن مرشد رحمه الله

لما كان لكل عمل رجال ، وأن الأعمال الدينية يلزم أن ينتقى لها الرجال الدينيون ، والذين تطمئن بهم النفوس لحمل الأمانة التي أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ، فهذا الانسان يجب أن تكون فيه أهلية سالحة لحمل الأمانة ، أهلية تقوى ، أهلية غيره لله على حرمه ، أهلية تدعو الى العمل الصالح ، أهلية لا ترى لمن خالف دين الله حقا يجب احترامه حتى يعود الى المصراط المستقيم ، والمنهج القويم .

فبعدما تمزق ملك عمان بتلاعب الظلمة وأعمدة الفساد ، وأهل البغى والعناد وانحطت الزعامة العمانية الكبرى الى الضيوض ، واقتحم لاقتناص صيدها كل من لم يكن من أهلها لأمر أرداه الله بأهل الظلم والفساد ، وكان الله عز وجل بفضلته وبرحمته تعهد أن يعيد للأمة دينها على رأس كل مائة سنة ، لإقامة الحجة عليها وإيضاح المحجة لها ، حتى لا يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير ، في هذه الأثناء وما علم من انتقاص الأرض من أطرافها بقلّة العلم ، وظهور الجهل ، أثرا للزعامة الجائرة ، شاء الله أن يمحو ذلك الأثر كما هي سنته في عبادته ، أطلع طالع سعد بينير الطريق ، ويكشف المضيق ، ويرفع نير الظلم والجور ، ويعيد الحرية الى عمودها .

أخرج الله عز وعلا في هذه الآونة السيد الهمام المقدام ، ناصر بن مرشد رحمه الله ، فشع له شعاع في عالم الدين ، وبرق له من بريق في أرجاء عمان ، فتحدث بأخلاقه الدينية الركبان ، وعطف الله عليه قلوب أهل الإيمان ، وألفت اليه عقول أهل الخير في الوطن ، وإذا أحب الله عبدا من عبادته لإخلاصه واستقامته في الدين ، أعلن ذلك في الملأ الأعلى ، ثم نودى به في أهل الأرض ، وإذ ذلك كان هذا الإمام يتيما رباه الشيخ

العلامة المحسن خميس بن سعيد الشقصي صاحب منهج الطالبين ، فنشأ
نشأة أهل الفضل والإيمان يحمل ديننا وإيماننا وتقوى ، مع خصال الخير
وأعمال البر التي يتطلبها القائم أو من يقوم بشرعة الله عز و علا .

وكانت المدرسة الرستاقية غاصة برجال من أهل العلم والعمل تسابق
رجالها الى تحصيل العلوم ، وتنافسوا في خصال الفضل ، وكانت الرستاق
نصيب آباء هذا الإمام حين اقتسم الزعماء الممالك العمانية ، وما زال
أمر الرستاق راسخ الأقدام في آل مالك بن أبي العرب ، وكان الإمام
المذكور من البيوتات المعروفة شرفا وعزا ، ويقال : إن آباء مات عنه
يتيما وتزوج أمه الشيخ الشقصي المذكور وتربى في بيئته وعلى وتيرته
فوفقه الله للصالحات ، وكل ميسر لما خلق له ، وما جرى به قلم الأزل
لا بد من وقوعه ، وإذا أراد الله أمراً هياً له أسبابا .

وكان ناصر بن مرشد رحمه الله من أسباب الخير لعمان في هذا
العهد العصيب الذي كاد تخفق فيه معالم الدين وتموت الروح الإسلامية
ولا يقوم لها وجود :

الافتراق داعى الخذلان

لقد أشرنا آنفا الى بعض ما كان عليه الحال فى الآونة التى أثار الله فيها الدعوة اليعربية ، وأقام الله عز وجل برحمته عبده الأواب ، والسيد المهاب ، على الجنب ، وأحب الأحاب ، ناصر بن مرشد اليعربى ، وكان ملك عمان فى أيدي المتزعمين ، فكانت نزوى لسلطان بن محسن بن سليمان ابن نبهان ، وكانت سمائل لمناح بن سنان العميرى ، وكانت بهلى لسيف ابن محمد الهنائى ، وكانت سمد الشان لعلى بن قطن الهلالى ، وكانت أبراء لمحمد بن جيفر بن جبر الجبرى ، وكان صور وقريات ومسقط والجنب الشمالى من الباطنة للبرتغال ، وكانت نخل لعمه سلطان بن أبى العرب ، وكانت الرستاق فى يد أبيه ، وبعد موته تولاها بنو عمه ، وكان حصن الغبى لآل هلال رهط الجبور ، وكان حصن مقنيات فى يد الجبور أيضا ، وكانت ينقل فى يد الجبور أيضا ، ومالكها ناصر بن قطن وكانت لمحمد بن جيفر ، وكانت صحار بيد البرتغال وكذلك مسقط ، بل هى العاصمة إذ ذاك لما لها من الأهمية ، وكانت جلفار بيد العجم والمالك لها ناصر الدين العجمى •

هذه هى الحال التى كان عليها أمر عمان فى هذا العهد ، ولتفرق الملك فى أيدي البغاة حكمة بديعة يعقلها أفراد من الرجال ، والله أمر هو بالغه ، وحكم هو نافذه ، وإذا أراد الله أمرا كما قلنا آنفا هيا له أسبابا ، وأراد الله الذى له كل شىء أن يعيد نور الشريعة على الأفق العمانى ليكون هداية لذلك الجيل فى ذلك القرن •

ذكر مؤهلات الإمام ناصر بن مرشد لهذا المنصب العالى

أولها أنه كان رحمه الله من بيوتات الشرف كما قدمنا ، فهو من العنصر
اليعرى العربى ، وجده سلطان الرستاق وتوابعها ، وقد مضى لها عهد
وهى حكومة مستقلة ودولة منفردة بعمان كما عرفت ذلك فيما سبق •

ثم كان هذا الهمام النجيب علامة فقيها وسيدا نبيا ، والفقہ في
الدين هو الحجة التي يعتمدها الزعيم المسلم ، ثم كان على جانب عظيم
من الزهد ، فكان أزهد أهل عمان في عصره ، والزهد في الدنيا من صفات
عباد الله الصالحين ، فلما رأى أهل العلم في وقته هذه الخصال متوافرة
فيه ، ورأوا الحال العماني متفكك القوى ، جعلوا ذلك المعون الصالح
لهم لا سما وقلوب الناس متوغرة من فعل الجبابرة ، وبصفة عامة رأوا
تلك الداهية الدهياء البرتغالية ، تهم بالتهامهم ، والفرص اذا لاحت
وجب اغتنامها ، وهناك أقام العلماء هذا العمود الصالح ، لأن يستند
عليه الدين فاجتمعوا على بيعته والحمد لله •

العلماء الذين اجتمعوا على البيعة لهذا الإمام

لا يخفى أن أمر عمان من قديم الزمان مازال الى علمائها ، وهم الذين يحلون ويعقدون ويقومون ويقيمون ، في هذه الآونة شاء القدر أن تكون له ثلة من رجال العلم ، أهل الفضل والهدى والرشد والتقوى ، الذين يعلو بهم البناء ويقوى ، وفي مقدمتهم الشيخ العلامة خميس بن سعيد الشقصي والعلامة الجليل مسعود بن رمضان النبھاني السمدي النزوي ، والعلامة الصالح صالح بن سعيد الزاملی النزوي العقري ، والشيخ العالم خميس بن رويشد المحروقي ، والشيخ العلامة الجليل عبد الله بن محمد بن غسان مؤلف خزانة الأخيار .

وقال الإمام السالمی رحمه الله : قيل إن جملة العلماء أربعون عالماً أو يزيدون ، فكان الأساس بهم مكينا والبناء قويا والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، ولا يخفى أن ذلك من حسن حظ هذا الإمام والله في خلقه أسرار .

قال الإمام السالمی رحمه الله ، وهو يذكر الإمام ناصر بن مرشد : وهو أول إمام من اليعاربة ، وأول من قامت به دولتهم ، وكانوا قبل ذلك كغيرهم من العرب ، أي العمانيين رؤساء في الرستاق وما يليها ، أي كانت الرستاق وتوابعها نصيبهم من ملك عمان إذ ذاك ، فإنهم من العنصر النبھاني ، وكان النباهنة كما علمت اقتسموا الملك بعمان ، الى أن قال : وسبب ذلك أي اجتماع المسلمين بعد فرقتهم أي بعد الافتراق الذي تقدم ذكره الى رستاقية ونزوانية ، وبسببه خذلهم الله وتسلط عليهم الظلمة يسومونهم الخسف ، وما وقع عليهم من أمراء الظلم وملوك العشم من تراكم الفتن وشدة المحن ، واختلفت آراء أهل الرستاق ووقعت بينهم المحنة والشقاق ، وسلطانهم يومئذ مالك بن أبي العرب المقدم ذكره .

وهذا يدل أن أهل الرستاق افترقوا فيما بينهم . قال : وهو جد

الإمام ناصر بن مرشد • قلت : لقد وضعت نسبه الى يعرب بن عمر بن نبهان فيما كتبتة من أنساب أهل عمان • قال : ثم مات مالك وبقيت المرستاق في يد بنى بنيه وهم أولاد عم الإمام ، فقتبين منه أن الإمام عند موت أبيه كان يتيما ، وقد صح أن الشيخ خميس بن سعيد ، وهو من أكابر أهل المرستاق ، تزوج والددة الإمام ناصر • قال : فتراسل المسلمون وتشاوروا أن ينصبوا لهم إماما يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، وقدوة العلماء يومئذ خميس بن سعيد الشقصي المرستاقى ، صاحب منهج الطالبين • قيل : وفيهم مسعود بن رمضان النبهانى من أهالى سمد نزوى ، وصالح بن سعيد الزاملى من عقر نزوى أيضا ، بل قيل إن عدة العلماء يومئذ كانوا أربعين عالما أو يزيدون قال ولعلمهم لم يحضروا البيعة كلهم بل حضرها بعضهم ، ورضى الباقون •

وكانت بينهم المراسلات والتشاور فوَقعت خيرتهم على ناصر بن مرشد وكان فيما قيل ربيبا للقاضى خميس بن سعيد ، وكان قد عرفه قبل ذلك ، فدلهم عليه فرضى به الجميع •

قلت : كيف لا يعرفه وقد رباه تلك التربية الصالحة ، وأخذ به الى المنهج الذى أراده الله من المسلم فزاده العلم شرفا على شرفه ، وتوجته التقوى تاج المحبة والصفاء •

قال : فعقدوا عليه الإمامة بالمرستاق في عام أربع وعشرين بعد الألف ، فكان مسكنه قصرى مطلة من المرستاق أى عند شيخه زوج أمه ذلك العلامة القدوة سيد العلماء يومئذ •

قال الإمام : الممالك في يد الرؤساء يشير بذلك الى ما قدمناه ، فقام بأمره رجال اليعمد بأنفسهم وأهدوه بأموالهم وذخائرهم •

قلت : وفي مثل هذه الأحوال يحسن إنفاق المال ، ومن طلب الخير فليحتمل فيه كل ما عز وهان ، فإن سلعة الله عز شأنه لها ثمنها الرفيع (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا) الآية ، ومن طلب العلياء لم يغلها مهر ، قال : وأجمعوا أن يهجموا على القلعة ليلا ، فما كان إلا أن حميت حفاظهم وتجردوا للمصاعب ، فما شعر بنو عمه وهم في تلك القلعة الثمماء فما شعروا إلا وأسود الله يقاتلون عليها ، فاستفتحوها وكانت لهم فألا للفتح ، فإنها من أصعب الحصون في ذلك العهد الذي لم تكن الآلات النارية موجودة فيه ولا السلاح البارودي أيضا موجود ولكن عزائم الرجال هي السلاح الفعال •

الزحف على نخل

ولما تم فتح الرستاق وقبضت عليها يد الحق سارت الركبان في أرجاء عمان بهذا الحدث الدايم ، واذا بالقلوب تنصرف اليه ، واذا بالرجال تتشوف عليه ، فزحف على نخل يقدمهم الرعب ، وفي نخل عمه سلطان بن أبي العرب ، فأحاط بها أياما وحاصرها حصارا عاما ، فما كان منها إلا أن خضعت للحق وسلمت الأمر ، وعلقتها راية العدل ، وأيقن المسيطرون على الحصون أنها زائلة عنهم ، فنزل عمه من قلعتها وعلاها الحق فقرأ على عرشها •

ومن حيث إن أهل البغي يسوءهم ما يرون من العدل الذي يقهر أياديهم على روائها ، ويردهم عن غيهم ، فثارت عليه فرقة من أهلها ممن لا يرى إلا الفساد ، فما شعر الإمام إلا والقوم محيطون به ، فحصره في قلعتها ، فجاءه رجال اليحمد ففرجوا عنه الحصار وبصروه على عدوه ، فبدد الله شمل الأعداء ، وأقام أعلام الهدى برجال أشبه بصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم عاد الإمام الى الرستاق ، فكانت عاصمته ، وفي هذه الأثناء جاءت دعوة من أهل نزوى يدعونها للمكها وإزالة ما بها من ظلم وجور فلبى دعوتهم ، وخرج على شريطة المناصرة والمساعدة والمعاضدة والمؤازرة ، لأن الإمام لم تكن عنده مواد كافية ، لأن يستند عليها •

خرج الإمام من الرستاق على طريق الجبل الى نزوى فلم يشع خبر خروجه حتى نزل بسمد نزوى في شرجة صنف ، واذا بالداعين له لم يفوا بما وعدوا ، ورأى الأمور غير متهيأة للمرام ، فرجع منها الى الرستاق ، ثم تواصلت سلاسل الطلب من عدة أناس منهم الشيخ أحمد بن سليمان الرواحي في رجال من بنى رواحة ، ومنهم وفود من مانع بن سنان العميري أمير سمائل إذ ذاك ، فأقاموا معه يطلبون منة القيام على سمائل

ووادى بنى رواحة ولعل مانعا كان طلبه اختبارا لنوايا الإمام ، واكتشافا لما عليه من القوة ، فإنه بعد ما تبين نفاقه وكان أحد المناوئين للإمام ، فإن الإمام رحمه الله اعتمد عليه فى الأموال ، فتجلى نفاقه سافرا ، ففى هذه الآونة أعلن الخضوع للإمام والانقياد للأوامر ، فجاء الإمام برجاله المخلصين على طريق خدش حيث كانت نخل تحت سلطانه ونزل وادى بنى رواحة ، ولعل أحمد بن سليمان كان يحاول المال الذى غرقه الإمام محمد بن اسماعيل الحاضرى ، ومانع بن سنان يحاول أيضا أحوالا ، فأقام الإمام بهذه الأيام فى هذه الرقعة آملا من الداعين الصفا والوفا ، فدار بينهم مدار النظر ، وعلا صوت الحق على الباطل ، فأسلمت له أزكى قيادها ، والشيخ الشقى هو زعيم فى هذه الدولة الفتية الجديدة ، التى تحمل مشعل النور لتضىء الظلام الدامس المتراكم ، ثم إن الاتجاه الى نزوى من هذه الطريق التى مهدها الله عز وجل لعبد الصالح ، وعصبة الميامين •

فدخل الإمام نزوى على حال هدوء واطمئنان ، كما دخل أزكى كذلك ، فكانت هذه الخرجة مباركة يحيط بها التوفيق ، فنزل الإمام بالعقر إذ هى مركز نزوى من العهد القديم ، ولكن تحرك بنو أمبو سعيد من أهل العقر ، وكانوا إذ ذاك قوم غلبت عليهم الأهواء ، ودخلتهم حمية جاهلية ، وباينوا الإمام بالسوء السافر ، وتظاهروا بالحمية الجاهلية ، ولكل قوم مقاصد ، فشايعهم من سوقة نزوى قوم آخرون ، وضعوا مخططهم لقتال الإمام عند خروجه لصلاة الجمعة ، ذلك لأن الإمام يخرج للصلاة على حالة هادئة غير متهيء لحرب هكذا فى أنفسهم ، ولما صح مع الإمام أمرهم ، وتحقق صحة التقصد ، أمر بإخراجهم من البلاد وطردهم من أماكن الإمام ، فقد صاروا محاربين ، وأمرهم الى الإمام ما يراه فيهم ، فأخرجوا من نزوى صاغرين ، وذهبوا عن الأرض لاجئين ، فكان فريق منهم عند مانع بن سنان وهم الجمهور فأواهم •

وبذلك انكشفت خيانتة وأسفر عما أضمر ، وكان أعطى الإمام
المهود والمواثيق على الطاعة ، ولكنها مواثيق نفاق وعهود ضلال ،
والتجأت فرقة منهم الى سيف بن محمد الهنائي ، وكانت بهلى إذ ذاك
بيد المذكور ، وحركته على حرب الإمام فما شعر الإمام إلا والهنائي يعلن
الحرب على الإمام فى نزوى ، فقابله الإمام بالمثل ، وأمر فى أثناء الحرب
ببناء الحصن الذى أسسه الإمام الصلت بن مالك ، فأتم الإمام بنيانه ،
واستقر قرار الإمام بنزوى ، ولم يفلح الهنائي فى سعيه ، ورجع الى بهلى
خائفا يترقب صولة الإمام ، فتركه الإمام فى الحال على ما هو عليه لعله
يتراجع أو يرجع الى الحق ، فإن أنشودة المسلمين هى الرجوع للحق ،
وفى هذه الآونة جاء أهل منح يطالبون من الإمام القيام بالعدل فى بلادهم ،
فخرج لهم بجيش أخضع به منح وتوابعها ، وقضى على الفساد الذى بها
وقد ظاهره أهلها وأمدوه بالمال والرجال ، وظهر علمهم بين أعلام المسلمين •

وبعدما أتم أمر منح عاد الى نزوى ، ثم جاء أهل سمد الشان يدعونه
الى ملكه وكان المالك لها على بن قطن الهالى ، كما قدمنا بيانه فجهز
الإمام لها جيشا ولى قيادته الى ذلك العلم مسعود بن رمضان النبهانى ،
فأخضعها راعمة وتخلى الهالى منها وتولى القائد أمرها ، ثم جاءت رجال
الشرقية وعاصمتها إذ ذاك (أبراء) ، وكان المالك لها كما ذكرنا سابقا
محمد بن جيفر بن جبر ، فلبى الإمام طلب القوم ، فجيش لها جيشا
ضخما فاجتاحها تياره ، وبفتحتها انتهى أمر الشرقية ، ولم يبق فيها منافس
الى جعلان ما خلا صور بالساحل الشرقى ففياها البرتغال ، وكذلك فى
قريات ومسقط وصحار ، فإن البرتغال تولوا الأبواب من عمان •

ولا شك أن الدخول والخروج من الأبواب وأما الاقتحام من الخلف
فأمر صعب لا يصار اليه إلا بعد ما يتعذر أمر الأبواب ، والمنغشمون
يتهورون فى الأمور ، إلا اذا توفرت القوى ، وبعد هذه الآونة سحب
الإمام جيشه لمحاربة الهنائي ببهى ، حتى اذا قاع المرخ من حدود بهلى ،

رأى فى الجيـش بعض الفتور ، ولعل هناك شيئا من الدسائس متى
تعترى الجيـش فى بعض الأحيان ، فإن النوايا تعترىها فى بعض الأحيان
أحوال تخالف سياسة الوقت ، فرجع الإمام على غير حرب ، واستقر
بنزوى وطن الإمامة بعمان ، وبعد مدة اجتمع له جيش ضخم من عمان ،
فتوجه به لبلاد الظاهرة وترك المهناى ببهلاء حتى يحين وقت حينه ،
فافتتح هذا الجيـش وادى فدى وهو مفتاح تلك الثغور ، فبنى حصن
فدى ، ورأى من أهل ولاية ضنك عونا ناشطا ، ومساعدة فعالة ، ذلك
لأن القائد لهم ذلك البطل الشيخ العالم خميس بن رويشد الذى قدمنا
ذكره ، ولا شك أن أهل الخير يدعون للخير ويعينون عليه ، ولما فرغ
الإمام من أعماله هنا انسحب بجيشه متفقدا للبلاد حتى انتهى الى سمد
الشان ، وأكثر الجيـش فى هذه المرة بنو ريام ثم عاد الى الرستاق •

النفاق يثير الشقاق ويدعو الى الافتراق

كان الإمام ناصر بن مرشد رحمه الله يغلب عليه الحلم ، ولذلك يعاهد الناس ثم يخونون فيعرض عنهم استبقاء لهم وحقنا لدمائهم ، وقد علمت رجوعه عن أهل نزوى ورجوعه عن أهل بهلى ، وهكذا غالب أحوال أهل العصر ما لم يروا بريق السيف ، فى الآونة هاجم محمد بن جيفر بلدة نخل واحتلها ما عدا قلعنتها ، فنهض إليه الإمام بمن معه وشد عضده رجال المعاول ، فلم يبق لمحمد بن جيفر ما يتعلق به مما كان رآه ، بل لم يبقوا بنخل إلا ليلة والليلة الثانية هربوا من البلاد ، وعلى كل حال أما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض فالحق هو الباقي والباطل هو الزائل •

الظاهرة تظهر عدائها

تحركت عصابات الفساد بالظاهرة ، حين رأوا حلم الإمام الأرشد لا يعاجل الجناة بالعقاب ، وذلك مما يجراً أهل الباطل في هذه لأثناء ، وعندما فرغ الإمام من نخل اذا بالغبي تتعرض لفساد عاجل عندما وصل الإمام الرستاق ، وقر قراره بها ، تواطأت رجال الظاهرة على حرب الإمام ، واشتهر به ال هلال وهم رهط الجبور ، ومعهم طعام الظاهرة الذين لم يعرفوا إلا سفك الدماء والسلب والنهب والتمرد والعتو على أهل الحق ، وكان مجتمعهم بحصن الغبي بين العراقى وعبرى ، فجاه ذلك البطل المقدم الشيخ خميس بن رويشد يستنهض الإمام ، ويذكر الأحوال ويحركه على قطع مادة الفساد ، فثار البطل المجاهد الزاهد العابد ، وجمع الجموع وتولى قيادتها بنفسه حتى نزل بالصخبرى ، وجاءه أهل السر الذين لا يمالئون أهل الباطل ، وجاءه رجال الضاحكة يحملون اليه المال ، ويسوقون اليه الرجال .

وهذه الأعمال هي التي تخلد لأصحابها الذكر الحسن الذي يشتاقيه أهل الإيمان ، فزحف على الغبي وتلاقت الأبطال ، وتراحفت الرجال ، ودارت رحى الحرب ، ونادى فنادى الدين والإيمان ، هلم يا حماة الأوطان ، من أبطال عمان ، فوقعت بين الفريقين مقتلة هلك فيها الكثير من المسلمين وغيرهم ، وقتل فيها أخو الإمام وهو جاعد بن مرشد ، وانكشفت الوقعة عن حال يسيء الطرفين ، ولم تنته إذ ذاك فعاجل الإمام عبرى التي هي عروق الشر ، فقبض على ناصيتها ثم عاد الى الغبي وحاصرها حصاراً قسى بإذعانها له ، فخرج بغاتها وتولاها الإمام ، وولى فيها خميس بن رويشد المذكور ، ثم تولى حصن بات ، وكانت له أهمية إذ ذاك فولاه من ارتضاه من أهل الرستاق من يعلم ثقته وحزمه ، وناصره بمحمد بن سيف الحوقانى وعهد اليهما بفتح ما بقى من حصون الظاهرة ، إذ هما محل ثقته وأمانته ، ويعلم حقيقتهما .

ورجع الإمام الى وطن الإمامة نزوى ، وفي هذه الأثناء وبعد العلم
برجوع الإمام من حرب الغبي ومتعلقاتها ، ثارت عليه ثارة البغي من
آل هلال الذين مازلوا إذ ذاك شرا مشتعلا لا يزال يظهر في بقاع من
عمان ابتلاء من الله لأهل عمان ، حتى يميز الله الخبيث من الطيب ، والله
يبتلى عباده اختيارا لهم ، ولا شك أنه العالم بأحوالهم ، ولكن تلك سنته
تعالى فتجمع آل هلال ومن معهم بضنك ، وضربوا معسكرهم بالأفلاج ،
وظلوا غزاة على الظاهرة حيث هم بادية على طائراتهم من النوق في ذلك
العهد ، فالتقاهم المولاة الذين قررههم الإمام حماة لتلك النواحي ، ففضوا
فضا ، وقضوا على جمعهم واستولوا على إيل قطن بن قطن زعيم القوم ،
وحاصروا حصنه ، وكان هو خارجا منه فجاء الى الإمام معتذرا متبرئا
متنصلا مما وقع أنه لم يكن بعلمه ولا بأمره ، فسلم الحصن للإمام على
أن ترد له إبله ، فردها الإمام عليه وهو القرصان المنافق والمفسد في
الأرض ، أحد قطاع طرقها وأكبر بغاتها ، يعامله الإمام رحمه الله معاملة
المؤلفة قلوبهم المرجورجوعهم المحذور فسادهم .

الإمام يعهد الى ولاته بفتح باقى حصون الظاهرة

بعد انتهاء قضية عبرى والغبى ، وما كان للإمام فيهما من النصر المؤزر رجع الإمام الى نزوى وعهد الى الولاة الذين تركهم على الغبى وعلى عبرى ، وبات وأمرهم بفتح ما بقى من حصود الظاهرة ، لأنه خلف لديهم جيشا ضخما من هيئته ، وجحفلا جرارا من الرعب يقوم عنه مع ولاته بفتح ما بقى من الحصون ، فإن هيبة الحق هى التى تدوخ جنود الباطل وتدعم زعامة المسلمين ، فإن بنى هلال وهم رهط الجبور خرجوا على الظاهرة آملين أن ينالوا مرادا أبعد غيبة الإمام ، فتجمعوا بضنك كما قدمنا ، والتقاهم الولاة بقلوب غير مرتاعة ففضوا جموعهم ، وأخذوا إبل الطاغية قطن بن قطن ، ولما خضع المذكور للإمام رد الإمام عليه إبله ، وليته ما ردها عليه لأنه شيطان ، ولو قبلها الإمام لكان خيرا له وللمسلمين ، ولكن غلب على الإمام الحلم الذى عرف به •

ثم حاصر الولاة حصن مقنيات وكان بيد الجبور ، فثار الجبور بجيش ضخم من طعام الظاهرة الذين لا يفقهون ديننا ولا يهتدون سبيلا ، وبعد ما رأوا عجزهم انقلبوا الى حصن بات نظرا الى أنه واسطة العقد فى طريق المسلمين ، واذا قبضوه رأوا أنهم قبضوا طريق الثورة من ناحية الشرق ، والتقاهم الولاة هناك ، فدارت بينهم المعارك منذ صلاة الفجر الى نصف النهار ، وكثر القتل وعظم الخطب ، ولم تزل الدماء سائلة والسيوف تعمل فى الرجال من الجانبين ، وكادوا أن يعجزوا عن دفن القتلى ، فكانوا يحفرون الحفر ويرمون القتلى فيها السبعة والثمانية •

وهكذا ولم يتسلط البغاة على حصن بات إلا أن شوكتهم بقيت ناشطة ، والقلوب بسبب القتلى حرى دامية جريحة ، وعند ذلك سار الإمام من نزوى ، ووصل بهلى وكان الهنأى السالف الذكر أحد البغاة العتاة ، وأحد الذين ناصروا الجبور ، فرأى الإمام قلع هذه الشجرة

الفاسدة ، وعند ذلك ثارت الجبور لمنصرة الهنائي ببهلى ، لأنه أحد أركانهم في حرب الإمام ، وولاته وكان دخول الإمام بهلى ليلة عيد الحج ، وكان الهنائي قد استعد لحرب الإمام لعلمه أن أفعاله تستدعى ثورة المسلمين عليه ، وأن الإمام لا بد له من زحفه عليه ، ولكن البغى يصرع صاحبه ، فحاضره الإمام وجيش البغاة ، فاقتتلوا في البلاد وحواليها وحول حصنها ، ودارت معارك دامية وقتل من جيش الجبور أحد قواده وهو قاسم بن مذكور الدهمشى ، وقتل معه رجال كثيرون ، ورجع الجبور منهزمين ، وبقي الهنائي في حصنه ولم يزل محصورا حتى رأى أن لا بد له من الخروج فطلب الأمان من الإمام فأمنه هو ورجاله وماله وآلة حربيه .

وتولى الإمام الحصن وولى عليه والياً ورجع الى نزوى ، وكان الإمام ناصر ابتلاه الله بالبغاة من عمان ، وما زال هو وإياهم في أزمت متتابعة وثورات حامية ، كلما سكن حركة بلاد قامت عليه أخرى ، والمال قليل والحروب تتوالى ابتلاء من الله عز وجل لتعلو منزلته مع الله ، وكان من عباد المسلمين وزهادهم ، لا يميل الى الدنيا ولا يطمح اليها ولا ترتفع عيناه الى رياسها كل همه إنصاف مظلوم وإغاثة ملهوف والنهي عن المنكر والأمر بالمعروف ، والناس غلب عليهم العتو ولا يباليون بأمر الدين ، ولا يراعون إلا الرئاسة التي يرفعون بها خسيستهم ، ويأكلون مما هب ودب ولا يسألون عن حرام ولا حلال ، لأن العهد الفاسد طال عليهم عهدا طويلا كما عرفت ، ويرون الإمامة تمنعهم عن مطالبهم وتقهرهم عن مآربهم ، ولذلك يتكاتبون ويتعارفون بأن يناصر بعضهم بعضا .

مانع بن سنان العميرى ثعلب سمائل

كان مانع بن سنان واليا على سمائل ، ولما جاء الإمام ناصر بن مرشد الى وادى بنى رواحة انضم مانع الى الإمام ، وكان من أقرب الناس اليه ، وتظاهر للإمام بالطاعة والصداقة ، فأقره الإمام على سمائل ، بل ترك عنده من جيش المسلمين فرقة ، والذي يفهم من حال مانع بن سنان أنه يريد الإشاعة بأنه مع الإمام على حال اتحاد ليتقوى بذلك في أعين أعدائه ، أو أنه يريد المكر بالإمام ليكون الإمام طوع وخبثه ، فإنه كان من جملة الداعين للإمام الى ملك سمائل ، وقبض وادى بنى رواحة لأنه المضيق الذي يفضى من داخلية عمان اليها ، ومن سمائل الى عمان الداخلية فإنه هو الحلقوم ، كما أن وادى العق كذلك لشرقية عمان ، واتفق مانع بن سنان مع الإمام على أن يسير معه الى نزوى •

ولما طرد الإمام أهل عقر نزوى وهم أمبو سعيد حين رأى منهم ما يخل بالأمر ، ورأى نفاقهم المعلن شقاقهم للتجأ فريق منهم الى مانع ابن سنان في سمائل ، فأواهم بعد العهود والمواثيق التي واثق بها الإمام على الطاعة ، فتوجه الى الإمام لحرب المذكور ، وعندما وصل الإمام سمائل لباه مانع بن سنان ، وتصنع للأمام بالأكاذيب الخاطئة وصالحة الإمام على ألا يخرج من حصنه ، ويكون تابعا للإمام مدعنا للحق ، فتركه على ما هو عليه وفي الآونة الأخيرة كاتب سيف بن محمد الهنائي الذي كان يبغى سرا على الإمام ، وجمعا الجموع ودخلا نزوى ، واحتويا على العقر وجميع شئونه ، ولم يبق للإمام إلا حصنه وهو محصور فيه ، وكادوا يحتلونه كليا ، هموا أن يقتلعوه من أصله وهم جموع وافرة •

وعند ذلك قبيض الله للإمام أنصارا يؤيدونه فجاءه أهل أركى ورهط من بهلى وقوم من بنى ريام ففرجوا أزمته وقاتلوا عنه حتى أيده الله بهم ، ولما تم أمر نزوى وظهر أمر الإمام على عدوه ، هم بهدم حصن

مانع بن سنان في سمائل لئلا يكون مأوى لبعييه ، فخرج الجيش له حتى سمائل ، ولما علم مانع بن سنان بالقصد هرب الى فنجا راجيا أن يرجع الجيش عن الحصن حيث إن مانعا غير موجود به ، فقضى الجيش على حصن مانع ، ولما تحقق مانع هدم الحصن راح الى مسقط ملتقيا له مناصرا ، ومنها الى لوى عند محمد بن جيفر ، ثم راح الى جلفار وكل هذه الأماكن التي راح لها في يد البرتغال إذ ذاك ، وكان يحاول النصره منهم ، ورأى الإمام أن قتل مانع بن سنان أمر لا بد منه ، فأمر الإمام مداد بن هلوان فعمل مداد الحيلة لمانع ، وتعارف مع والى لوى حافظ بن سيف ، فكاتبه مداد وأطمعه في إدخاله حصن لوى ، وأخذ من يد الوالى بالحيلة ، فتواعدا في ليلة معلومة .

وكان إذ ذاك في دبا عند الشحوح فجاء فرحا مسرورا طامعا في حصن لوى ، ونزل صحار ليدير هو ومداد الحيلة لحصن لوى ، فعين له مداد الليلة الموعودة ، وإذ ذاك فرق الوالى عسكره في البلاد كأنهم جواسيس يتجسسون أحوال البلد ، وتعاهدوا أن يلتقوا في مكان خاص ، ويكون مانع قد صل ذلك المكان ، فما شعر مانع إلا والرجال محيطة به من اليمين والشمال ، فقبضوا عليه قهرا وقتلوه صبورا وأراح الله المسلمين منه ، هذه قضية المذكور أوردناها مسلسلة حتى النهاية .

الإمام ناصر بن مرشد يجدد حصن سمائل

بعد خروج مانع بن سنان من سمائل فارا من الإمام ، وتولى الإمام الحصن أمر بتجديد بنائه فأنفق عليه آلافا من النقود ، وكان من جملة البناء الذى بناه الإمام المذكور القلعتان العاليتان المتقابلتان ، واحدة فى الجهة الشمالية المربعة ، والثانية الجنوبية المستديرة ، وبنى فى السور أيضا وكان الباب الرئيسى للحصن المذكور مقابل مسجد قرنة قائد الذى فى بستان الحوض ، وإنما بدله فى موضعه الصالى أحمد بن عبد الله الرواحى فى أيام تهارش أولاد سعيد بن سلطان ، خصوصا بولاية عبد العزيز بن سعيد ، والمذكور أحمد بن عبد الله ، وانتقل عنه الى سمد الشان ، فرأى أحمد بن عبد الله أن عدوه سيأتيه من قبل السفالة باعتبارها غافرية •

فحول الباب المشار اليه الى الجهة الجنوبية ليقابل العلية فتكون نصيرته ، واستمر على ذلك وهذا الباقي منه هو بناء الإمام ناصر خصوصا القلاع ، وبقي على ذلك الحال ومن حيث إن الإمام المذكور كان رحمه الله يزن الأمور بميزان عقله ، وينظر الى الدخل بميزان صحيح كان بناؤه متوسط الحال ، لا سيما أن الإنفاق على البناء كما يتطلب الوقت يحتاج الى مال واسع ، مع أن الحروب التى ستنزف المال لا تزال مستمرة ، ولكن الله عز وجل حكيم يضع رسالته حيث هو أعلم بهلها ، وأخبر برجالها ، لقد ضرب المثل بأيام هذا الإمام زهدا وتقوى وطاعة ورحمة ، وأصبحت عمان فى عهده أشبه بالمدينة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها فدرت الخيرات وعظمت البركات •

حرب مقنيات

لقد أشرنا الى حرب الإمام لمقنيات ، وذلك أن الإمام لما رجع الى نزوى بعد انتهاء قضية سمائل ، جهز جيشا الى مقنيات ، وتولى قيادته بنفسه ، ولما وصلها حالا نشبت الحرب بين الطرفين ، وكان حصنها مانعا وكان جديد عهد لأنه وليد الدولة النبهانية كما عرفت مما تقدم .

وليست لدى ذلك العهد نساقيات أو طائرات ، فكان السلاح لمثل هذه الأحوال الحصار ، حتى اذا فرغ ما عند المحصور طلب الصلح للخروج ، وهكذا أحوال ذلك العصر فحاصر الإمام هذا الحصن ثلاثة أشهر فنفذ ما عند قابضيه ، فاضطروا للخروج وتولاه الإمام ، وولى فيه محمد بن على بن محمد الخراسي كما يقول ابن رزيق في تاريخه والله أعلم .

البغاة يتجهون لحرب الإمام

لا شك أن المصائب يجتمعن المصائب ، ويؤلفن بين المنكوبين في كل زمان ومكان ، ولما كان في هذه الآونة للجبور زعامة وصوله غير هينة لكثرة من يناصر البغى غالبا ، فبعد حرب مقنيات رأى أهل البغى المظاهرة لبعضهم بعض على حرب الإمام ، ورأوا الخضوع للحق صعبا عليهم ، ومنذ العهد القديم أن بلالبا عمان من ناحية المظاهرة غالبا ، وأن رجلا يقال له سعيد بن مسعود الحيمالي من قبيلة الخياليين من بعض فصائل عمان الجديد ، وكان يتزعم فريقا من البغاة ، فكاتب الجببور وكتابه ويقوا يتراسلون ويتآمرون على حرب الإمام ، واجتمع مجتمع القوم في قرية الصخيري ، وهنا بدأ تناوشهم ، فقتلوا رجلا من الضحاكة وقتلوا ناسا من شراة الإمام ، وقامت الحرب والقوم فيها يمرحون بطرا وعنادا للإمام رحمه الله ، حيث هو يريد الحق وهم يريدون الباطل .

ولا شك أن جنود الباطل أكثر في كل أمة منذ خلق الله الخلق ، ومنذ أرسل الرسل وأنزل الكتب ، وما زالت الوقائع بين هؤلاء البغاة وأنصار الإمام ورعاياه ومن أطاعه ، وما زال الصراع قائما على أشده ، ووقعت بينهم ست وقائع هائلة كاد يتزعزع منها ركن الاسلام لولا أن الله بفضلله ربط على قلوب المسلمين ، وحبب اليها الصبر على البلاء ، منها وقعة شديدة بموضع يقال له العجيفة أو العقيقة بالقاف بدل الجيم ، والثانية وقعة مثلها بموضع يقال له الغاية ، والثالثة وقعة بموضع يسمى المطهرة ، والرابعة وقعة شديدة بموضع يقال له الزيادة ، وهي التي هلك فيها الكثير من الناس ، وفقدت فيها أشخاص من الرجال .

وكان قائد المسلمين في هذه الوقائع التي ذكرها التاريخ إجمالا محمد ابن سيف الحوقاني فيما أحسب ، وهو البطل الذي صار تلك الرجال الجائرة الغالب عليها البطر ، فدوخها ولم يتزعزع عن مواقفه ، والله رجال

تقريبهم العين ، وتسكن اليهم النفوس ، وعند الابتلاء تبرز رجال الحق وتظهر على مسرح الأحداث ، معلنة تأييد الحق غير متبرمة في شيء ما .
مع أن المذكور فر عنه أكثر رجاله حيث ملوا الحرب وضاق بها ذرعهم ، وما بقى معه إلا القليل ، وهو في أزمة شديدة يتذرع فيها بالصبر ، ويحتمل وطأة البغي صابرا محتسبا ، وآخر أمره انحصر في حصن الغبي وقد أهدقت به الرجال فحصرته حصرا شديدا حتى أغاثه الله بوالي مقنيات ، وهو محمد بن علي بن محمد المعروف ، جاء بجيش كثيف وأبطال انتخبهم ، فدخل الغبي على حين غفلة من جيش العدو ، فمما شعروا إلا والجيش متغلغل في البلد تعمل سيوفه في الرقاب ، فارتاع البغاة روعاً شديداً ، وتفرقوا فرارا في الأرض على وجوههم ، منهم الى بلدة ينقل ، ومنهم الى الصخبرى ، ومنهم الى الفيافي والقفار ، ونحل أمرهم من الغبي ونجا الوالى ومن معه من شهرهم .

سرية لبلاد سبيت

كان سيف بن محمد الهنائي في بلاد سبيت من عتاة الرجال المذنبين يرون أنهم أولى بكل زعامة من شأنها السيطرة بعمان ، فإنه لما خرج من بهلى حدثته نفسه أن يبنى حصنا ببلاد سبيت يكون مأوى له ولن معه من الرجال البغاة ، ولما علم الإمام الأرشد ناصر بن مرشد ذلك الحال منه ، وقد عرفه فيما سبق من حاله جهز له جيشا وجعل قائده العلامة عبد الله بن محمد بن غسان مؤلف خزانة الأخيار في بيع الخيار .

ولما حل الجيش بدار سبيت استشعر المذكور العجز وأيقن بالذل ، ففضل الخضوع والهرب من البلاد ، فتولى الشيخ القائد الأمر في البلد ، وأمر بهدم الحصن المشار اليه فهدم ، وبعد ذلك ضاقت الأرض بالمذكور فجاء الى الإمام مظهرا للتوبة يطلب العفو من الإمام والصفح عما أحدث ، فعفا عنه ومنع البناء لمثل هذا الحال أصلا ، وهدأت سورة المذكور واستكان لسلطان المسلمين .

الإمام يزحف بنفسه على ينقل

لما انتهى أمر الهنائي سيف بن محمد في بلاد سبت ، خرج الإمام
رحمه الله بجيش ضخم الى ينقل لتأديب ناصر بن قطن صاحب ينقل
فنزلها جيشه المرهوب ، وأحاط بالبلاد وطبق عليها الحصار فضاقت ذرع
الهلالى ولم يسعه حصنه ، فطلب التسير من الإمام فسيره وولى على
البلد واليا ورجع الى الرستاق عاصمة إمامته مكللا بالنصر والظفر •

سرية الى شمال عمان

من حيث قلنا سابقا إن داء عمان لايزال يأتى من شمال عمان ، وإن أرض الجوهى المصباح المطل على عمان الشرقية ، ومنه يتراءى الغربيون شرق عمان وأن الموتورين ببيغهم لا يزالون متحيزين الى ذلك الأفق ، عند ذلك جهز الإمام سرية كبيرة تفوت الاصطلاح فى السرايا ، جعل قوادها أولئك الأبطال الذين جربوا الحرب وجربتهم ، وهم عبد الله بن محمد بن غسان الذى هدم حصن سيف بن محمد فى بلاد سبت ، وخميس بن رويشد الضنكى ، وحافظ بن جمعة المهنوى ، ومحمد بن على الرستاقى ، ومحمد بن سيف الحوقانى ، هؤلاء الخمسة هم أركان الجيش فخرج ذلك الجحفل الأرعن له زحزحة فى الأرض ، يقدمه الرعب ، فجاء أولا الى الجو والمراد بها ناحية البريمى ، وهى الرأس إذ ذلك الذى يجب أن يكسر أولا أو يقطع ، ولما نزلها علم الحق خضعت نعرتها وسنكت شرتها ولم ترفع رأسها خوف قطعة ، فتولاها الشيخ محمد بن سيف الحوقانى العمود الصلب ، وبعد ذلك انسحب الجيش الى أرض الشميلية بالساحل على طريق وادى الجزى ، فنزل لوى وكان بها جبابرة ، فاختلفوا فيما بينهم ووقعت بينهم فتن قتل فيها محمد بن جيفر .

وكان ذلك سبب تغلغ العداوة فيما بينهم ، فنزل القائد الأكبر عبد الله بن محمد بالجامع منها ، وأمر الجيش أن يحيط بالبلد وبالحصن ، وكان إذ ذاك فيه سيف بن محمد بن جيفر وفر عنه إخوته وأعيان قومه ، والتجأوا بالنصارى البرتغال وفى صحار ، وقاموا يمدون إخوانهم المحصورين بحصن لوى بالطعام وآلة الحرب ، ويغزون بالليل لجيش المسلمين ، فرأى القائد المذكور أن يجهز من الجيش سرية أمر عليها محمد بن على ، ووضع لهم برنامج سيرهم وهجومهم على عدوهم الذى بصحار ، سواء كان من العرب أو النصارى ، فلم يشعر المذكورون إلا والجيش محيط بهم ، وقبل الصباح بقليل كان الجيش

بالموضع المسمى منقل مقرن ، وهو مكان يقع جنوب الحصن ، فدارت
المعركة بين الطرفين واشتد أمرها وعلا لهابها وقتا قضى الله فيه ما شاء
أن يقضى فانقطعت غزواتهم إرسال المدد لحصن لوى مع الحصار
المستمر به .

وبعد مدة رأى صاحب الحصن أن لا محالة عن الخروج ، فطلب من
القائد الأمان لينزل من الحصن ، ثم خرج خفية ولعله خاف القتل ،
وكذلك من معه بعده ، وتولى الشيخ القائد الحصن ، وكان الحصار
سته أشهر تماما قضاه المسلمون في هذه الوقفة الحرجة ، وكان
ناصر بن ناصر بن قطن ورجال العمور قد ظاهروا المسلمين على حصار
حصن لوى ، ذلك للخلاف الذى وقع بين الجبور أنفسهم ، كما أشرنا
اليه آنفا ، ولذلك ولاء قائد المسلمين رجلا من الجبور المناصرين للمسلمين ،
وجعل مع هذا الوالى الرجال الذين يثق بهم ديننا وإيماننا وأخلاصنا
للمسلمين ، لأن الجبور لا يؤمن شرهم ، ولكن كانت تلك الولاية كمكافأة
من القائد للناصرين ، وترغيبا لهم فى ثباتهم بجانب الإمام ، ورجع
القائد المظفر بفتح الجو ، وفتح لوى وأنه لأمر غير هين .

ولكن من ينصر الله ينصره الله ويؤيده على عدوه كما صرح بذلك
عز وجل فى كتابه الذى لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

السرية الكبرى الى مسقط

لما كانت مسقط إذ ذاك بالمكانة المرموقة ، وهى المدينة المحاطة بالجبال الشاهقة والمحصنة بالقوات الكاملة ، لعلم البرتغال بأن الدار لا بد لأهلها منها ، ولا بد من هجومهم عليها ، ولا جامعة تجمع بين الطرفين ، وإنما الاعتماد على القوة ، وكان البرتغال قد أخذوا أهبتهم لما كان أهل عمان متهارشون فى داخليتهم غير ناظرين الى الساحل بنظر طويل ، هنا جهز الإمام المجاهد الناصر لدين الله ، المتجرد لقتال أعداء الله ، بكل ما لديه من قوة جهز جيشا أسند قيادته الى العلامة المجاهد مسعود بن رمضان النبھانى من أهالى عقر نزى ، فخرج المذكور حتى أتى المطرح ، ونزل بطوى الرولة ، وضرب معسكره بها ، فجاءته جنود الأعداء فالتقاهم بأبطال عمان الذين مارسوا الحروب وقابلوا الرجال .

قال ابن رزيق المؤرخ ، بعد أن ذكر وصول الجيش : فدارت رحى الحرب بين المسلمين والمشركين فنصر الله جيش المسلمين أو قال جيش الإمام ، قال : فهدموا من مسقط بروجها باذخة ، ومبانى شامخة ، وقتلوا كثيرا من المشركين ، قال : ثم إن النصارى طلبوا الصلح فصالحهم القائد المذكور ، أى بعد ما راجع الإمام على فك ما بأيديهم من أموال العمور وأموال الشيعة التى قبضوا عليها فى صحار ، قال : فأذعنوا بالطاعة فأمنهم مسعود على ذلك ، وأخذ منهم العهود والمواثيق على الوفاء .

ورجع الى الإمام ، وكان من جملة الشروط التى وقع عليها الصلح أن يؤدى النصارى المذكورون الجزية رأس كل سنة ، وألا يؤذوا مسلما اذا وفدوا على مسقط ا هـ .

وكان هؤلاء النصارى البرتغاليون جبابة عتاة طواغيت ، لما تسلطوا أساءوا الى الناس تماما وغلب عليهم البطر ، ورأوا أنهم قاهرون ،

وقد تغلغت عداوتهم للمسلمين طبعاً ، وكان النصارى المذكورون قبضوا على أموال العمور وأموال الشيعة في صحار حين ناصروا المسلمين ، وصحار إذ ذاك في أيديهم ، وكان جنودهم نازلوا جيش المسلمين في مطرح عند وصوله بها ، وانهزموا الى مسقط بعد قتل وقع فيهم ولحقهم الجيش في قلب مسقط ، ولم تمنع المسلمين الجبال المحيطة بمسقط ، بل قبضوا البلاد وهدموا أبراجاً على جبال مسقط ، وقلاعاً منيعة إلا أن الحصنين الكبيرين الجلالى والميرانى المنيعين يصعب فتحهما إلا بعد حصار طويل وشدة عزيمة ، فرأى القائد البطل الصلح في الحال أصلح الى أن تراجع قوة المسلمين .

ورأى النصارى أيضاً الصلح لهم أنفع في الحال والنظر في المستقبل من الطرفين المعتادين ، والبادى أظلم ، لكون البلاد بلاد المسلمين النصارى تعدوا عليها ، لا سيما بعد ما جرت الدماء ووقع القتل والنصارى هم المعتدون على ممالك المسلمين وفي بلادهم ، وكانوا أجبروا الأهالى على التخلي من أملاكهم من رقعة مسقط وطردهم منها وحصنوها بسور مانع ، وضربوا عليه الأبواب الضخمة التى تقوم عليها سلطنتهم الظالمة ، ومنعوا العرب من الدخول أصلاً .

وبعد ما تعاطوا كؤوس الحمام وعظم بينهم الالتحام ، وبعد ما حمى الوطيس بينهم كما قال الإمام في تحفة الأعيان ، حيث يقول : وقتل منهم خلق كثير لا يحصون عدداً « وتمنعوا بالكيتان وبعالى البنيان » وبقوا بمسقط على هذا الصلح المعلق بالشروط الثقيلة التى أشار اليها أمير البيان فى تعليقه كما عرفته حتى أخرجهم منها الإمام سلطان بن سيف ابن عم الإمام ناصر كما سوف تراه فى محله إن شاء الله .

السرية الثانية لفتح جلفار

لما رجع القائد النبھانی من مسقط منتصراً ورأى الإمام رحمه الله أن سياسة القائد حسنة أو مستحسنة ، ورأى من اللواجب القيام على جلفار لأنها باب عمان الغربى الشمالى ، وبها كما قدمنا العجم ومعهم بعض النصارى مناصرون لهم ، جمع الإمام الجيش وانتقى من الرجال الأبطال ، وعقد لواء هذه السرية باسم على بن أحمد وعضده ببنى عمه من آل يعرب ، فسار الجيش الى جلفار ، وكان عليها ناصر الدين العجمى ، فكانت سهمه الحالى من ملك عمان والعجم يراعون فى جلفار معنى لم يهتد إليه غيرهم ، فأحاط بها الجيش وقامت الحرب على ساقتها وأطلقت الحصون نيرانها والنصارى تقذف بمدافعها من البحر فما كان من المسلمين العمانيين إلا الاقتحام لأسوار الحصن وأبراجه ، ولم تكن إلا فترة قصيرة واذا ببرج الحصن فى يد المسلمين أخذوه ليلا وقتلوا من فيه ، وتسابقوا الى الحصن فاحتلوه بأسرع من رصاصهم ، ودوخوا البلاد قهرا ومزقوا العدو قسرا ، وكان على ساحل البحر حصن للبرتغال فزحف عليه فريق من الجيش بقيادة الدهامش ، ورجل آخر يقال له خميس بن محزم فهجموا على الحصن نهارا واختطفوه بأسرع ما يمكن واحتوا على ما فيه من العتاد والسلاح .

وبنى المسلمون حصنا جديدا خوف المهاجمة الباغية فقام بأسرع وقت ، ونزل القائد بقواته وبذلك سقط فى يد العدو ، وطلب النصارى الصلح فصالحهم القائد وأخرجهم من البلد خزايا وندامى يعضون على أصابعهم راغمين ، وبعد ما استقر الأمن فى المنطقة ولى القائد على الحصون واليا يعرف من أين تؤكل الكتف ، ورجع الى نزوى فابتهج الإمام بهذا الفتح والعمل الطيب الثمين .

الإمام والمسلمون يعالجون أمر صحار

ولما يسر الله عز وجل بفتح جلفار ، دار النظر حول صحار ، وقد رأى المسلمون أنهم سدوا ثغر جلفار ، وأوقفوا مجارى المياه الى صحار ، أخذوا في أمرها وهى كما لا يخفى أمرها جوهرة العقد وكبرى الطرف الشمالى فى ذلك العهد ، ودارت انظار المسلمين المبتلين بأمر هذه الديار ، وبعد ذلك اتفقوا أن يأمر الإمام والى لوى أن يتقدم الى صحار ، ويبنى بها حصنا يكون ملجأ للمسلمين ، ومعقلا ينزلونه عند مصالوة الأعداء ، وكان الوالى بلوى إذ ذاك حافظ بن سيف الذى اتفق هو ومداد بن هلوان سابقا على قبض مانع بن سنان العميرى ، كما قدمنا قضيته .

وكان مع حافظ المذكور رجال العمور شراة متجردون لمنصرة الحق ، وتأييد العدل ، وكان البرتغال بصحار ضربوا أطناجهم ، وخيموا فى رحاب صحار ، عاضين عليها بالنواجذ ، ولما تقرر عزم الوالى على تنفيذ أمر الإمام ، وهو يعلم أن الشر غير بعيد عنه ، أرسل الى من بقربه من القرى من بنى خالد وبنى لام والعمور ، واجتمع معه كثير وعسكر غير هين ، وكان بصحار رجال يحبون الحق ويتعارفون مع الوالى المذكور فى ملك ..

وعلى كل حال إن المسلم لا يود أن يسيطر عليه عدو أجنبى لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ، وإذ ذاك خرج الوالى المؤيد بجيشه الى صحار لصدده وبات بعمق ، وعميت الأخبار على أهل صحار ، حتى صبحها ضحوة النهار فى آخر يوم من محرم الحرام عام ثلاث وأربعين وألف سنة للهجرة ، فنزل بموضع يقال له البدعة ، وأظهر عزيمة الحرب للمشركين الذين هم البرتغال ، وزحف بجيشه الباسل حتى وصل الى حصن ابن الأحمر ، وهو من عتاة العجم وطغاة الفرس ، وحالا دارت رحى الحرب عند وصوله ، واشتدت الأزمة ، وكانت النصرارى ترمى بنيران مدافعها من حصن صحار ، فقوى الله المسلمين وأيدهم بنصره فاننتقل الوالى بجيشه متقدما الى العدو ، ووقع القتال .

وجاءت طلقة مدفع من مدافع البرتغال ، فأصابت راشد بن عباد من أعيان رجال الوالى ، وفي مجلسه ، ومات شهيدا رحمه الله ، وهناك تمركز الوالى وهم ببناء الحصن الذى أمره به الإمام ، واجتهد فى بنائه بأسرع ما يمكن والرجال اذا عزم على شىء بنشاط وإخلاص ، لا بد أن يفعل ، فتم بناء هذا الحصن ونزله الوالى وعند ذلك توالى المناوشات بين الطرفين ليلا ونهارا ، وقامت حرب متواصلة بقوى متفاعلة .

وكان من السياسة أن تقوم قوة من الإمام تقضى بمشاغلة البرتغال فى مسقط حتى لا تكون لهم عزائم فى الساحل الشمالى تؤيد حرب صحار ، فعقد الإمام لواءه لسرية خرج بها العلامة خميس بن سعيد الشقى ، حتى نزل قرية بوشر ، ولما علم النصارى ذلك أرسلوا اليه يطلبون الصلح ، فأجابهم وتقرر وصوله مسقط ، وعند ذلك أرسل عيونه إليها خوف الغدر من أهل الكفر ، ولما وصل مطرح واجهه أكابر البرتغال ، وقرروا الصلح على شروط معروفة لهم وعليهم تكون صالحة للطرفين من نواح ، هى أصلح للمسلمين .

كان منها فك الحصار عن النصارى ، وفك المقابض المحيطة بهم ، والترخيص للناس فى السفر اليهم وكف الأيدي عن القتال على شرط أداء الجزية المفروضة عليهم وعدم تعرضهم للمسلمين بأى أذى ، ورجع لهم المقابض التى أخذها منهم ، ولعل القصد من هذا تبريد حركتهم وتوهين قوتهم ما دامت قوة غير كافية لقلع شجرتهم ، ولكل وقت سياسة ، وبهذا يتأخر العدو عن الاستعداد ، مع أن القوم كانوا أقوىاء عدة وعددا ، ولهم دولة بالغة أوج عزها إذ ذاك ، وخاف المسلمون من هياج الحرب أن يتقوى العدو فى البلاد زيادة ، وعلى شرط ألا يتعرضوا لحرب المسلمين فى أى مكان من عمان ، فخر البرتغال فى مسقط وفى صحار على ما هم عليه والمسلمون حولهم يراقبون الحركات والسكنات .

فتح صور

لا يخفى أن صور من المدن المهمة في عمان لا سيما وهي على الساحل الشرقي ، رأى الإمام أن صحار بقيت على جناح الصراع ، وقد سد الإمام عليها الثغر الغربي بحافظ بن سيف ، وصالح البرتغال في مسقط ، ولم يدخل صور في صلح مسقط ، وإذ ذلك أرسل اليها الإمام جيشا بقيادة ابن عمه سلطان بن سيف بن مالك ، الذي كان في علم الله عز وجل أن يكون الخلف الصالح لناصر بن مرشد ، والمصلح لعمان كما سوف نرى ذلك في محله إن شاء الله .

خرج هذا الهمام البطل يقود جيشا عمانيا لتطهير البلاد من معرفة الأجنبي ، ولما وصل صور أحاط بالحصن ، ولم يطل عهد حصاره فسلم الأمر وقبضه الجيش وأذعن البرتغال له إذعانا كلياً وخضعوا له في صور تماماً والحمد لله .

الزحف على قريات

إن قريات من الثغور البحرية المؤدية الى الداخلية ، وكم دخل العدو منها الى عمان ، فأرسل لها الإمام فرقة من الجيش الغازى لصور ، وكان البرتغال قد قواوا حامية قريات لأجل مسقط ، فنزل بها الجيش وشرع حالا فى بناء حصن بها ليكون ملجأ لحصار البلاد ، ورأى القابضون لها عدم إمكان استقرارهم فيها ، فسلموا الأمر ولم تنفعهم حامية مسقط ، لأنها هى الخائفة على نفسها ، وواقعة تحت نير الشروط التى صالحهم عليها القائد المحنك العلامة مسعود بن رمضان النهانى ، وباحتلال قريات لم يبق إلا صحار ومسقط ، بقى فيهاى النصرارى على ذلك الصلح الذى ذكرناه ، واحتوى الإمام على جميع عمان ما عدا هاتين المدينتين المذكورتين الى أن يوفق الله للاستعداد لزوال هذه الآفة الكبرى .

فإن هؤلاء النصرارى قد تغلغوا فيهما وقبضوا عليهما بأياد من حديد لا تنفك بالسهل ، وحال الإمام وأهل عمان كل يوم فى صراع وعراك لتعاضم البغى فى الرؤساء ، وأهم هؤلاء البغاة فى هذه الآونة هذا القرصان الطاغى ناصر بن قطن الهلامى الذى لا يزال يغزو عمان فى كل سنة ، يأتى من ناحية البريمى على طائراته ، ويلتف معه الغوغاء من كل صوب من هذه الناحية ، ويسحب من عمان المواشى ، وينهب من لقى ولا يبالى ويفعل فى الناس ما لا يرضاه الله ، ثم يهرب الى الأحساء وذلك بعد خروجه من حصن ينقل ، فرأى الإمام أن يجعل للوالى محمد بن سيف عينا لهذا القرصان الظالم .

حرب الطاغية ناصر بن قطن

لم يزل هذا الطاغية شرارة متقدة وسهما حاميا يوقد عليه النار بغاة أهل عمان ، وأيده أهل الضلال والعدوان ، الذين يسوءهم الحق وهم موجودون في كل زمان ، وقد ابتلى الله بهم أهل عمان ، ولا ريب فإن الله ابتلى الأنبياء بشياطين الإنس والجن ، وللمسلمين من ذلك حكمة بديعة يجهلها كثير من الناس ، وكان هذا القرصان العاتى يتحصن ببعده المسافة ، ولا يعرف متى يكون وجوده بعمان ، فإذا خرج التفت عليه البغاة المفسدون ، وعاثوا في الأرض ينهبون ويقتلون ، وكل ما يلاقونه لا يتخرجون من شيء ما ولا يراعون شيئا لصديق أو عدو ، بل كل ما عندهم النهب والسلب والقتل في عمان .

ولم يزل يغزو بادية عمان واهتم الإمام بأمره وأمر محمد بن سيف الموالي للطرف الشمالي أن يلقي باله لهذا الطاغى ، ويجعل له العيون المواعية ، فاذا علم به التقاه رجال المسلمين فقام الموالي المذكور ، وجمع عسكريا جما وبقي مراقبا لهذا القرصان من أى جهة يخرج ، ولما بلغه خروجه تلقاه الوالى فهرب منه ودخل الظفرة واحتصن بحصنها وتعصب له بنو ياس ، فعاد منهم فى منعة ، وإذ ذاك وجه رسله الى الوالى يطلب الصلح ، وكان الوالى قل عليه الزاد ، وبعدت عليه الدار ، واختل عزمه لهذا وتأثر به وخاف الفشل فصالحه على رد ما نهبوا ، وغرم ما أطفوه مما كسبوا ، ونهبوا من عمان واقتنع الوالى بذلك فى هذا الحال ، ورجع الوالى الى مقره بمن معه من القوم ، وبعد رجوع الوالى المذكور هم ناصر بن قطن ، بالهجوم على حصن الجو ، أى البريمى ، فجمع البدو من الظفرة وغيرهم ، وكان والى الجو إذ ذاك أحمد بن خلف ، واذا بأهل الجو كلهم على الوالى مع ناصر بن قطن ، ولعلمهم تأثروا من وطأة العدل التى عليها الولاية ، فإن الوالى والرعية غالبا يكونون ضدين ، فما شعر الوالى إلا والجنود محيطة به من كل جانب ، وحوصر الوالى فى حصنه .

ولما علم الولاة من المظاهرة والباطنة ، جاءوه مناصرين ، ولما بلغ ناصر بن قطن ذلك خرج من البريمي ومن معه منزهين ، ثم لحق بهم القائد الأكبر عبد الله بن محمد من نزوى ، فأمر بهدم حصون الجو ، فهدمت كلها إلا حصن الإمام كسرا لقوة أهل البغي ، وبذلك تفرق الأعداء ، وكل اتخذ له وجهه ينحيز فيها الفرص ، فأما عمير بن محمد فالتجأ بالنصارى في صحار ، وأما بدو الحسا فتعلقوا بطريق جلفار ، ويرون لهم هناك منعة وحمى ، وضربوا معسكرهم على عقبة جلفار متحصنين بها ، وظلوا يقطعون الطرق من هناك ، يغزون البلدان المجاورة حتى شاع خبرهم ، ونمى الى الولاة أمرهم ، فقاموا عليهم ووقع قتل في الفريقين ، وانهزم البغاة ، وشردوا من هناك ، وقبض الولاة على إيل ناصر بن قطن وتولوها ليستعينوا بها على حربه فكانت في يد محمد ابن سيف .

وعلى أثر هذه الحادثة هجم ناصر بن قطن ومن معه من البغاة على الباطنة من ناحية الشمالية ، فأخذوا إيل بنى خالد ، وبنى لام ، وكل ما صادقوه انتهوه وسلبوا من وجدوا من نساء ورجال ، ورحلوا الى الأحسا مقرهم ، وبعد عهد جاء ناصر بن قطن غازيا ، وكانت الباطنة أسهل شيء يراء البدوى ، فإنها لا يشق عليها الكر والفر عندما يرون الغلبة عليهم ، فإن البدوى يفر على طائرتة التى هى ناقته وقد أعدها لذلك العمل ، وهنا جهز لهم الإمام جيشا جعل قائده على بن أحمد ، وعضده بمحمد بن صلت الريامى ، وعلى بن محمد العبرى ، وأحمد بن بلحسن البوشرى .

وهؤلاء رجال أبطال تجردوا للشهادة في دين الله ، فأتى الجيش لوى وهنا هاجمهم ناصر بن قطن ، فوقع بينهم القتال ، ففر ناصر بن قطن مشرقا فأتى قرية مجيش من أعمال صحار ، فأتبعه الوالى بمن معه ، ففر الى الناحية الشمالية لعلمه أنه لا ناصر له هنا إن غلب ،

فتبعه الوالى بمن معه وكان أول من لحقه أحمد بن بلحسن البوشرى ،
ومعه مراد وراشد بن حسام ، وبعض الثرارة ، وكان ذلك فى موضع يقال
له الخروس ، فتلقاهم الطاغية بمن معه من رجاله ولعلمهم استضعفوهم
لقتلهم ، ورأوا أن الجيش خلفهم وهؤلاء مقدمته فاقبضوا هم وإياهم
قبل أن يصل الجيش ، فقصوا عليهم عن آخرهم ، ولما وصل لجيش
رأوا إخوانهم صرعى ، ولم يروا أحدا هناك من قوم ناصر ولا يعلمون
أين توجهوا •

ورجع الجيش أدراجه بعد قتل هؤلاء ، وعلى أثر ذلك قام محمد
ابن عثمان الخالدى المعروف بابن حميد ، وكان من رجال ناصر بن قطن ،
فغزا بلاد السر ، وكان فيها محمد بن سيف الحوقانى واليا ، وفيها سعيد
ابن خلفان أحد أنصار الإمام ، فأناخ ابن حميد بقرب الغبى ، فعلم سعيد
ابن خلفان وطلب من ابن حميد المواجهة للمفاهمة ، فأجابه الى ذلك من
غير أن يأخذ لنفسه أمانا ، فتواجهوا فى مسجد للشريعة من الغبى ،
فجرى بينهما كلام فى التجروء على أموال الناس ، وقتلهم ونهبهم ، ونهب
أنعامهم ومواشيهم ، فقال سعيد بن خلفان لابن حميد : أما ترد ما أخذت
ونهبت من أموال العباد فأعرض ابن حميد عن كلام سعيد بن خلفان
بوجهه ، وتولى وحاش وكلا أى لا يرد ذلك • وأظهر عتوا وعنادا ،
ولعله كان مستخفا بسعيد بن خلفان ، فأمر سعيد بأسره ، فأسر وأمر
به ، فأدخل حصن الغبى ، ثم أمر بقيده فقيده ، ثم ركبوا به الى الرستاق
فأرسل سعيد الى الإمام يخبره فأجابه أن يجعله فى قلعة الرستاق ،
فحبس بها خمسة أشهر وقيل سبعة أشهر فمات فى حبسه •

سرية يرأسها سعيد بن خلفان لقبض إبل ناصر بن قطن

كان ناصر بن قطن أعد أبلا بخبيات لغزوه ناحية عمان ويطلق عليها عندما المضيق يحيط به ، وفي هذه الآونة أرسل الإمام سعيد بن خلفان لقبض هذه الإبل التي جعلها ناصر قوته التي يصول عليها ، وعضده جفير بن محمد بن جفير أو جيفر ، وأمره أن يسير الى الإبل المذكورة فيأخذها ، لأنها قوة القرصان الباغي ، فسار القائد المذكور ، ولما قارب الظفرة التقاه بنو ياس واعترضوه في مراده ، وعارضوه فيما قصد له قرب الشعيبة من ناحية الظفرة ، فدارت المعركة بينهم وإياه واشتد الأمر بينهم بغيا منهم وعدوانا على رجال الحق .

وفي هذه الأثناء قتل زعيم بنى ياس صقر بن عيسى ، فثار أخوه محمد بن عيسى غضبا لقتل أخيه ، وقال : لا خير في العيش بعده ، ورأى الموت خيرا من الحياة ، فحمل على جيش المسلمين ، فقاتل فقتل واندقت عصا بنى ياس ، ورأوا أنهم أصيبوا بقتل الأميرين ، فطلبوا العفو من القائد فعفا عنهم ، ورجع قبل الوصول الى الهدف ليفاهم الإمام ، ورأى الإمام أن أمر ناصر بن قطن لا يمكن السكوت عنه فجمع جيشا آخر من الباطنة ، ومن داخلية عمان ، ولعه من أكثرية الباطنة ، لأنهم لا يزالون يصابون من بغاة الشمال ومن معهم ، وجعل قيادته الى سعيد بن خلفان المذكور ، وعضده بعمير بن محمد بن جفير الجبرى ، وأمرهم أن يسيروا الى ماء يقال له : دعفس لا تزال إبل ناصر بن قطن عليه ، فلما وصلوا وجدوا الإبل فأخذوها ورجعوا منتصرين ، لم ينلهم سوء ، وسلموا الإبل الى عمير بن محمد بن جفير الجبرى .

وكان لعمير بن المذكور راع للإبل ويعرف عند أهل عمان بطناف

الإبل ، أما الراعى فيحصونه برا على الغنم والبقر عرفا عاما ، فجاء من جاء الى الطناف وقال له : سر بهذه الإبل الى ناصر بن قطن ، وسلمها اليه فتكون لك معه يد ، ولعله خوفه بالقتل من ناصر بن قطن وهو الظاهر .

وهذه في الحقيقة غلطة من قائد الجيش ، حيث ترك الإبل بيد عمير ابن محمد بن جيفر الجبرى في تلك الزاوية النائية ، وناصر بن قطن وعمير بن محمد من عنصر واحد ، وقد علمت الأحوال السابقة ، ولكن البشر يخطئ ويصيب ، والأمور تجرى بمشيئة الله عز وجل .

سرية تقع في مثل ما وقعت فيه الأولى بموضع الخروس

لما رأى الإمام أن هذا القرصان لا يقف لعهد وميثاق ، ولا يرتد عن عمله ، وكان عاصده على بن محمد المذكور آنفا ظلا يكسبان وينهبان في أطراف عمان الغربية هم ومن معهم ، ولا يزالون يقطعون الطرق ، فتخوف الناس منهم وفرت البادية من منازلها الى البلدان والقرى ، وإن رأوها عليهم ضيقة ، ولكن ألجأتهم الضرورة الى ذلك الحال ، وعند ذلك جهز الإمام لهم جيشا أخرج فيه بنى عمه سيف بن مالك ، وسيف بن أبى العرب وحزاما وأخرج معهم رؤوس القبائل ، لأن قسوة الإمامة مستمدة من رجال عمان عادة .

فخرج هذا الجيش يطلب ناصر بن قطن ومن معه من أهل البغي بشمال عمان ووصل الجيش الى هدفه ، وكان من قضاء الله وقدره أن شرارة الجيش وأهل البسالة فيه أول من وصل الى العدو ، فتلقاهم الطاغية في رجاله ، فدارت رحى الحرب بينهم وأحاطوا بهم من كل صوب حتى قضوا عليهم عن آخرهم ، وهرب الباغي عجلا الى الأحسا لا يرى له ملجأ بعد هذه الكارثة إلا الفرار الى الديار النائية ، فإن غالب جيش المسلمين مشاة ، والمشى شاق لا سيما في حال البعد ، أما ناصر إذ هم بغزو عمان ، أهب الإبل المبلغة للصدد ، وخرج يركبه لا يريد وجهة خاصة ولا بلدا خاصا ، وهكذا إذ لا ثأر له عند أحد أو عند قبيلة ، لكنه فتاك نهاب لا يبالى بما يأتى وما يذر ، وهذه القضية هي أخت وقعة الخروس بشمال عمان ، والنصر بيد الله يؤتية من يشاء ، وقد أثر قتل هؤلاء الرجال على المسلمين ، وبعد هذه الحادثة لم يعد ذكر لناصر المذكور ، ولعله مات أو سلب الله عليه أمرا أعجزه .

وما زالت سرايا الإمام مشرقة ومغربة ، لم يبرح طيلة أيامه في حرب وما زال معه أهل عمان طوع أمره ، وتحت سلطانه ، وانتشر

عدله بين الخاص والعام ، واستولى على عمان كلها ساحلها وداخلها ، إلا مسقط بقيت فيها النصرارى البرتغال ، ويعرفون أيضا بالبرتكس في عرف أهل عمان ، وهم العنائة إذ ذاك ، والقاهرون على الممالك الشرقية ، رغم أهلها الذين انحرفوا عن واجب الحق الذى شرعه الله لعباده ، وكلفهم به وأمرهم أن يتعاملوا به فيما بينهم ، فتركوه وعملوا بالأهواء ، فسلط الله عليهم عدوا من غيرهم ، فتولى الأمر عليهم وسيطر على ممالكهم ، وأصبحوا يرزحون تحت ثقل وطأة هذا العدو الدايم ، وقد عاهدوا الإمام ونكثوا ، ثم عاهدتهم مرة أخرى ونكثوا اعتمادا على قوتهم الكاملة فى مسقط ، وقد علموا أنهم اذا خرجوا من مسقط خرجوا من الخليج العربى كله ، ولكن ولم يزل الإمام محيطا بحركاتهم وسكناتهم ، وقطع عنهم العرب المعاملة التجارية ، وانقطع الساعى الى مسقط من عمان وغيرهم ، وبذلك سرى الضعف وهذا هو الحصار بعينه •

قال الإمام فى تحفته : ثم نصب لهم الحرب حتى وهنوا وضعفوا ، ووهى سلطانهم ، وتفرق أعوانهم ، وكان الموت والقتل يأتى على أكثرهم •

ولا شك أن للأمور إقبالا وإدبارا وقد كان إقبالهم لما كان العمانيون يتهارشون فيما بينهم كما قدمنا ، وهنا جاء الإدبار حين اجتمع العمانيون ، والتقوا تحت راية واحدة ، ولا ريب فإن الاجتماع له فى الكون انفعال صحيح ، وقد جربتهم الأمم •

ويقول الله لنا فى كتابه العزيز : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) والله هو الولى وهو على كل شىء قدير •

وفاة الإمام ناصر بن مرشد

لما كان لكل نفس أجل محدود في هذا الوجود لا يزيد ولا ينقص ، أمر محتوم على الكل لغاية لها ما بعدها ، وبذلك قضى الله على عبده الصالح الذى شاع ذكره في الجزيرة العربية ، وانتشر عدله في ربوعها ، وازدهرت به البلاد ، وسعد به العباد ، وأذل الله به أهل العناد ، فكان ذكره سلوة كل محزون ، وبهجة كل مصدرور ، ومفتخر كل مسلم ، ففى يوم الجمعة لعشر ليال خلون من ربيع الآخر سنة ١٠٥٠ خمسين وألف سنة توفى رضى الله عنه والمسلمون عنه راضون ، ودفن بنزوى عند مساجد العباد .

وكان عمره رحمه الله ستاً وأربعين سنة ، ولم يعقب إلا بنية واحدة ، قعد ذلك الحال من كراماته إذ صار له مثل ما صار للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ كان عقب بنتاً واحدة وهى الزهراء فاطمة رضى الله عنها .

وكانت للإمام المذكور رحمه الله كرامات عديدة طار لها ذكر فى الأفق العماني ، وتداول حديثها الأكثرون ، ودونها الكثيرون ، وعقدت لها الأبواب ، وطال بها الكلام عن الأئمة الأعلام ، فنرى ذلك كافياً عن إعادتها هنا ، فإننا معنيون بالحوادث التاريخية ، ولأئمة المسلمين بعمان كرامات خالدة خلود الجبال ، وما أعلاها وما أكرمها فى نظر أهل الحق ، ربما سخر منها بعض المخالفين الذين لم يعرف لهم من نوعها شىء ، ولم يذكر لهم عنها شىء فيما علمنا ، ولم يحدثنا تاريخهم عن شىء منها أبداً ، فلذلك سخرُوا من كرامات أئمة الإباضية ، والذين رأوا الأنوار بأعينهم ، وأعيامهم أمرها قالوا : لعل هناك شيئاً من الجن فرأوها تجوز للجن ،

ولم تجز للإباضية ، مع علمهم بأن الأنوار تجوز للملائكة ، لأنهم أنوار
أى أجسام نورانية ، بخلاف الجن ، فإن الجن لم يعرف الأنوار لهم ،
وإن كان فيهم صلحاء •

ثم ماذا يفعلون بما بقى من كرامات الإمام الوارث بن كعب ، التي
مرت عليها مئات السنين ، وهي باقية حتى الآن كما هي ، إن الذين لم
يهتدوا بضيء الإيمان لا غرو إن أنكروا كرامات الإباضية حسدا من عند
أنفسهم ، والحمد لله • رضيينا بالله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد نبيا
صلى الله عليه وآله وسلم وبالقرآن إماما •

ثناء العلماء على الإمام الأرشيد ناصر بن مرشد

لقد أثنى العلماء على الإمام ناصر رحمه الله ثناء عظيما ، إذ كاد أن يكون نبيا أثنى عليه الكثيرون ثناء يسجل عند الله ذكرا عاطرا ، فإن الخلق شهود الحق ، ومن أثنى عليه أهل الحق كان أهلا للثناء ، والخلق شهود لكل محق ، فمن أثنوا عليه خيرا كان أهلا للخير ، ومن أثنوا عليه شرا كان أهلا للشر ، وقد ذكر الإمام السالمى رحمه الله طرفا من ذلك الثناء الشاهد على تلك النفس الطاهرة ، وذكر الشعراء عنه مالا مزيد عليه من الفضائل الباهرة ، والمحاسن النادرة التي لم تذكر إلا للنبيين والحمد لله رب العالمين •

عهد الإمام ناصر بن مرشد لولائه وعماله

ذكر العلماء عهد الإمام رحمه الله دليلا على طهارة نفسه الزكية ،
ودليلا على سيرته المرضية ، فإنها تعبر عما في طوية ذلك السيد الزاكي ،
والإمام التقى الزاهد المجاهد ، الذي لم يزل طيلة أيامه في قتال ونزال
وصراع لأهل الباطل والضلال ، وما زال رحمه الله ساحبا جيشا ومخرجا
كتيبة وعاقدا لواء ، وقائما بحرب ، فله تلك الأيام ما أعزها ، والله تلك
الحياة ما أكرمها ، والله تلك الأفعال ما أعلى شأنها ، ولم نذكر تلك العهود
فنكتفى بالإشارة إليها إذ حفظها التاريخ بين طياته ، فنراها مرجعا لمن
أرادها ومستندا لمن رام السير على منهاجها ، والله في عبادته أسرار ، وفي
خلقه عظيم الاعتبار ، والله ولي المحسنين •

خطبة الإمام ناصر بن مرشد في صلاة الجمعة

إن الإمام الأرشد ناصر بن مرشد رحمه الله ، كان يخطب في صلاة الجمعة خطبة واحدة كما هي المذهب ، ولم يصح عند المسلمين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يخطب خطبتين ، ولا صح جلوسه في الخطبة أو بين الخطبتين كما يقولون ، ولو صح ما تركه المسلمون مع شدة تمسكهم بأعماله ، وتتبعهم لأفعاله وأقواله ، وأخذهم بما صح عنه ، وإنما هي خطبة واحدة فقط خطبها النبي عليه الصلاة والسلام في بنى سالم بن عوف حين صلى الجمعة أول جمعة في المدينة بمسجد الوادي ، وحفظها الناس عنه ، ورواها المؤرخون .

وهي كلمات يسيرة ذكرها في تاريخ الخميس وغيره ، ورواها أئمة السير ، والذي ذكره رواة السنن لا عمل عليه عندنا فإنهم رروا كثيرا ولم يصح عند أصحابنا ، وهم أشد الناس تتبعا لما رواه الثقات عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولقد اجتمع في عصرنا هذا علماء فطاحل أخذوا من الفقه بحظ وافر ، وفي مقدمتهم الإمام السالمى رحمه الله ، وهو الذى قام بإمامة الإمام سالم بن راشد لخروصى ، وبعد فتح نزوى أقام الجمعة بها والكل حاضرون وهم ككبجة من أهل العلم الذين لم تصغر منازلهم عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لولا فضيلة الصجبة ، ولا ييسع ذكرهم ، ولم نعلم عن أحد منهم قال في صلاة الجمعة بخطبتين ، ومضى الإمام على ذلك حتى توفاه الله .

ثم قام عنه الإمام محمد بن عبد الله الخليلي ، وكان جمهور أولئك العلماء باقين لم يتغير منهم إلا الإمام العلامة الكبير سيدهم عبد الله بن حميد السالمى رحمه الله ، وعاش الإمام الخليلي قريبا من أربعين سنة ، وهو يخطب خطبة واحدة ، وهو أعلم الجماعة الذين معه وهو أحد تلامذة العلامة السالمى أيضا ، وقد زاره علماء الآفاق ، ولم نسمع من أحدهم إنكارا لعمله بخطبة واحدة ، والذي يرى غير هذا الحال

اجتهادا لا نوافقه عليه بعد مضي أربعة عشر قرنا ، يأتينا اليوم يرى أنه أهدى سبيلا من أولئك العلماء الأجلاء ، والأساطين المشار إليهم ، فالحق ما مضى عليه علماؤنا وأئمتنا ، ولا خلاف لذهبهم .

وقد كتبت رسالة في الموضوع سميتها « الأصول المتبعة في أحكام صلاة الجمعة » وذكرت أمر الخطبة كما أشرت إليها هنا وبينت البعض من الأدلة المتبعة عند أهل العلم ، وسكت عن روى عنه غير ما عليه الأصحاب رحمهم الله ، وحسبنا اتباع آثارهم والاعتماد على أقوالهم ، والحق أحق أن يتبع وإن قل أهلوه ، والباطل أولى أن يترك وإن كثر ذوهه .

وإليك عبارة الإمام السالمى رحمه الله في هذا المقام قال : « وهذه خطبة الجمعة في عصر الإمام ناصر بن مرشد بن مالك اليعربى أعزه الله ونصره على البغاة » وهذا التعبير دال بمفهومه ومنطوقه على أنها خطبة واحدة ، وأنها أيضا هي التي يخطب بها طيلة حياة الإمام المذكور ، لاشتمالها على المواعظ العظيمة المطلوبة لهذا المقام الحافل للجامع للمسلمين ، الذين يهتموا بأمر دينهم وينظرون الى الآخرة بسستر رقيق ، أسود النهار رهبان الليل ، الذين شهد لهم الحق أنهم رجاله وأحبهم العدل إذ هم أبطاله ، وعشقهم الإيمان إذ قامت بهم أعماله ، وابتهج بهم الدهر إذ هم جماله ، حملت تلك الخطبة أعلام الهدى ، وأعلنت للمؤمنين الابتعاد عن مسالك الردى ، وحذرت المتدينين على اختلاف طبقاتهم من اتباع الهوى ، وعظ خالص له في القلوب تأثيره ، وتحذير عام له في النفوس تقريره ، يكاد يقضى على العقول التي تخاف الله ، كأنه يعبر عن مصارع الموت ، ويدل على مراسم الحياة الأخرى ، فيكثر الباكون اذا تلى عليهم ، ويخضع العاتون اذا ألقى اليهم نسجته أيادى الهدى ، على وتيرة البلاغة ، ووضعته صاغة البيان بأكمل الصياغة ، والله يزيد في الخلق ما يشاء .

إمامة الإمام سلطان بن سيف

نسب الإمام سلطان بن سيف بن مالك وفيه يلتقى بالإمام ناصر بن مرشد بن بلعرب بن سلطان بن مالك بن أبي العرب بن محمد بن يعرب بن سلطان بن حمير بن مزاحم بن يعرب بن محمد بن يعرب بن مالك بن يعرب ابن عمر بن نبهان ، بويع بالإمامة في اليوم الذي مات فيه الإمام ناصر رحمهما الله ، وكان كما قدمنا أحد قواد دولة لإمام ناصر ، وهو الذي فتح مدينة صور ، وطرد البرتغال منها في عهد الإمام ناصر .

قال شكيب أرسلان ، وهو يذكر الإمام ناصر بن مرشد قال : وخلفه ابن عمه سلطان بن سيف ، فنسج على طرازه في الاشتغال بإجلاء البقية الباقية من حامية البرتغال في سواحل عمان ، قال : وكانت له عيون على هؤلاء يقضون اليه بعوراتهم ، قال : فأرسل اليه سرا رجل هندي كان وكيلاً لأموارهم وموضع ثقتهم ، وقص قضية سكبيلة وكبريتا البرتغالي العنيد ، واستطرد في القضية بتمامها كما قدمناها عن المؤرخين العمانيين ، وذكر البارجتين اللتين تحاميان عن حصن مطرح ، وتضربان البلاد مطرح ومسقط .

قال : فقصدتهما العرب فذبخوا من فيهما أي وغنموهما ، قال : ولم يكتف سلطان بالفتك بالبرتغال في بلاده ، بل قصدهم الى بلاد الهند فأرسل بوارج حربية تغزوهم في ساحل كوجرات في الهند ، قال : فاجتاحت عساكر « الديو » و « دامان » وقفلت بغنائم وافرة وآنية كثيرة مما كان في الكنائس ، قال : ووجه سلطان بن سيف معظم همته الى ترويج التجارة وعمارة أسواق الأخذ والعطاء ، واستجلاب الأسلحة والخيول لتقوية جيشه ، قال : أنفق في هذا السبيل أموالاً طائلة ، قال : وجدد قلعة

نزوى ، وترك آثارا سالحة ، قال : وكان من أفراد الملوك فى سيرته فى الرعية ، وسداد آرائه وصواب أنحائه •

قال : وتوافدت الناس الى داره مرضيه ، وتسارعت الى امتثال أوامره واجتناب نواهيه ، قال : وكل ذلك بسابق المحبة والأمانة وجاذب الإخلاص والمناصحة ، قال : إذ كان يخرج كسائر الناس ويغشى المجمع ويختلط بالعامّة ، وهو بدون خفير ولا قرين ، بل خفارته من ثقة قومه وصحابته من معرفتهم لفضله وإجلالهم لقدره أ ه •

هذه الأخلاق التى ذكرها شكيب أرسلان ، هى أخلاق أهل الإيمان ، وإنها لجمال لذلك الإمام السيد الكريم الذى عرفه التاريخ وأثنى عليه البعيد والقريب ، بمثل هذا الثناء الفاضل ، فإن هؤلاء الأئمة الخمسة الذين سوف يتلى عليك تاريخهم ، هم جوهر اليعاربة ، بل جوهر أهل عمان فى ذلك العهد ، كما تخبر عنهم أعمالهم ، وكل أهل التاريخ فى الأفق المشرقى يثنون عليهم ويأسفون على فقدهم ، إلا أن الشريعة باقية ، والسيرة التى سار عليها الصحابة معروفة لمن أرادها ، ومن أراد غيرها تبعاً لهواه ، فلكل درجات مما عملوا والله يتولى من عباده الصالحين

وعلى كل حال لا بقاء للدنيا وإن طال العهد ، فهى سوق الآخرة وكل يأخذ منها ما يخلو له ، وفى حديث ابن رزيق : لم يمكث الإمام سلطان بعد البيعة بعمان إلا أياما معدودة الى أن أسرع الوثبة لحرب النصارى الذين بيدهم زمام بلدة مسقط ومطرح ، وهم المسمون البرتكيس •

قلت : هذا عرف أهل عمان فيهم ، قال : وهم يومئذ أشد النصارى قوة فى المملكة والسلطان •

قلت : اتفق المؤرخون على أن البرتغال فى ذلك العهد هم أقوى دول النصارى ، وبقية دولهم تخضع لأوامرهم • قال : وأما معسكر الإمام سلطان بن سيف بطوى الرولة من المطرح •

قلت : لم نعرف هذه الطوى بعينها إذ تبدلت الحال ، وصارت الطويان في مطرح خصوصا التي هي داخل السور ، قال : كان جيش الإمام من طوى الرولة بمطرح الى سدورى والسد المشار اليه هو الذى على ثغر وادى العدى ، الممتد هذا السد من الجنوب الى الشمال ، وعليه قلاع باقية الى عهدنا هذا ، قال : ومعه من الجند خلق كثير .

قلت : الجند هم الجيش الذى وصفه الممتد من طوى الرولة بالمطرح الى سدورى الآنف الذكر . قال : فطفق جنده يغزون البرتكيس صباحا ورواحا وهم أى البرتغال مستعدون لحربه لم يظهر له الجين ولا الإذعان .

قلت : الملك غال لا يباع رخيصة ، ولا يسلم بالهويينا . قال : وقد أفعموا حصنى مسقط يعنى الجلالى والميرانى وبرجها وسورها وجبالها برجالهم الشهيرة بالصبر على القتال . قال وحد غزوات عسكر الإمام سلطان بن سيف عليهم الى بئر الراوية من مسقط ، إذ هم قد بنوا على رؤوس جبال مسقط بروجا وأكمنوا فيها رجالهم أهل التفق ، أى البنادق ، وقد نصبوا سلسلة فى الهواء ، فكل من اقترب منهم من عسكر الإمام رموه برصاص التفق ، ومدوا سلسلة من حديد عليها سور من حديد من البرج المسمى الآن برج والدى محمد بن رزيق الى البرج المسمى الآن المربع ، قال : فلم يزل من كمنوا فى سور تلك السلسلة المذكورة يرمون من اقترب منهم من عسكر الإمام برصاص التفق .

قلت : لم أعرف معنى هذا السور الذى على السلسلة ، فالسلسلة لا يمكن أن يبنى عليها سور ، فلعل السلسلة على السور ، فيكون فى الكلام قلب فى التعبير . قال : وقد قبضوا الجبل المسمى السعالى من أوله الى آخره ، وقبضوا على جبل الملا من أوله الى آخره ، وصوت التفق من الكامين فى الجبال وسائر المقابض لا يفتر لا سيما اذا جن الليل .

قلت : ذلك ليهيئوا على أنفسهم خوفا من صولة العرب التي لا بد منها • قال : وحراسهم وجواسيسهم يترددون عليهم بالليل والنهار ، وقد أخذوا من حزمهم الغاية •

قلت : لا يعنى ذلك شيئا عندما يأذن الله بجلائهم ، قال : وقد بلغوا من الحذر النهاية ، وقد أفعموا الصيرتين أى الحصنين الصغيرين ، أو القلعتين اللتين على ثغر المينا بمسقط رجالهم المتقنين ضرب التفق والمدفع ، وما تركوا عليهم سبيلا ، فكانت الحرب بينهم سجالا •

قلت : ليست هذه الحرب الموصوفة بأنها سجالا ، ولكن ابن رزيق لا يتقن التعبير • قال : لا قدرة للبرتكيس أن يخرجوا الإمام وعسكره من المطرح ، ولا قدرة للإمام وعسكره أن يدخلوا مسقط على النصارى •

قلت : والتحقيق أن الإمام اقتضى نظره حصرهم فى مسقطهم وعلى كل حال أن كل محصور مغلوب ، وهذه قاعدة مطردة فى قضايا الحرب وأمثلتها لا تحصى •

قال ابن رزيق : بل كانت عسكر الإمام تزحف عليهم فيقتلون من يرونه حذاء الراوية فى الأرض ، ويقتلون من يرونه سائحا فى المكان الذى يسمى حلة العجم والبحارية ونحوهم ، ويرفعون أصواتهم الى من بالسور من البرتغال ، ناجزونا بارزونا فإن الشجاع مع الحرب لا يتحصن بالقلع والسيران ، ويعيرونهم طويلا أى لقصد تهيجهم للخروج من القلاع • قال : فلم يخرج منهم أحد لعلمهم أنهم ليسوا كفتوا لهم للمبارزة بالسيف والرمح الذى هو سلاح العرب إذ ذاك ، وسلاح العدو البنادق والمدافع التى تأخذ العدو من مسافة نائية ، وبقي المسلمون لا يقدرّون على الاقتراب من القلاع والسيران ، لأنها ترسل صواعقها الى عدوها من بعيد فتدفعه عنها •

قال ابن رزيق : الحرب على ذلك بينهم على تلك الحال حتى كاد الإمام وحزبه أن يثنوا عزيمتهم عنهم لعدم القدرة على الدخول عليهم .

قلت : حاش الإمام أن يثنى عزيمة عنهم ، بل لعله يعالج القضية بسياسة أخرى وأكبر شيء عليهم حصارهم بين تلك الجبال الشاهقة ، وقد قبض المسلمون البحر والبر ، فمن أين يأتيهم المدد ، وعندما يتحققون الضيق سيطلبون الخروج بأنفسهم ، لكن من قدر الله أن وقعت تلك القضية بين رئيس البرتغال المسمى فرفرة ، ونورتم القائد الهندي وهو المعروف عند أهل عمان بالبانيان ، وهم قوم يعبدون البقر لعنهم الله ، ثم جاء ابن رزيق بقضية الزواج التي قدمنا ذكرها ، فكانت السبب الفاتح للمسلمين ، ولعل دعوات أهل الإيمان استجيبت لهم ، وأذن الله بزوال هؤلاء الكفرة الفجرة ، الذين طغوا في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ، وسرد ابن رزيق القضية كما هي عادته بكلام طويل يحصره يسير الكلام ، وربما أفاد في بعض المواضع فلا نعيدها مرة ثانية .

ولما اقتحم المسلمون السور ودخلوا مسقط الداخلية ، زحفوا على الحصنين فأحرقوا أبوابهما بالنار ، ولم يجد من فيهما ما يدافع به فسلموا الأمر راغمين ، وقضى عليهم طالع النحس بالزوال ، ليسترد أهل الحق حقهم المغصوب ، وكان الإمام سلطان هو قائد الجيش ، ولما وصل بالجيش عقبه الوادى أحضر القوم وجدد البيعة معهم ، وأخذ عليهم العهد والميثاق على الصبر على الموت ، فبايعوه على ذلك ومضى بهم وشعارهم الله أكبر ، اللهم انصر المسلمين على عدوهم .

ولما دخلوا خذل الله المشركين ، وأيد الله المسلمين ، وقوى قلوبهم وشدد عضدهم ، فكانت الدائرة على أهل الكفر . فكان كما قيل إن الدماء سالت الى البحر ، ولم يبق إلا أمر البارجتين أراد المسلمون الزحف عليهما فشاور الصارمى الصارم المغيوتى البطل ، فخرج الى الداخلية وجاء برجال

معدودين انتخبهم لمعرفة بهم ، وأطمعهم بالمال الجزيل ، فتقاعصوا على البارجتين كالأسد على فرسيتهما فاصطلموهما بأسرع وقت ، وانتهت قضيتهما إذ ذبحوهما ، وقادوا البارجتين الى الإمام ، ولا تسل عن سرور الإمام والمسلمين ذلك اليوم الذى قلع الله فيه تلك الشجرة الكافرة ، ومحا فيه أرسم الباطل •

وأخذ الإمام رحمه الله فى جلب المعدات الدولية ، ومن جعلتها الخليل ، فجمع منها كثيرا سيأتى ذكرها فى إمامة ولده سيف ، وفتح أبواب التجارات الى العالم من كل صوب ، وجلب لعمان الخير من جميع النواحي ، فأمنت الرعية ، ودرت الأرزاق ، وكثرت الأرباح ، وعلا شأن العمانيين بين أمم العالم ، فنظرت اليهم الأمم بأعين الإجلال والإكبار ، إذ هم الذين قلعوا تلك الشجرة الملونة فى القرآن ، وولى الإمام على مسقط سيف بن بلعرب اليعربى ، وترك معه عساكر جمة ، وأمره بالحزم والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ونزول الرعية الى الحكم بالسوية ، ورفع الجزية عن نورتم وأهل بيته جزاء إعانتته •

ورجع الإمام الى نزوى فاهتزت عمان له فرحا ، وعلت البشرى على أوجه أهلها ، وأتاه أهل نزوى أكابرها وأصاغرها يهنئونه بالنصر والظفر والفتح الذى وفقه الله له ، وأذل به المشركين ، وعلى أثر ذلك أمر الإمام بمطاردة المشركين فى سواحل عمان ، فاستفتح « الديو » ضربة أخرى لأهل الكفر ، ودمر وكلابوه وعكة ، فملا العالم الشرقى فى آسيا هيبه ورعبا ، واختفت بغاة أهل عمان الذين آذوا الإمام ناصر ابن مرشد ، وسقط فى أيديهم ، ورأوا أنهم رهن إشارته ، وأنفق على بناء قلعة نزوى لكوكا وملايين ، وبهر بها أعداء الدين ، وأصبحت حتى

الآن مفخرة المسلمين ، وأحدث فلج البركة الذي هو بين أزكى ونزوى ، وهو الى أزكى أقرب ، وعامل في التجارات للدولة فربحت كثيرا من الأموال التي قوم بها أود المسلمين ، فإن الدول بالمال ، ألا تسمع قول بنى إسرائيل : ولم يؤت سعة من المال ، فاستكروا أن يكون ملك وليس عنده سعة مال •

أخلاق الإمام سلطان

كانت للإمام سلطان أخلاق كريمة ، وخصال حميدة ، عرف بها في الأمة ، لأنه تربى في أحضان إمامة معروفة بالتقوى ، مشهورة بالورع ومجانبة الأهواء ، كان رحمه الله لين الجانب لإخوانه ، رءوفا بهم شفوفا عليهم ، خاليا من الكبرياء ، نزيها ، مما تعاب به الرجال ، يؤيد الحق على الباطل وإن كلفه الحال فوق المنتظر .

وصفه الإمام السالمى رحمه الله قال : كان متواضعا لرعيته ، ولم يكن محتجبا عنهم ، وكان يخرج في الطرق بغير عسكر ، ويجلس مع الناس ويحدثهم ويسلم على الكبير والصغير والحر والعبد ، ووصفه صاحب فواكه العلوم بصفات رائعة فقال : أضحى رحمه الله قوى الجنان باسط البنان ، بنيانا مرصوصا في الهيجاء ، سحابة وطفاء في العطاء ، مرتديا برداء العفاف والورع ، ولا يهوله من عدوه فزع ولا تأخذه في دينه محاباة ولا طمع ، عامرا للديار وحافرا للأنهار ، غارسا للأشجار ، ليعيش فيها ضعفاء المسلمين الاتقياء الأبرار ابتغاء مرضاة الملك الجبار ، متأسيا بالرواية السالفة عن السلف الصالح : اعلم ما شئت كأنك تموت غدا وأمر ما شئت كأنك لا تموت أبدا ، وهذا من قوته وحذاقته ، حوى على كلتا الحالتين سخيا سمحا بنوال المسألتين ، سيذا وسندا ووليا من الصالحين ، قال : وكثير من فضائله لم أحص عدما .

قلت : هذه لا تحتاج الى زيادة وأخلاق ، هي من مكارم القادة ، وقد أثنى عليه بما لا مزيد عليه ، والخلق شهود الله في أرضه ، والحقيقة أن أخلاق الانسان هي الشاهد الصحيح كيف كانت ومهما كانت ، وإن قيل غير الواقع لا يثبت إلا الحق ، وإذا أحب الله شخصا هداه للحق بإذنه ، وأرشده الى المرضي عنده ، والله في خلقه أسرار ، وهذه الشجرة اليعربية أظلت أناسا في هذا العالم من لفتح سموم الجور والظلم ، وأعزت رجالا أصبحوا بها قادة الأمة ومن ثمارهم تعرفونهم .

أعمال الإمام سلطان في عمان

لقد قدمنا أن الإمام ناصر بن مرشد هو الذي أزال غناء البغي من عمان ، ووضع كرسى العدالة بين أهلها ، وأنعش ميت الحق وأمات إحياء الباطل ، وطهر عمان من معرة الفساد والضلال ، حتى صار الورد صالحاً والماء صافياً للوارد ، وحبال السوء طراً رثها فما عادت تصلح إلا للمزابل .

وعندما بويح الإمام سلطان ، وجه عنايته الى تقوية الهيئة الحكومية أولاً ، وتأييد العدالة بالقوة الفعالة . قال صاحب كشف الغمة : فقام بالعدل وشمر ، وجاهد في ذات الله وما قصر ، ونصب الحرب لمن بقى من النصارى بمسقط ، وسار عليهم بنفسه حتى نصره الله عليهم وفتحها بإذن الله ، وقام يجاهدهم أين كانوا وأين وجدهم في بر وبحر ، فاستفتح كثيراً من بلدانهم ، وخرّب كثيراً من مراكبهم ، وغنم كثيراً من أموالهم ، ففيل إنما بنى القلعة التي بنزوى من غنيمة الديو من أرض الهند ، وسيأتى الكلام على بنيانها في محله إن شاء الله .

وقام بنشر العلم فكثرت الفقهاء ، واعتمرت عمان في دولته ، واستراحت الرعية وازدهرت البلاد بحسن السيرة ، ورخصت الأسعار وصلحت الأثمار ، وكان خير خلف لخير سلف ، هذا وصف أعماله عند هؤلاء ، وذلك وصف إجمالي كما هو شأنهم .

والذي يعبر عن أعمال هذا الإمام العظيم تعبيراً صحيحاً يضيق به المقام ، فإنه لما تولى الأمر أول شيء ، جعله نصب عينيه تطهير البلاد من كل رجس أجنبي ، فساق جيشاً ضخماً فيه أبطال الرجال الذين هيئتهم دولة الإمام الراحل ، وعلمتهم العمل المطلوب منهم في المستقبل ، نزل الجيش بسبيح الحرمل الذي تقع عليه الآن مطرح الكبرى ، فملاه

حتى الوطنية ، وفي نفس الليلة لدغت ولده الإمام سيف بن سلطان حية
في سيح الحرمل ، إذ كان أرضا خالية احتوت عليها الحشرات الأرضية ،
فقيل للإمام في ذلك إنا نرى فألا غير صالح ، فقال ما جئنا إلا لإحدى
الحسنين ، جئنا للموت لا للحياة إلا اذا يسرها الله لنا ، وما أحب أسمع
مثل هذا الحديث أو كلاما هذا معناه ، وبعد صلاة الفجر زحف الجيش
على مسقط فكاد يطير إليها شوقا •

مسقط في العهد البرتغالي

لا يخفى أن البرتغال مازالوا يتوقعون زحف العمانيين عليهم مادام علم إمامتهم يرف على رؤوسهم ، ولذلك قاموا بتحسين مسقط تحصينا كاملا ، ووضعوا قواتهم الهائلة بها ، وحصنوها كما قال ابن رزيق وغيره من المؤرخين عربا وإفرنجيا . قال : فسورتها النصارى من حد جبل المكلا الى جبل السعالى .

قال : وأحدثت فيها حصنين كبيرين شرقيا سموه الجلالى باسم بانيه ، جلال خان ، وغربيا وسموه الميرانى باسم بانيه ، وهو ميران ولعله ميران خان . قال : وأحدثوا فيها صيرتين أى قلعتين صغيرتين مانعتين من دخول العدو للمينا ، لأنهما تطلان عليه ، وبنوا عليها سورا ضخما لايزال أثره باقيا حتى الآن يفصل البلد نصفين ، نصفه الداخلى لهم ، والنصف الذى خرج عنه للأهالى ، وجعلوا نفس القسم الداخلى حصنا حصينا ، إذ جعلوا على نفس السور بروجا ضخمة وقلعة ضخمة ، سموها قلعة كبريطة ، وهو قائد هندي معهم ، وسيأتى ذكره بعد هذا المقام ، وأقاموا أبنية ضخمة على جبال مسقط ومطرح وجعلوا للطريق خمس عقبات ، كل عقبة عبارة عن قلعة من حد المطرح الى مسقط ، وآخر هذه العقبات من ناحية مسقط عقبة ريام ، وأولى العقبات من أول المطرح الى أول ريام ، وتعرف بعقبة الخيل ، والثانية التى اليها أنفا المطة من الجانب الشرقى على مسقط ومن الجانب الغربى على ريام ، والثالثة من محلة كلبوه الى مسقط ، والرابعة من آخر مسقط على جهة سداب وتعرف بعقبة سداب ، والخامسة من آخر مسقط الى الوادى الكثير المفضى الى روى ، وجعلوا على هذه العقاب السلاح المناسب لذلك الوقت .

وهذه العقاب فى غاية الصعوبة ، وقد كسرت هذه العقاب مرات عديدة لاقتضاء الوقت ذلك ، وعادت الآن بالأرض لا يعرف الجيل الحاضر عنها شيئاً إلا أسماءها ، وملئوا مسقط من رجالهم الأتقياء ، وكما أنهم مازالوا يعاهدون الإمام ناصر ثم يخونون لما مات الإمام ناصر نكثوا العهد الذى وقع أخيراً ، ورأوا أن قوة العمانيين سيؤثر عليها موت الإمام المذكور ، وبذلك قطعوا أولاً الجزية التى كانوا يؤدونها للإمام ناصر ، ومنعوا المسلمين من دخول مسقط ، وأظهروا عتوا وعتادا وتكبراً ، وضاعفوا قواتهم على جبال مسقط ، وجعلوا أشد رجالهم عليها ، ومدوا سلسلة حديد فى رأس الجبل المشرف على محلة ميايين ، وعلى الوادى الذى يمر على محلة برزنجى الى الجبل الذى به الآن البرج المربع ، وهو الجبل المشرف على حلة الأفغان ، وجعلوا على هذه السلسلة سورا من حديد ، وأكمنوا فيه رجالاً من قومهم ليصدوا المسلمين عن الوثبة عليهم من نفس السور ، وكانوا حفروا خندقاً يحيط بالسور من خارجه ، وأطلقوا عليه البحر الصغير الذى هو شرقى الباب الصغير ، وهذا يدل أن البحر كان يخترق الرقعة الداخلية من مسقط ، وإنما خفى الآن وجوده لتبدل المكان بما طراً عليه من بناء جديد ، ومن كيس ومن تبديل .

قال : وجعلوا على السور عساكر جمة ، قال : وكان للنصارى وكيلان من البانيان أى الهندوس ، يسمى أحدهما سكبيلة والثانى نورتم ، أى هما قائدان عنيدان يقومان بتأييد الحامية ، وينظمان الأمور ، وقد تمرسا بأحوال أهل عمان وعرفا حرب العمانيين ، ولذلك كانا هما اللذان يرشدان النصارى الى الأحوال الحربية التى يستدعيها الوقت . ومسقط ذلك العهد ليست هى مسقط عهدنا الحالى ، فإنها كانت الجبال الشاهقة محيطة بها ، ولا يصار إليها إلا بجهد جهيد ، ولا مدخل إلا من طريق

البحر ، فيجر القوارب الصغار جرارون ، ويسرون وهم رهن الخطر
هذا في حال السلم ، فكيف بحال الحرب أما الطرق التي هي لها الآن
ما كانت في الحسينان ، ولا يأتيها إلا القوى الشديد ، ويصلها باك تعب ،
وبغاية النصب ، والأموال تخرج منها بطريق البحر فقط ، أما مساجد
السنية فيها فحديث من عهد جديد ، وأولها مسجد الزواوي يوسف بن
أحمد ، ففى عهد السلطان فيصل ، ومسجد على بن موسى كذلك ، ومسجد
نصيب في عهد السلطان تيمور •

الضغط يسبب الانفجار

كان من القضاء والقدر الذى يمهّد السبب لتأييد المسلمين على عدوهم ، هو أن لسكبيّلة اللعين بنتا جميلة رآها أمير الحصن الشرقى فعشّقها ، فأرسل الى سكبيّلة يخطبها ، وبذل فى زواجها مالا كثيرا ذهباً وفضة وجواهر ثمينة ، فشق هذا الطلب على سكبيّلة وعظم فى عينه لأنه غير مألوف بينهم وفى طبيعة النفس النفور من غير المألوف ، ولذلك نفر النعمان بن المنذر من تزويج كسرى أنو شروان ، حتى عظم الخطب ، وأدى الى ما أدى اليه مما يعرفه كل أحد ، وأصر سكبيّلة على عدم تزويج البرتغالى حتى جابهه قائلاً له : ما كان فى القديم ولا فى الحديث التزاوج بيننا ، وهذا شئ لا يمكن أن يكون بيننا الآن ، فغضب البرتغالى وهو يرى أن سكبيّلة مأموره ولا يمكن أن يخالفه ، لأنه هو الذى ولاه أمر الحصن الكبير ، وجعل اليه الزعامة فى أوامره ، فهدده إن لم يمتثل ، فتحقق سكبيّلة أن من راء الامتناع الهلاك والدمار ، ويستولى النصرانى على المرأة غصبا ، فبلغ الضيق منه مبلغه ، فأراد أن يرميه بداهية تقضى عليه وتسحقه ، وعند ذلك تلاين سكبيّلة لرئيسه فى أمر المرأة ، وقال له : إن كنت معولاً على هذا الحال وراغباً فيه فالأمر سهل لا تعز عليك بنت ولكن أمهلنى الى كذا وكذا من المدة ، وفى رواية أمهلنى سنة حتى أتمكن من صوغ ما يلزم لبناتنا الأبيكار فى أعراسنا ، فاذا تم الصوغ المطلوب ووصلنى دفعت اليك المرأة فأمهلنى لهذا الصدد فسر النصرانى بذلك وابتهج ورفع منزلة سكبيّلة ، فكان لا يطل ولا يعقد إلا بمشورته واصطفاه تماماً •

ولما رأى سكبيّلة التمكن من القائد ، قام للعملية التى هياها فى نفسه للانتقام من هذا الطاغية العنيد ، فقال له : إن الماء الذى فى الحصنين قديم فيه دود ، وأخشى أن يطول الحصار علينا من المسلمين ، فالرأى تجديد الماء وكذا البارود ، فإنه فاسد والرأى تجديده ،

وهذا البارود الخاص بالمدافع إذ كانت في ذلك العهد يلتقى في بطونها البارود لكل طلقة ، ثم تلتقى الرصاصة عليه ثم تضغط بالمدك وهكذا . قال : والرأى تجديده بالدق أيضا ، فأجابه الى ذلك وتخليه ناصحا له في ذلك ، وهو وإن كان الواقع كذلك ، إلا أن سكبيلة كان له غرض الانتقام من النصرانى الذى أراد أن يرغمه بزواج ابنته ، فنسج حيلة يسلم لها القائد ، ولا يجد فيها إلا ظاهرة النصح ، فأخلى سكبيلة الحصنين من الماء ، وأخرج البارود للدق مرة ثانية ، وإذ ذاك كتب للإمام عن الواقع وأخبره عما جرى له من النصرانى العنيد ، وأرشده على الوثبة على السور ، وبين له الوقت المناسب لذلك ، وهو يوم الأحد عند طلوع الشمس ، ذلك اليوم هو عيد النصرى ، فكانوا يشربون الخمر ، ويدقون الزمور ، ويضعون السلاح ، ويشتمغون بالأقراح طربا ولها فاعتنم المسلمون الفرصة ، وتوجهوا الى العدو بقلوب متحمسة ، صالوا صولة الأسد الهائجة على فريستها .

وكان الإمام البطل في المقدمة ، فاقتحموا السور وتهاووا على الحصون ، كالعقبان المنقضه من السماء ، فاختلفوا هما في الحال ، وقتلوا من كان فيهما من النصرى ، وفي نفس الواقعة يقول ابن رزيق : أخبرنى غير واحد أن الإمام سلطان ضرب واحدا من النصرى في الجزيرة ، وهى قلب رقعة مسقط الداخلية ، وكان النصرانى لائذا على مدفع هناك كبير ، فالتف بعصفور المدفع وهى الجديدة النائثة فيه لسحبه ، فقطع السيف عصفور المدفع ، وفخذى اللعين فجل الخبيث يقول لكل من مر به من المسلمين : ما هى إلا ضربة واحدة قطعت العصفور وفخذى ، ولم يفتر عن ذلك حتى مات ، وتولى الإمام وجنوده مسقط ، ولم يبق له محارب إلا كبريته ، وكان شجاعا مقداما عنيدا ، وكان بيده القلعة التى على السور المعروفة بقلعة كبريته ، فكان يهاجم المسلمين ببسالة فائقة ، واستمرت المعارك بينه وإياهم أياما حتى حان حينه فى سوق البز من مسقط ، فحصره رجال الإمام المصاليث ، حتى قضوا عليه هنا هو ومن معه من

الجنود ، وطهر الله الأرض منهم ، وانتهى أمر مسقط وبقيت حامية المطرح ، فاستول عليها الرعب وكادت تضيق بها الأرض ، وهناك بارجتان من بوارجهن في المرسى تحاميان على الحصن ، فتجرد العرب العمانيون لهم بعزم أقوى من الحديد وأدهى من الموت •

فزحفوا عليهم في سفن صغار فهاجموهم في البحر ، فقتل في أثناء الهجوم أكثر الجنود البرتغال ، ولم ينج منهم إلا من حبسه الأجل ، ولما رأوا لا بد من الاستسلام سلموا الحصن للإمام وطلبوا من الإمام أن يعبرهم الى جوه فعبرهم ، وتولى الإمام كلها ، واحترم الإمام سكبيلة ونورتم ، وعفاهم من الجزية عنهم وذراريهم ومن كان من أقاربهم لمناصحتهم للمسلمين في هذه البادرة وتحقق قولهم الضغط يسبب الانفجار ، ولى هذه الحرب يشير الشيخ خلف بن سنان الغافرى في قوله :

ثم أورى لمسقط سقط عزم
أسقط الظالمين منه ضرام

فطار طائر البرتغال من الأوكار العمانية ، وتركها لأهلها راغما ، فعاد الحق لأهله •

وفي القضية وأمثالها معتبر رائع يفهم منه الانسان الكونية التي تخرجها الأيام ، فكانت أيام الباطل قائدة للأجنبي ليحتل بيضة المسلمين ، ويتمركز في أركانها ، وعادت أيام الحق تمحو ذلك الباطل البغيض ، وهكذا الأيام تبرهن للعاقل عن الغراس الصالح ، وعن المزارع الوبائية التي يزرعها الظالمون •

وكان احتلال المسلمين لمدينة مسقط في يوم عاشر من شهر رجب سنة ١٠٥٩ ، وتتابعفت الفتوح بعد ذلك والحمد لله •

الحق تحت ظلال السيوف

لما انتهى إجلاء النصارى البرتغال ، الذين يسميهم أهل عمان البرتكيس ، من عمان تماما نظر الإمام رحمه الله أن العدو خرج ولا بد إن استطاع أن يحيك المؤامرات العدوانية مهما كانت ، وأيا كانت ، وما ينبغي لنا أن نقبع في مخدعنا نترجى نزول العدو علينا مباغتاً لنا ، ولا ندري ماذا مبلغ فعله فينا ، وقد ثبت عن نبينا عليه الصلاة والسلام قوله : (ما غزى قوم في عقر دارهم إلا ذلوا) .

فينبغي أن نتقدم للعدو ليكون الرعب ملازماً له ، والخوف محيطاً به ، وهكذا .

ولما كان مقر العدو الهند وجه الجيش اليهم بها فتغلغل في الهند حتى اجتاح ساحلها ، وقبض على طرقها البحرية ، فهاجم الديو وهي أقوى بلاد الهند إذ ذاك ، فافتصها وغنم منها أموالاً طائلة ، وساق ستة آلاف أسير دخلوا عمان فأسلموا واندمجوا في أهلها ، وبنى من غنيمتها قلعة نزوى التي لبث بناؤها اثنتي عشرة سنة ، فكانت المثال الرائع .

ظفار قطعة من عمان

لما كانت ظفار كالجزء من عمان ، أو كالجارحة من الجسد العماني ، تولاها الإمام سلطان ، وجعل فيها حامية عمانية لئلا يتطرق عليها العدو إذ ذاك ، فيتمركز فيها ويكون شره لعمان من الجسم العماني •

ولما انتقل الحفاظ على عمان الى البحر الأحمر ، وكانت ظفار من ضمن قلب المملكة العمانية ، تركها الجيش العماني إذ لا محذور هنا والجيش قد ضرب أطنابه في البحر الأحمر مطارداً لأكبر دولة استعمارية كافرة بالله عز وجل ، ثم أقبل عزم الإمام على المحيط العماني ليحفظ القطر من جميع جهاته ، خرج الجيش الذي كان في ظفار وخلف بها مدافع وآلة حرب ، وعند ذلك ظن ملك اليمن أن إمام عمان وقع عنده ضعف واخلل ، وسرعان ما سحب الى ظفار واستولى على المدافع وقبض البلد •

ولعل بعض أهلها دعاه الى ذلك ، فلما علم الإمام بالواقع وكان في أول نشاط دولته لم ينزل الضعف منه منزلاً ما ، ولكنه لم يشمئز من نزول الملك المذكور ، وهو اسماعيل بن القاسم من ذرية علي بن أبي طالب ، وإنما اشمأز من أخذ المدافع ، وتجاسر الملك عليها مع علمه بأن وراءها سائلا عنها وغيورا عليها ، ولعله تصور له ضعف إمام عمان أو بعده عن البلاد ، مع أن البلاد شافعية المذهب ، وأهلها بدو أشبه بالرحل إن لم يكونوا رحلا ، وأن إمام عمان ما سحب جيشه إلا لداع دعاه الى ذلك ، فكتب له الإمام في ذلك كتابا جميلا لا يطلب منه إلا رد المدافع ، وسكت عن البلاد استبقاء له ، وإبقاء للصحة التي يستدعيها الوقت بالنظر الى العدو الذي يطارده الإمام حتى يرى منتهى الأمر ، وما كان كتاب الإمام إلا كتاب أخ لأخيه ، أو كتاب صديق لمصادق •

ولما وصل الكتاب الى اسماعيل بن القاسم ، شخر ونخر وأرعد وأبرق ووعد وتوعد ، وصال وهدد ، وجاء كتابه مشحونا بالصواعق التي يكاد فحواها ، يمحو الإمامة العمانية من عقور دارها ، فاستغرب الإمام ذلك الطيش والفرق الذي سمعه من هذا الانسان الذي ينتسب الى سلالة على بن أبى طالب ، وما كان يحمل به ذلك ولا يليق الطيش والمنزق بأهل المناصب ، وليته ترك الجفا ، وعدل الى نهج الصفا ، ولو لم يكن فيه وفا ، فلم يجبه الإمام عليه وإنما أجابه بأساطيل تمحو الأباطيل ويرجال تزيل الضلال ، وقد أخبره في كتابه حيث يقول :

ثم لتعلم أيها الملك أنه وصل إلينا في مدة أيام قد تصرمت ، وشهور قد تخرومت ، رجل من جنابكم يزعم أنكم أرسلتم بيده طروسا بها درر من رائق لفظكم ، وخطبكم ، غير أنه يقول إن المركب الذي أقبل فيه عابه الانكسار ، فغرق في اليم ، فأدرك الطروس المسطرة حكم التلف ، ثم بيد أنه قد أفاه إلينا من نفايح لسانه ، واتضح لنا من واضح نطقه وبيانه ، أنكم علينا عاتبون ، ومنا واجدون لأجل قطع خدامنا في العام الماضى مراكب رقاب المشركين على بابكم ، وأخذهم لسفنهم الواردة لجنابكم ، ولعمري إنا لندرى أن العتاب بين الأخلاء عنوان المودة الخالصة والصفاء ، وزايد محض المودة الصادقة والوفا ، غير أنه يجب عند اقتراف الجرائم ، وإنتهاك المحارم ، فإننا نحن لم نقصد الى إنتهاك ذلك سبيلا ، ولا نجد لك على إلزام فعل ذلك دليلا ، إذ كنا لم نجهز مراكبنا ، ونتخذ مخالبتنا ليسارة رعينك ، ولا استباحة دم أهل حكمك وقضيتك ، ولكن جهزنا الجيوش والعساكر ، وأعدنا للهازم والبواتر ، لتدمير عبدة الأوثان ، وأعداء الملك الديان ، تعرضا لرضاء رب العالمين ، وإحياء لسنة نبيه الأمين ، ورغبة في إدراك أجر الصابرين الجاهدين ، وحاشا لمثلك أن يغضب لقتل عبدة الأوثان والأصنام ، وأعداء الله والاسلام ، ألسنت من سلالة على بن أبى طالب ، الساقى المشركين ربي المشارب ، وأنت

تدرى بما جرى بيننا وإياهم من قبل في سواحل عمان وفي سائر الأماكن والبلدان ، من سفك الدماء ، وكثرة الصيال ، وتناهب الأملاك والأموال ، وإنا لناخذهم في كل موضع تحل به مراكبهم ، وتغشاه سفنهم ، حتى من كنج وجيون بندرى الشاه ، ولم يظهر لنا من أجل ذلك عتابا ولا نكيرا ، وإن كنت في شك فاسأل به خيرا .

أولا نذكرك أيها الملك والذكرى تتفع المؤمنين ، وإنا لك من المنذرين ، عليك من المحذرين ، إنا لما ملكنا تلك الايام بلدة ظفار ، وهى عنا نازحة الفيافي والقفار ، ولم تر في ملكها صلاحا لشيء أوجبه منا النظر ، وحاكته الأذهان والفكر ، فتركناها لا من خوف قوة قاهرة ، ولا كلمة علينا ظاهرة ، ولا يد غالبية ، ولا كف سالبة ، وحينما خرج عنها عاملنا خلف بها شيئا من مدافع المسلمين ، لغفلة جرت عن حملها في ذلك الحين ، ولما ملكتم أنتم زمام عيسها ، واجتليتم ضوء بدرها وشمسها ، لم تدفعوا لنا تلك المدافع ، كأن لم يكن وراءها ذائد ولا دافع ، فاعلم أيها الملك أن البعل غيور ، والليث هصور ، والحر على غير الإهانة صبور ، ومن أنذر فقد أعذر ، وما غدر من حذر .

على أننا في إصلاح ذات بيننا وبينكم راغبون ، ولإطفاء الفتنة وإخماد المحن بيننا وإياك مؤثرون ، فإن كنت راغبا في الذى فيه رغبتنا ، وطالبنا لما له طلبنا ، فادفع لنا إياها ، ولا تحتس بسرعة الاعتداء حميها ، وإن أبيت إلا الميل الى اغتنامها ، والجزم على خبط ظلامها ، ففى الاستماعة بالله على من اعتدى سعة ، ومن كان مع الله كان الله معه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، والسلام عليك ورحمة الله .

فالإمام سلطان رحمه الله يذكر ملك اليمن بحال الكفرة وأفعالهم ، وما دار بينه وإياهم في سواحل عمان ، وأن رجاله يحتلون الأعداء حتى في كنج وجيون اللذين هما من أكبر بلاد إيران ، ولم ينكر عليهم الملك

الفارسي الذي هو أعظم من اسماعيل بن القاسم ملكا وأكثر قوة وأنصارا ، ولم يطلب الإمام من اسماعيل الا المدافع فقط ، وجعل المسلم أخا للمسلم ، فنحن تركناها وهذا مسلم تولاها ، وأن المحذور أن يتولاها الكافر عدو الكل ، ثم إنها أى المدافع مال مسلمين ، ولا يحل مال المسلم بحال من الحال .

والإمام يذكره الصحبة ، ويحيله الى إبقائها والى عدم الشقاق والفتنة ، ولكن الرجل غلب عليه الطيش ، ولم يتحاش عنه ، ولذلك يؤسف عليه ، والواضح من خطابه أنه منتهور ، حيث قال . إنها أى المدافع أول غنيمة من قطرك الشاسع ، كيف يجعل مال المسلم غنيمة ، وهذا شيء حرمه الشرع الى آخر ما جاء في كتابه .

ولم نذكر الكتابين معا لأنهما موجودان في سير المسلمين : محفوظان فلا نطيل بذكرهما ، وإنما أشرنا اليهما وذكرنا فقرات من كتاب الإمام ، لندل بها على الصدد المطلوب .

وقال الإمام السالمى رحمة الله بعد ذكرهما : وبكل أسف لم نعثر على جواب الإمام على هذا الكتاب . قلت : المفهوم من هذا أن هذا الكتاب لا جواب له عند الإمام إلا أحد شيئين ، إما السكوت والإغضاء عنه وعن المدافع إبقاء للسلام ، وإما أن توجه اليه مدافع أخرى تسترد تلك المدافع .

قال الإمام رحمه الله : وما أظنه إلا كما قال الشاعر :

وهل تغنى الرسائل في عدو
إذا ما لم تكن بيضا رقاقا

قال : وأئمتنا بحمد الله تعالى ممن ذكرهم الله في كتابه بقوله :

(وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما • والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) الى قوله تعالى : (والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما) فهم الأئمة الفعالة ، وغيرهم الأئمة القوالة ، وكان هذا الرجل زیدی المذهب ، وكأنه يثبت الوصاية لعلی •

قال • ودلائل الحال تقتضى أن بينهما وقائع ، ولكن لم نطلع على ذكر شيء من ذلك ، وتمكن هذا الإمام من اليمن والهند وغيرهما يقتضى أن الأمر صار على خلاف ما يزعمه ملك صنعاء ، وكذلك تمكن الأئمة من بعده فإنهم ذكروا لهم من القوة والسلطان ، والتمكن من البلدان النائية والأقطار القاصية ، على ما سيأتى ذكر بعضه ، وذلك يقتضى أن الإمام ومن بعده من الأئمة تمكنوا من اليمن وغيرها ما خلا صنعاء ، فإننا لم نجد تاريخا في التمكن منها نفسها ، وأما آثارهم فظاهرة في أطراف اليمن ، والله أعلم بما وقع بعد تلك المخاطبة الى آخره •

معارك الجيوش العمانية للإفرنج

إن معارك الإمام سلطان للإفرنج بواسطة قادة جيوشه عديدة ، لا يسع المقام ذكرها تفصيلا ، فإنها تستدعى مؤلفا مستقلا ، ذكرها المؤرخون وذكرها الشعراء العمانيون في مدائحهم ، وأولها مسقط ، وقد ذكرناها لأن ذكرها ضروري ، إذ هي المفتاح الذي للقفل البرتغالي ، ومنها وقعة كنج أكبر وقعة بين العمانيين والبرتغال ، بلغ صداها أقصى بلاد الشرق واهتز لها العالم وسباهم الجيش ، وقاد سفنهم الى عمان ، وساق الغنائم وإليها يشير الشيخ خلف بن سنان حيث يقول :

ولدى كنج كان منه لهم ما
كاد منه تدكدك الآكام

أى كاد الجبال تندك منه ، وجاء البرتغال في غزوة من غزواتهم ، فأحرقوا الدوحة من ضواحي مسقط ، وذلك بعد « غزوة الديو » ، وكان قائد الجيش الى الهند راشد بن على ، الذى مدحه الشيخ خلف ابن سنان في قصيدته الميمية ، وكان السبى ألفى أسير ، وفى بعض النقل ستة آلاف أسير ، أشرنا إليهم فى « العنوان » ، وغنم منهم كتوزا عظيمة ، ووقعة ممباسة التى هى مضرب المثل فى الوقائع ، كما ذكرها المؤرخون ، واصطلمها منهم ورفع العلم العماني عليها عهدا •

ومنها وقعة كلوة وهى وقعة قادت ذلك الصقع معها راغما ، وقادها العمانيون من أنفها صاغرة ، وزاد نشاط العمانيين ، وظلوا يتقاصمون على تلك القرى تقاحم الأسود الصائلة •

ومنها وقعة زنجبار ، ولا تسل عن استبسال العمانيين فيها •

ومنها وقعة بمبى خاصة ، فكان الأهالى يفرون منها الى برارى الهند

النائية خوفا ، ووقعة مخا ، ووقعة باب المنذب في البحر الأحمر ، وقعتان
اصطلم العمانيون فيهما جنود الكفر ، وقادوا البواخر بما فيها غنيمة
أصبحت ترفع العلم العماني في البحر الأحمر ، وهو يهتز لها هيبة ، ويقلق
لها رعبا ، واستفاد الشراة الذين احتلوا هذه الوقائع آلفا طائفة •

ومنها وقعة مسبيج التي قهر فيها الأعداء ، وقطعت رؤوسهم
إلا ماشاء الله ، ولم يحصنها من الاحتلال العماني حصن ولا قلعة •

ومنها غزوة (بنة) وقائد الجيش الشيخ الصارمى محمد بن مسعود
صاحب عين السواد في أمطى ، فاحتلها بعد قتل ذريع وقهر سريع ، وفيها
قال قصيدته الحائية ، وفيها قال الشيخ خلف بن سنان قصيدته الرائية ،
ومطلعها :

هو السيف مقرون به العز والنصر

وكانوا فقط مائة وعشرين رجلا يتغلغلون في الهند لا يباليون بما
يلاقون أن أيام الإقبال زهراء ذات بهجة تكاد بطبيعة الحال تتصرف
في صالح الأمة •

وتوفى الإمام سلطان رحمه الله يوم الجمعة الذي توفى فيه الإمام
ناصر بن مرشد رحمه الله ، وكلاهما توفى وقت الضحى ، لكن الإمام
ناصر توفى في يوم عاشر من ربيع الآخر ١٠٥٩ سنة وهذا توفى يوم سادس
عشر من ذى القعدة ١٠٧٩ سنة •

الإمام بلعرب بن سلطان

لا يخفى أن الإمام بلعرب بن سلطان بن سيف بن مالك بن بلعرب ابن سلطان اليعربي ، وبقية النسب قد مضت ، لما مات الإمام سلطان خلف ولدين هما بلعرب وهو الأكبر ، وسلطان وهو الأصغر ، وأختا لهما ، وكان بلعرب متوجا بالشيم الطيبة والفضائل الجميلة ، والأعمال الحسنة ، رأى أن الدولة كاملة في جميع أحوالها لا غضاضة عليها في شيء ما أبدا ، إلا أن ناحية العلم محتاجة الى همم تستشيرها ، وأعمال تقوم بها ، ورعاية تحددتها ، وكان بنى قصر جبرين قبل إمامته ، ويقال إنه بناه من صلب ماله ، فتم بناؤه قبل وفاة والده بسنتين ، وإنه ليعبر عن غنى هائل في عمان في ذلك الوقت ، إذ بناه بملايين الملايين كما قيل ، وخزن فيه لطوارىء الدهر مثل ما بناه به ، وكان آية في روعة الصنعة ، بحيث أصبح يضرب به المثل .

قال شكيب أرسلان ، المعروف بأمر البيان ، وهو من أكبر المؤرخين ومن المطلعين على أحوال الأمم قال ، وهو يذكر الإمام سلطان : قد خلفه (ولده بلعرب) ، وكان هذا محبا للعلم والعلماء ، بنى مدرسة في بيرين ، وجعل إقامته فيها ، بل بنى ، القصر المعروف الذى سبق كلامنا عنه ، وكانت المدرسة في القصر ، قال : وثار على بلعرب أخوه سيف ابن سلطان ، قال : وعضد هؤلاء الفقهاء ، أى انقسم الفقهاء بعضهم مع بلعرب يؤيده في أعماله ، وبعضهم مع سيف يؤيده على أخيه ، وقد أشرنا الى هذا الحال ، وأسبابه في كتابنا « العنوان » ، قال شكيب : فانقسمت الرعية الى قسمين متساويين ، أولا ثم جعل حزب سيف يتقوى على حزب بلعرب ، وكان هذا أى بلعرب سخيا جوادا مواسيا للفقراء ، فلقبوه أبا العرب لكرمه ، فلما طالت الفتنة بينه وبين أخيه ، واضطرب حبله صاروا يلقبونه بلاء العرب .

قلت : هذا لم نجده إلا عن أبي رزيق ، ولعل شكيبا تلقاه عنه ،
وحاش أهل عمان أن يقولوا ذلك ، اللهم إلا إن كان عن الجهال الذين
لا يهتدون للحق ، قال شكيب متمثلا بقول القائل :

والناس من يلق خيرا قاتلون له
ما يشتهي ولأم المخطيء الهبل

أى من ساعدته الأقدار ، فالناس معه على ما هو عليه ، وإذا انقلب
الزمان عليه كانوا أيضا كما قال النبيانى :

والناس أعوان الكريم لذاته
وهم عليه اذا هوى أعوان

قال شكيب : وأخيرا استصفى سيف أكثر البلاد ، ولم يبق لبلعرب
إلا بيرين ، وبينما أخوه يحاصره إذ قبض فاستراح ، واستراح بموته
أخوه ، وصفا الوقت لسيف ه .

وقال ابن رزيق وغيره من مؤرخى عمان ، كصاحب كشف الغمة
وغيره : وقعت بين الإمام بلعرب وأخيه سيف فتن عظيمة ، وأصاب
كثيرا من أهل عمان من فقهاءهم ومشايخهم أهل الورع والزهد والعلم
عقوبات شديدة ، الى أن كادت تنفر نفوسهم قبل الحمام من أتباعهم
السفهاء ، واقتفاء آرائهم وقبول كلمتهم ، هذا أورده ابن رزيق وأخذه
عنه الإمام السامى رحمه الله ، ولم يذكروا تلك الفتن التى يشيرون
إليها ولا أسبابها ، وهذا الكلام الذى ذكره ابن رزيق يحتاج الى تحليل ،
فإنه ذكر أن تلك الفتن أصابت الفقهاء والعلماء وأهل الزهد والورع ،
وأن عقوبات كأنها جائتهم من سيف بن سلطان ، ولم يذكروا لنا شيئا
منه مما يحسن السكوت عليه ، وهذا من المشاكل .

وأقول لولا قيام الإمام سلطان على أخيه ، واستيلاء الحصون عنه

وحصاره إياه في جبرين ، حتى مات الإمام بلعرب في الحصار ، لقلت هذا كذب لا أصل له ، لأن أهل الفضل لا يفعلون ذلك ، ولكن القيام على الإمام العادل المجمع على إمامته لا يصح ما لم يقترف ذنبا فيتوب منه ، فإن تاب بقى في إمامته ، وإن لم يتب وجب خلعه ، ووجب الانتصاف منه إن ظلم مالا لأحد ، وإن أصر على ما هو عليه وجب قتاله ، ولم يذكر في تاريخ الرجلين شيئا من ذلك ، وربما كان احتمال الذي ذكرته في « العنوان » يليق بمقامهما والله أعلم .

وإنها لمصيبة كبرى لا بد لها من أثر يوما ما ، فكان غير بعيد عنهما ، وبذر الشر كالبذر يختفى في الأرض حتى إذ به المطر نبت فكذلك بذر الشر يختفى ثم يظهر بعد حين .

ولما رأى الإمام بلعرب هذه الأحوال التي تحيط به غير مراعية في حقه إلا ولا ذمة ، خرج من نزوى كالمختبر للحال ماذا وراء ذلك ، خرج من نزوى وتوجه ناحية الشمال متفقدا للأحوال ، فلما رجع إلى نزوى منعه أهلها دخولها ، وأظن أن المنع قرره أخوه سيف فلم يقدر على خلافه ، وإلا فما الموجب لمنعه ما كان جبارا ولا ظلما ولا فاسقا كان إماما رحيفا بالمؤمنين سخيا بما لديه يقرب أهل العلم ، ويجب أهل الخير أبهذا يمنع من دخول البلد ، ولا موجب أن هذا الداء الدفين في الروح العمانية طرأ عليها ليقضى على إمامتها ، إن الله وإنا إليه راجعون ، بعد الإياس توجه إلى جبرين مقره ووطنه وبيته الذي بناه من ماله كما قيل ، وبعد استقراره ببيرين اجتمع أهل هؤلاء على البيعة لأخيه ، وهو حي موجود ، ولا يحتج عليه بشيء إنها لمن المصائب الفادحة .

قال ابن رزيق : « وكان كل واحد رضا تقية » .

قلت : هذا يدل أن البيعة كانت إجبارا وقهرا وهذا حرام في الدين ،

قال : فعاقب بعضهم على عدم الدخول في العقد ، قال : وخرج سيف على أخيه وأخذ عليه كافة حصون عمان ، وخصم كل من كان لأخيه محبا ومساعدة .

قلت : وهذا أعظم قال : ولم يبق بيده إلا حصن يبرين قال : ووقعت بينهما حروب كثيرة ، حتى قال بعض الناس بلعرب هو بلاء العرب .

قلت : الذي قاله شكيب أرسلان في تعليقه ، قال وقال : بعضهم سيف جلاب ، وبلعرب قصاب ، لكثرة سفك الدماء التي كان سببها منهما .

قلت : لم أفهم معنى ذلك الكلام ، وهو لا شك يرمز الى شيء خفى ، قال : وافترق الناس فيهما ، فمنهم من يصوب بلعرب ، ويقول سيف باغ على أخيه في خروجه عليه ، ومنهم من يقول : إن سيف هو المحق والمبطل .

قلت : عرفنا قول القائلين أن سيفا باغ على أخيه ، وهو الظاهر لأنه لم تقم على بلعرب حجة توجب عزله أو الخروج عليه ، ولم نعرف ما يحتاجون به لسيف ، وهذا عين الإشكال .

قال ابن رزيق : ثم إن سيفا جمع جيشا عظيما وبلعرب يومئذ بحصن يبرين ، قال : فحصره حصرا شديدا حتى مات بلعرب في الحصار ، وقيل إنه لما اشتد على بلعرب الحصار ، وتعذر عليه الانتصار ، توضأ وصلى ركعتين ، وسأل الله ربه أن يميته وهو راض عنه ، فاستجاب له دعاءه ، فمات من ساعته .

قلت : هذا من الممكن ولكن من ذا الذي يطلع على ما بين بلعرب وربه اللهم إلا أن يكون عبده وكان جاهرا بالدعاء ، وأظن أن هذا أمر

مظنون غير محقق ، وإن تداوله المؤرخون ، ولعلمهم رأوا ميتا في مصلاه ، وظنوا أنه قد دفن في نفس المكان الذي قبض فيه في مصلى أعده لخلوته في نفس القصر على وجين الفلج ، فإن الفلج في نفس القصر ، وقد زرناه هناك رحمه الله ورضى عنه ، لقد أدى واجبا كبيرا في الاسلام ، حيث أحيا العلم وأكرم العلماء ، وسوف يأتي الكلام على المدرسة المشار إليها إن شاء الله .

وكان الإمام السالمي رحمه الله يثبت خروج سيف بن سلطان على أخيه ، إذ قال في تحفة الأعيان : ذكر خروج سيف بن سلطان على أخيه الإمام وحصاره له ببيرين ، قال حميد بن محمد بن رزيق الشاعر المتأخر : لم يزل الإمام بلعرب تضرب به الأمثال في العدل والجود ، حتى وقعت بينه وبين أخيه سيف فتن كثيرة ، قال : وأصاب كثيرا من فقهاء أهل عمان ، وأكابرها وأهل الورع والزهد عقوبات من سيف ، وشد سيف على أخيه بلعرب الحرب ، فخرج بلعرب من نزوى ، وذكر القضية التي قدمناها بالحرف الواحد ، الى أن قال : وهو يذكر حصار سيف لأخيه بلعرب في حصن جبرين ، قال فلما عجز عن ملاحمته أى عجز بلعرب عن مقابلة سيف ، اجتمع أكابر أهل عمان ، فعقدوا الإمامة لأخيه سيف ، قال : وكثير من أهل عمان دخل في البيعة ثقيا ، لأن سيفا عاقبهم على عدم الرضا بإمامته ، وخرج فأخذ حصون عمان كافة إلا حصن بيرين .

قلت : هذه إمامة قهرية ليست على أصول المسلمين ولا على نهجهم ، إنما هي الغصب أشبه بإمامة معاوية ومن بعده . قال : فحصره أى في جبرين ، وجعل يضرب الحصن بالمدافع، وكان عند بلعرب رجال مشهورون بالشجاعة ، فكلما دنا جيش سيف بن سلطان من الحصن خرجوا له فكشفوه ، وقتل في تلك الحرب من قوم سيف كثير ، قال : ثم إن أكابر هؤلاء وهؤلاء اتفقوا على الكفاف عن الحرب ، وقالوا : الرأى أن نغمد السيف عن بعضنا بعضا فاذا اقتتل سيف وأخوه بلعرب ، وقتل أحدهما

صاحبه صرنا رعية الباقي منهما وتبعنا ، والمعنى ما فى استطاعتنا إلا ذلك ،
فإن الأمر مقهور بالقوة كأن الجوليس لأهل العلم نظر أبدا إنما هى أشياء
قهرية ، سبحان الله المدبر للكون بحكمته •

قال : فإن أبيا عن المبارزة مكثت كل واحد منا فى العسكر ، فاذا
طالت المدة على ذلك رجع كل واحد منا الى وطنه ، والظاهر ليس هذا
فى وسعهم بل تحت القهر من سيف بن سلطان ، والمقتال ليس لله ، إنما
هو لأجل الدنيا إنا لله وإنا إليه راجعون •

قال : فلما بلغ بلعرب خبر القوم ، توضأ وصلى ركعتين لله ،
وسأل الله أن يميته ، فلما فرغ من صلاته إلا وقد خر على البساط الذى
صلى فيه ميتا ، قال : فعند ذلك خرج بعض خدامه من الحصن ،
فأخبروا أخاه سيفا بوفاته ، فاتهمهم وقال : قتلتموه قاتلكم الله ،
فحلفوا له أنه قد مات حتقت أنفه ، ثم خرج أصحابه من الحصن كافة
ومضوا الى أخيه فأخبروه عن أخيه بلعرب كما أخبرته عبيده عن خبر
وفاته ، قال : فمضى سيف الى الحصن وغسل أخاه وكفنه وصلى عليه
ودفنه الخ •

هذه قضية سيف بن سلطان وانها لمن سيئات القضايا وانها لتتذر
بزوال هذا الملك من أيديهم عن قريب ، فإن بذر الشر وحب الذات داء
دفين يسلب الخير من أهله ، ويبث الشر بينهم ، ولذلك كان العهد غير
بعيد المدى والله المستعان •

العلم حياة الأمة

كان الإمام بلعرب بن سلطان رحمه الله رأى أن العمانيين قد بلغوا شأوا بعيدا في الزعامة ، وأضافوا الى عمان ممالك عديدة ، أصبحت تلبى دعوتهم وتجيب نداءهم ، ولهم صوت عال في العالم يتقدم يوما فيوما إلا أن العلم قليل بالنسبة الى اتساع الدولة ، وعلو شأنها واتساع رقعتها ، والأمل في المستقبل سيرها قدما ، فإن جيوشها عبر الأقاليم في آسيا شرقا وغربا ، ولها نشاط محسوس ، فمالت نفسه الى نشر العلم في عمان كما ينبغي تبعا لقوله عز وجل : (فلو نفر من كل فرقة طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) .

وكان من قدر الله أن زار عمان في هذه الأثناء أحد علماء الإباضية أهل المغرب ، يقال له الشيخ عمر بن سعيد بن محمد بن زكريا الجربى من أهل جربة خاصة ، فرأى أحوال عمان وتقدمها في العدة والعدد ، واتصالها بالعالم الخارجى ، ورأى جيوشها الضخمة ، وجنودها المفخمة ، وعساكرها المتحمسة ، فسره ما رآه وابتهج بما رأى وسمع ، وعلى كل حال إن المحب يسره تقدم أحبابه في الخير ، ولكنه لاحظ معاهد العلم لا تقدم لها ولا نشاط فيها بالنسبة الى نشاط الدولة ، فكتب للإمام بلعرب كتابا يدعوه فيه الى الالتفات نحو الناحية العلمية ، والحقيقة كل يدعو الى ما يحب ، والعلم هو الحياة رغم كل شئ ولا عز ولا شرف إلا بالعلم ، ولا ترقى إلا به .

وهذا أمر مجرب معقول في كل جيل ، فكان الشيخ الجربى جاء في نصيحته بتحقيق لا ينكر ، ومقال لا يستنكر ، بل بين كل شئ يلزم في هذا المقام ، وتحدث في كتابه عن كل لزام ونبه وأيقظ وبين وحرص ، وما قصر في سبيل ما هو بصدده ، وعلى كل حال إنما تنجح المقالة في المرء اذا صادفت هوى في الفؤاد .

كانت رغبة الإمام مائلة الى نشر العلم والاعتناء به ، فجاء الشيخ
الجربى ففدح الزناد وحرك الفؤاد ، وأبان المراد ووضح الصلاح
والسداد ، واستفرغ الوسع في التصحح والإرشاد ، فكانت دعوته في هذه
مستجابة ونصيحته بالغة مبلغها من الإمام رحمه الله ، فقام بواجبه
واجتهد مبلغ طاقته ، وأمر بالتعليم في جميع نواحي عمان ، وخصص
مدرسة جبرين بالرعاية ، فدعا العلماء والمبتدئين والطلبة من العمانيين
فقابلهم بالإكرام التام ، ورعاهم بالإحسان والإنعام ، وغذاهم بأطيب
الطعام ، لتطيب نفوسهم وتنشط الأفهام ، وتنتبه القلوب وتتسابق
الطلبة ، وتتقدم في ميدان الجد والاجتهاد فكان لهم أبا رحيمًا وسيدا
كريما . قال الإمام السالمي رحمه الله .

مدرسة جبرين وذكر بعض المتخرجين

كان الإمام بلعرب رحمه الله المحب للعلم بطبيعة الحال ، ومن أحب شيئا دعا اليه ، ومن أحب شيئا أكثر من ذكره ، ولما جاء الشيخ المغربي الجربى رحمه الله وكتب للإمام المرحى رحمه الله تلك النصيحة الصادقة التى أثارت حفيظة الإمام ونشطته ، فأقام المدرسة بالقصر خاصة ، وعين الغرف العالية من القصر لها ، وهى غرف فاخرة جميلة ، ذات رونق بديع لها اتصال بالفلج الذى فى بطن القصر ، ولا يرى من فيها فى حال دخوله وخروجه أحدا من عوائل القصر وخدمه ، للهندسة التى يسرها الله لهذا الإمام الجليل فى هذا القصر العظيم ، فإنه من بدائع البناء الذى يحترق فيه الواصف ، فكان الإمام معهم ليلا ونهارا ، وكان له اعتناء عظيم بهم ، فكانوا يقبلون اليه من شتى النواحي كما يقول القائل :

فكانوا يقبلون على حماه
كأسراب الظباء رأت معينا

فقامت لهذه المدرسة ككبجة من رجال العلم والأدب ، وشاع لها ذكر ، وابتهج بها العمانيون غاية الابتهاج ، فأثمر غراسها الثمر الحلو الذى تحيا به البلاد والعباد .

قال الإمام رحمه الله : فيقال إنه خرج من هذه المدرسة التى فى حصن جبرين خمسون عالما كلهم أهل اجتهاد . قال : وقد أكثر الناس الثناء على هذا الإمام . قلت : إن الذين تخرجوا من هذه المدرسة أكثر من خمسين عالما الذين بلغوا درجة الاجتهاد ، فما ظنك بغيرهم ممن هم دونهم ، وما ظنك بالأدباء والشعراء الذين استنار قرائحهم بنور

العلم ، واتسعت مداركهم بقوة الفهم ، وكيف لا يكونون كذلك وعواطف الإمام تربيهم ، ومراحمه حافة بهم ، وعنايته شاملة لهم ، والشجر اذا سقى طال واتسق وأثمر .

قال الإمام رحمه الله : فقيل إنه كان يخدمهم بنفسه هنالك ، وكان يختار لهم العطورات الموقية للأذهان والأطعمة المولدة للحفظ اهتماما كليا من صميم القلب ، قال ابن رزيق ، وهو يذكر حسن جبرين ، قال : ونصب فيه مدرسة للعلماء والمتعلمين ، قال : ورغبهم ببذل المال وأكل الفواكه ، فنالت العلم بكرمه الطلبة ، فغدا من كان متعلما أى معه مبادئ علمية ، فقيها أى اتسع أفق علمه ، فصار فى صف أهل العلم المنظور اليهم بأعين التوقير ، وصار الطالب عالما .

قال : ومن كان أديبا أى له ذوق فى الأدب صار شاعرا فحلا متصرفا فى العربية ، له فيها يد ، قال : فمن المتعلمين الذين صاروا بعد ذلك علماء جهابذه مثل الشيخ خلف بن سنان الغافرى ، والشيخ سعيد ابن محمد بن عبيدان وغيرهما كثير ، قال : ومن جملة الذين تربوا بكرمه الشيخ راشد بن خميس الحبسى الضرير ، وغيره . قلت : لم يذكر منهم الذين يستحقون الذكر علماء وأدباء وعبادا وزهادا وغيرهم وهذا من قصور التاريخ .

وتوفى الإمام بلعرب بن سلطان سنة ١١٠٤ أربع ومائة وألف أى فى أول القرن الثانى عشر للهجرة .

قال الإمام رحمه الله وهو يذكر الإمام بلعرب قال : وقد أكثر الناس فى الثناء على هذا الإمام ، قال ورأيت فى مدحه ديوانا حافلا محتويا على قصائد طنانة ، بلغت من فنون البلاغة مبلغا عظيما ، وعلى هوامشها تنبيهات على أنواع البديع فى الأبيات ، قال : وقد غاب عنى هذا

الديوان فلم أره منذ زمان ، وإنما رأيته أيام الصغر : وأحفظ من أوائل
بعض القصائد أبياتا يسيرة ، قال بعضهم في أول قصيدة لامية :

لمى بوادى الدوح دور وأطلال
سقتها غواد من ملث وآصال
وهمهم في أرجائها الرعد برهة
إذا ما انقضى وبل تعرض هطال

قال : وقال آخر في أول قصيدة لامية أيضا :

زم المطى فعقد الدمع محلول

وقال آخر :

الله أكبر جاء الفتح والظفر
وأشرقت في اللدياجى الأنجم الزهر
وأصبحت سبيل الإسلام واضحة
أعلامها واستقام السمع والبصر

قال : وغير ما أشرت إليه كثير وكلها مدائح في الإمام ، قال :
والخلق شهود الله في أرضه ، فمن أثنوا عليه خيرا كان أهلا للخير ، ومن
أثنوا عليه شرا كان أهلا للشر ، الخ وذكر الإمام رحمه الله على أثر ذلك
الشاعر الخاص الذى أخرجته تلك المدرسة ، وهو راشد بن خميس بن
جمعة بن أحمد الحبسى النزوى من جملة من تعلم في ظل هذا الإمام وصار
من جملة من مدحه وأثنى عليه .

ذكر قصر جبرين

كان الإمام بلعرب بن سلطان قد بنى قصر جبرين على ما قيل من صلب ماله في حياة والده ، وتم بناؤه قبل موت والده بسنتين ، هنا يعجب الانسان وتأخذه الحيرة ، بالمال الذى بنى به هذا القصر ، أما لو كان بناءه فى حال إمامته لكان من المعقول أنه بناه بأموال الدولة ، وذلك العهد الدولة نشيطة بالخراج الذى يأتيها من الممالك العديدة ، حيث توسع نطاقها كما يعلم ذلك المؤرخون ، أما كونه من ماله الخاص فمن أين هذا المال وأبوه حتى ولم تعرف له تجارة ؟ وأموال والده أموال الدولة ، هذا من الإشكال الواضح الذى لا يستطيع إيضاحه ، وكان هذا القصر كما هو موجود فى غاية الروعة صنعة وضخامة وإبداعا ، فإذا ألقى العاقل اليه نظرة يبقى حائرا فى تصويره وتصوره ، والحال أنه من بدائع البناء ، ومن مدهشات الأفكار فى النظر الصحيح ، فكان للإمام رحمه الله موضعا لجنته بعد مماته ، إذ دفن فيه قرب النهر فى مكان اتخذه الإمام مصلاة فى خلوته ، ولقد أطل الواصفون فى وصفه ، وأكثر المكاتبون القول فيه نظما ونثرا ، وهو فوق الوصف •

وبالجملة هو دليل على عظمة تلك الدولة واتساع أيديها بالمال ، ومعتبر لمن يأتى من نواح عديدة ، وكفى لآل يعرب فى أيامهم تلك من عجائب ، وإذا ذكرنا قلعة نزوى أو قصر الحزم أو الجيوش التى يخوض العالم فى ستة وتسعين ألف عنان من الخيل ، أو نظرنا الى المدافع التى خلفتها تلك الدولة الطائرة الصيت ، أو الأفلاج التى أجرتها بعمان ، حتى هم صاحب الحزم أن يجعل عمان كجنتى مأرب ، وأن يذهب الحاج من عمان بلا زاد إنها أحوال تسجل لعمان الشرف الباذخ ، ولآل يعرب المههم

التي تبهر عباقرة الرجال ، وليتها طال عهدا على ذلك الوضع لكن الدهر
يأبى إلا التقلب •

ولقد ضرب باليعاربة المثل لمن يأتي بعدهم ، ولقد صدق القائل :

تلك آثارنا تدل علينا

فانظروا بعدنا الى الآثار

والله يؤتى ملكه من يشاء •

تقلب الأحوال بجبرين

اعلم أن جبرين بعد موت لإمام بلعرب تقلبت به أحوال ، وتوالت عليه من الدهر أعمال ، ولعبت فيه أيام الدولة اليعربية نفسها رجال لقرى الأيام الناس في تبادلها بينهم أعمالا يعتبر بها العاقل ، لقد تعب فيه الإمام بلعرب رحمه الله فأنفق في بنائه ثلاثا وعشرين كراً ، وخرن فيه لحوادث الدهر مثلها ، وبعد موت بلعرب تولاه أخوه سيف بن سلطان ، وبقي في يده عهدا ثم عاد عليه ولده أى ولد الإمام بلعرب ، وهو يعرب ابن بلعرب ، فوجد في الحصن تخريبا فأصلحه ، فبلغ إصلاحه أربعين ألفا ، وسبب التخريب الحرب التي دارت بين سيف وبلعرب .

وبعد ذلك افترق آل يعرب وتخاصموا فيما بينهم ، وقام كل واحد يدعى الزعامة له ، واستنصر بعضهم بخلف بن مبارك المعروف بالقصير بصيغة التصغير ، بعد ما كانوا يريدون عمان ، وهم أهل الطل والعقد ، وتعلق بعضهم بمحمد بن ناصر الغافرى بعد ما كانوا مرجع الغافرى والهنائى ، قال أمر حصن جبرين أن يفتتعه محمد بن ناصر ليجمعه ملجأه الذى يلجأ اليه ، ومأواه الذى يأوى فيه .

وكان العقد في كل شهر بثلاثمائة محمدية ، ولعله حيلة مدبرة ، فكان من قدر الله أن قتل محمد بن ناصر في حلية بصحار في حال خصامه لخلف بن محمد ، فقبض ناصر بن محمد بن ناصر على حصن جبرين ، وبقي في يده عهدا ثم تأمر عليه اليعاربة فقبضوا عليه أى ناصر بن محمد عند باب بادية في بلاد بهلى ، فلم يقتلوه إلا بتسليم الحصن ، فرأى الموت بين عينيه ، ففدى نفسه بتسليم الحصن لهم ، وبقي في أيديهم .

وكان بنو غافر يضمرون لهم العداوة فكان بجادين سالم يتحين غفلة اليعاربة حتى أمكنته الفرصة فقبض هذا الحصن في حال غفلة

اليعاربة ، وعلى كل حال إن المأخوذ غافل والمطلوب مقهور يوما ما ، ولما قبضه بجاد سلمه الى ناصر بن محمد وعرض عليه بالنواجذ ، ثم إن بلعرب بن حمير بن سلطان وهو ابن أخى الإمام البانى مكته الله من بجاد المذكور فقبض عليه .

وكان المذكور قاهرا لتزوى ، فأودع بجاد السجن ، ثم قتله في السجن بحصن نزوى ، وعاد الحصن لآل يعرب وتمركزوا فيه ، حتى عادت الأقدار لتنزعه منهم وتريهم ما يسوءهم فأخذ هذا الحصن بنو غافر سنة ست وثلاثين ومائة وألف بعد موت الإمام سيف بن سلطان قيد الأرض بثلاث عشر سنة ، ولم يزل الحصن في يد بنى غافر الى سنة سبع وخمسين ومائة وألف ، أى واحدا وعشرين سنة ، وهم يديرون الحيل لاسترداده اليهم فدخلوا فى خادم لراشد بن حميد الغافرى ، وأدخلهم الحصن فتولوه ، وبقي الخادم عند اليعاربه محترما ، ولكن ماذا يكون من هذا الخادم الذى خان لآل يعرب ، لابد أن يخون لغيرهم ، ولا يطمئن الى خائن إلا جاهل .

فبعد مضى ستة أشهر دخل الخادم الحصن بحيلة من للعسكر القابضين له ، وهم معلمون من الخادم لأنه كان معهم باطنا وظاهرا ، فلما دخل أغلق الباب وأطلق الرصاص على العسكر فقتل منهم سبعة رجال ، فاجتمعوا عليه وحصروه ، وما يريد الخبيث ؟ أيريد أن يكون سيد الحصن ؟ فلم يقدروا عليه لأنهم لا يدرون أين هو ، واذا رأى أحدا منهم رماه ولكنهم أحرقوا الباب ، وهجموا عليه بغير مبالاة ، فلما أحس أنه مقتول أطلق النار على مخزن البارود ، وكان مخزنا كبيرا يجمع أبهرا عديدة من البارود ، فقام البارود كالرعد واشتعلت فيه نار عظيمة ، فاحترق غالب الحصن ، إذ ظلت النار تموج فيه كالبحر وتطير قطعاً كالسحاب .

وأخيرا تولاه آل يعرب وكان زعيمه محمد بن سليمان اليعربي ،
فقام عليه راشد بن حميد بن راشد بن ناصر بن محمد بن ناصر ، وأحاط
به هو وجماعته ، وكانوا رهطا وكان زعيما مطاعا ، فخرج منه محمد بن
سليمان يوم سابع من شهر شعبان سنة تسع وخمسين ومائة ألف ، وبقي
آل يعرب في بهلى ، فقام عليهم فيها فطردهم منها ، وبقيت بهلى وجبرين
في أيدي أولاد راشد بن حميد الى أن أخرجهم منها الإمام عزان بن قيس
رحمه الله .

ثم عاد اليهم بعد انتهاء دولة الإمام المذكور ، ثم أخرجهم منها
الإمام سالم بن راشد الخروصي رحمه الله في عهده ولم تعد إليهم الى
اليوم ، هذه أحوال جبرين التي تقلبت به أوردناها مسلسلة وإن خالفت
أسلوب التاريخ للإفادة .

الحكم على جبرين البلد المعروف

لما تم الكلام على حصن جبرين لقصد البيان والتبيين ، وجب الكلام على نفس البلد لما لها من التعلق بالمقام ، قال الإمام رحمه الله ، قال ذو الغبرا وهو الشيخ خميس بن راشد ، والد الشيخ ماجد العبري في حصن جبرين : إنه يحتاج الى حكم من أهل العلم ، لأن أربابه تفرقوا ، وقد خلت أمة بعد أمة ، قال : وأما أموال بيرين فقد سمعت عن كثير من الناس أنهم لم يأكلوا منها ، وقالوا : إنها حرام . قال : وينبغي لمن حرم شيئا أن يأتي فيه بحجة صحيحة ، وكل آية لها تفسير ، وكل مسألة لها جواب .

وقال في كلام قبل هذا قلت لصاحبى : هل عندك صحة في جبرين وما قالوا فيه ؟ فقال أما الماء والأموال والمراد بالماء هو ما تسقى به النخل والشجر والحروث من زرع وغيره ، والمراد بالمال هو الحدائق ذات النخل والشجر عرفا عمانيا عاما شائعا إطلاقا قال : فالأكثر آل الى الشيخ ناصر بن محمد الغافرى ، وشيء منها آل اليه بالإرث .

قال : وسمعت هذا من محمد بن عدى بن محمد العبرى وسعيد ابن سليمان الزرعى ، قال : وقد رفعا عن الذين يثقون بهم في زمانهم الذين أكبر منهم سنا وأرجح عقلا ، وقالوا : إن الشيخ ناصر بن محمد أشهدهم وأمرهم بالكتابة بكثير من الأموال في وصيته ، وطلق نساءه بحضرتهم ، وأشهدهم بذلك ، وأمرهم أن يكتبوا الماء والمال الذى آل اليه بالإرث والشراء من آل يعرب من بيرين لبيت المال ، فلما مات الشيخ ناصر بن محمد شهد هؤلاء بذلك .

قام : والمال الذى خلفه ناصر لم يقسم على ورثته ، قال : وأما حصن بيرين فلم يصح فيه بيع ولا هبة من آل يعرب الى يومنا . هـ
كلام ذى الغبرا والله أعلم .

قلت : أما اليوم وقد انقرض آل يعرب ولم يعد فيه مطالب بحق فقد صار مجهول الأرباب ، وكل مجهول الأرباب يرجع أمره الى الإمام عند وجوده ، وقد قبض الإمام الخليلي رحمه الله في زماننا هذا بواسطة عامله على بهلى ، وهو الشيخ عبد الله بن محمد الريامي المعروف بأبي زيد ، وأخرج منه قاضيه وهم عائلة الشيخ ناصر بن حميد العطابي ، لكننا لا ندري على أى طريق كان قبضه ، هل هو خوف الاشتان عليه ؟ أم خوف باغ يتركز فيه ؟ وقد بلغنا أن الشيخ أبا زيد أصلح فيه كثيرا من التخريب من بيت المسلمين ، وهو علامة جليل من خيار المسلمين اه
والأمر لله عز وجل •

أدب الإمام بلعرب بن سلطان

كان الإمام بلعرب من الأدباء الذين يقولون الشعر ، ومن شعره المعروف يقول :

إذا ما دعيتك النفس يوماً لربيبة
فعاص على حال هواها وخالف
ولا تتبع ما مدة العمر إنما
اتباع هواها قائد للمتالف
وجانب هواها ما استطعت فإنما
مجانبة الأهواء حرفة عارف
وخف من إله العرش شدة بطشه
لعلك تنجو يوم نشر المصاحف
وله أيضاً رحمه الله :

ولما بلوت الناس لم أر صاحباً
أخائقة في النائبات العظام
وأبصرت فيهم في رخاء وشدّة
فلم أر منهم غير كسب الدراهم
فإن كنت ذا يسر فحولك أنهم
ممالك أو عسر كأضغاث حالم
وثقت بمن أحيا العظام رميمة
وأنشأها خلقاً لطيف المناسم

إمامة الإمام سيف بن سلطان قيد الأرض

لا يخفى أن سيف بن سلطان تولى الأمر على أخيه الإمام بلعرب بن سلطان ، وقهر أكثرية أهل عمان بالعنف ، وأطاعه أكثر الناس تقية كما علمت ذلك مما سبق من الحديث الذي قدمناه في الكلام على الإمام بلعرب ، وقد احتملنا له احتمالا في « العنوان » والغيب لله عز وجل .

قال الإمام السالمى رحمه الله : واجتمع أكثر أهل عمان وعقدوا الإمامة لأخيه سيف ، قال : وأحسب بعضهم دخل في الأمر تقية ، وأحسب أن بعضا عوقب بتركه الدخول في العقد ، قال : خرج سيف على أخيه وأخذ كافة حصون عمان ، ولم يبق إلا حصن جبرين ، قال : فسار إليه سيف بنفسه وحاصره فوقع بينهم الحرب حتى مات بلعرب في الحصار ، فطلب أصحابه الأمان ليخرجوا من الحصن ، فأمنهم سيف فخرجوا من الحصن .

قال : وأحسب أن بعضا من أهل العلم لم يزالوا متمسكين بإمامة بلعرب حتى مات ، ويرون أن سيف بن سلطان باغ على أخيه ، قال : واستولى على حصون عمان وضبط الممالك وأحسن السيرة وأنصف الرعية ، وهابته القبائل ، قال : وتسمى بالإمامة .

قلت : كيف لا يتسمى بالإمامة وقد تقدم أن أكثر أهل عمان اجتمعوا وعقدوا عليه بها ، فهو بهذا إمام ، وقولهم ان بعضا دخل في الأمر تقية لا يخل بعقد الإمامة اذا كان أهل الحل والعقد هم الذين عقدوا ، فمن حاول لشغب وجب عقابه ، وقولهم خرج على أخيه باغيا لا نعلم عذره في ذلك ، فيجب السكوت فإنه سيأتى أنهم اجتمعوا للنظر في إمامته وانتقوا أنه صحيح الإمامة .

قال الإمام : ولقب بقيد الأرض لضبطه المالك وتقييده البلاد
بعده ، ولم يعب عليه أحد من سيرته شيء إلا ما كان منه في أول أمره
من خروجه على أخيه الإمام العادل .

قال الإمام : وسمعت شيخنا محمد بن مسعود يذكر أنه وجد أن
العلماء جلسوا يوماً في مجلس يتذكرون إمامة قيد الأرض ، فقاموا على
أنه صحيح الإمامة ، قال : ولعل ذلك بعد تتويبه من خروجه على أخيه
وتجديد العقد عليه بعد موت أخيه ، وإلا فالعقد الأول غير صحيح .

قلت : لم يبينوا العلماء الذين عقدوا عليه الإمامة ، ولم يعينوا
الذين اجتمعوا للنظر في إمامته ، ولم يوضحوا وجه صحة إمامته .

وخلاصة الأمر هم المبتلون بما هناك والله المعين ، قال : والخروج
أي على الإمام العدل غير جائز .

قلت : ومن ذا الذي يقدر على تتويب قيد الأرض ، وقد دخل الأكثر
في إمامته تقية .

قال الإمام : وباب التوبة مفتوح ، قال : ولم يزل على حسن السيرة
وسياسة الملكة ا ه . لقد رفع سيف بن سلطان رأسه ينظر الى العالم
الخارجي ليمد سلطان المسلمين فيه ، وينشر العدل في نواحيه ، وكان
توفيق الله حليفه ، وكانت له همة عالية كما يقول القائل :

ألا يا شيخنا الكندي
أعندك مثل ما عندي
فعدى للعلى همم
تفوق النجم في البعد

والحقيقة الرجال بهممها وعلى قدر همة الانسان تكون أعماله ، وفي

الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : الأرزاق على قدر الهمم •
وناهيك « بقيد الأرض » لم يضعوا له هذا اللقب عبثا ، إنه لقب كبير
يدل على أمر خطير تجلى ذلك الأمر في أعمال هذا الشخص الفذ الذى هز
الأفق الشرقى من أفريقيا الشرقية ، كما سوف نتقف على شئ منه إن
شاء الله •

قال شكيب أرسلان فى التعليق على حاضر العالم الإسلامى •
واجتاح أسطول سيف جزيرة سلريت بقرب بمباى الهند ، وكذلك « مدينتنا
بارسالور ومانغالور » ، قال : ولم يقدر راجاكارناتيك فى داخلية الهند ،
قال : وكان سيف حكيما مدبرا محبا لل عمران ، بصيرا بالإصلاح ، فاننظم
بإدارته جمهور المرافق المصالح ، والتأم بنفاذه شمل المعاون والمناصح •

قلت : نعم لأن دين الرعية من دين ملوكها ، وإذا كان الملك صالحا
كانت الأمة كلها سالحة ، قال : وهو الذى شرع فى بلاده بحفر قنى المياه
تحت الأرض •

قلت : هذا غلظه به ذلك للعمانيين من قديم ، وإنما قام هو بنوع
من مثله • قال : ويسمون ذلك فى عمان خلجا • قال : والفلج بفتحتين
النهر الصغير ، وأما بضمين الساقية التى تجرى الى البستان • قال :
ففاضت الخيرات بهذه القنى ، وترقت الزراعة ترقيا بالغا • قال : واعتنى
سيف بمدينة الرستاق ، واعتنى أيضا بغراس النخيل ، واستجلب أصنافه
وبلغ فى ذلك غاية الاعترام ونهاية الإلتزام ، وصار ذا ثروة طائلة ونعمة
لا تحصى ، قيل إنه كان يملك ثلث نخيل عمان ، قال : وكانت حاضرته
الرستاق •

وتوفى بها يوم ثالث رمضان سنة ١١٢٣ هذا كلام رجل أجنبى بعيد
عن عمان ، يتحدث عن عمان بصفتها بلاد عربية فهو يفتخر بها ويعتبر
بالحديث عنها •

فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع
٥	إمامة الإمام الخليل بن شاذان
١٩	المسلمون يأترون بعد رجوع الخليل الى عمان
٢١	وفاة الإمام الخليل بن شاذان رحمه الله
٢٢	إمامه الإمام راشد بن سعيد اليعمدى
	الإمام راشد بن سعيد يقضى بفصل قضية موسى بن موسى وراشد
٤٠	ابن النضر والصلت بن مالك
٤٦	إمامة الإمام حفص بن الإمام راشد بن سعيد
٥٧	إمامة راشد بن على من أئمة الطائفة النزوانية
٥٩	خروج الأعيان على الإمام راشد بن على
٧٥	إمامة الإمام عامر بن راشد بن الوليد الخروصى رحمه الله
٧٧	إمامة الإمام محمد بن غسان بن عبد الله الخروصى
٨٠	إمامة الإمام الخليل بن عبد الله بن عمر الخليلى
٨٢	إمامة محمد بن أبى غسان
٨٣	الإمام محمد بن أبى غسان يشن حربا على أهل عقر نزوى
٨٤	الملك محمد بن مالك
٨٦	إمامة موسى بن أبى المعالى بن نجاد بن موسى
٨٧	الصراع بين الملك محمد بن مالك والإمام موسى بن أبى المعالى
٨٩	أعيان المقتولين فى هذه الواقعة
٩١	إمامة خنبش بن محمد بن هشام
٩٢	إمامة محمد بن خنبش بن محمد بن هشام
٩٣	الملوك النباهنة ودورهم
٩٤	تسلط النباهنة
٩٥	أول ملوك بنى نبهان
٩٩	كهلان بن نبهان وأخوه عمر بن نبهان
١٠١	عمر بن نبهان وأهل شيراز فى عمان

الصفحة	الموضوع
١٠٢	كهلان بن عمرو ال ريس في عمان
١٠٣	خردلة بن سماعة بن محسن في سمالك
١٠٤	إمامة الحواري بن مالك في العهد النبهاني
١٠٥	إمامة مالك بن الحواري في العهد النبهاني
١٠٦	إمامة أبي الحسن بن خميس بن عامر في العهد النبهاني
١٠٧	إمامة عمر بن الخطاب في العهد النبهاني
١١٠	صفة الحكم في أموال بني نبهان
١١٦	إمامة الإمام محمد بن سليمان بن أحمد
١١٧	إمامة عمر الشريف
١١٨	إمامة أحمد بن عمر بن محمد الزنجي
١١٩	إمامة الإمام أبي الحسن بن عبد السلام
١٢٠	إمامة الإمام محمد بن إسماعيل الحاضري
١٢٢	صفة الحكم في أموال بني رواحة
١٢٤	صفة الحكم في بيع الخيار
١٢٦	العلماء يجتمعون لمراجعة آثار المسلمين في هذا الصدد
١٣١	الأحداث المعدودة على الإمام بن إسماعيل
١٣٥	الإمام بركات بن محمد إسماعيل
١٣٦	إمامة عمر بن القاسم الفضيلي
١٣٧	إمامة عبد الله بن محمد القرن
١٣٩	تفرق ملك عمان الى رؤساء متعددين
١٤١	ذكر ملوك النباهنة المتأخرين
١٤٢	الإمام سلطان بن محسن بن سليمان وأولاده الثلاثة
١٤٣	فلاح بن محسن بن سليمان
١٤٨	عرار بن فلاح
١٤٩	العجم يهاجمون صحار
١٥٠	سليمان بن مظفر وأعماله الغاشمة
١٥٣	المصراع بين عمر بن حمير النبهاني أمير سمالك والسلطان بن مظفر

الصفحة	الموضوع
١٥٨	التهارش بين أبناء العم من النباهنة
١٦٣	صحار تتعرض للدمار
١٦٥	البرتغال يواصلون عملهم
١٦٩	التفرق عنوان الوهن
١٧٢	مقدمة العهد اليعربى بعمان
١٧٥	مشاهير دولة الإمام ناصر بن مرشد
١٧٧	الإمام ناصر بن مرشد رحمه الله
١٧٩	الافتراق داعى الخذلان
١٨٠	ذكر مؤهلات الإمام ناصر بن مرشد لهذا المنصب العالى
١٨١	العلماء الذين اجتمعوا على البيعة لهذا الإمام
١٨٤	الزحف على نخل
١٨٨	النفاق يثير الشقاق ويدعو الى الافتراق
١٨٩	الظاهرة تظهر داءها
١٩١	الإمام يعهد الى ولاته بفتح باقى حصون الظاهرة
١٩٣	مانع بن سنان العميرى ثعلب سمائل
١٩٥	الإمام ناصر بن مرشد يجدد حصر سمائل
١٩٦	حرب مقنيات
١٩٧	البعاة يتجمعون لحرب الإمام
١٩٩	سرية لبلاد سبت
٢٠٠	الإمام يزحف بنفسه على ينقل
٢٠١	سرية الى سمائل عمان
٢٠٣	السرية الكبرى الى مسقط
٢٠٥	السرية الثانية لفتح جلفار
٢٠٦	الإمام والمسلمون يعالجون أمر صحار
٢٠٨	فتح صور
٢٠٩	الزحف على قريات
٢١٠	حرب الطاغية ناصر بن قطن

الصفحة	الموضوع
٢١٣	سرية يرأسها سعيد بن خلفان لقبض إبل ناصر بن قطن
٢١٥	سرية تقع في مثل ما وقعت فيه الأولى بموضع الخروس
٢١٧	وفاة الإمام ناصر بن مرشد
٢١٩	ثناء العلماء على الإمام الأرشد بن ناصر بن مرشد
٢٢٠	عهد الإمام ناصر بن مرشد لولاته وعمله
٢٢١	خطبة الإمام ناصر بن مرشد في صلاة الجمعة
٢٢٣	إمامه الإمام سلطان بن سيف
٢٣٠	أخلاق الإمام سلطان
٢٣١	أعمال الإمام سلطان في عمان
٢٣٣	مسقط في العهد البرتغالي
٢٣٦	الضغط يسبب الانفجار
٢٣٩	الحق تحت ظلال السيوف
٢٤٠	ظفار قطعة من عمان
٢٤٥	معارك الجيوش العمانية للإفرنج
٢٤٧	الإمام بلعرب بن سلطان
٢٥٣	العلم حياة الأمة
٢٥٥	مدرسة جبرين وذكر بعض المتخرجين
٢٥٨	ذكر قصر بن جبرين
٢٦٠	تقلب الأحوال بجبرين
٢٦٣	الحكم على جبرين البلد المعروف
٢٦٥	أدب الإمام بلعرب بن سلطان
٢٦٦	إمامة الإمام سيف بن سلطان قيد الأرض

حقوق الطبع محفوظة لدى
وزارة التراث القومي والثقافة
ص.ب: ٦٦٨ - الرمز البريدي: ١١٣ مسقط
سلطنة عُمان

رقم الإيداع : ٩٥ / ٢٤١

